

غوستاف فلوبر

# مدام بوكاري

إعداد وتحليل وتقديم  
الدكتور رحاب عكاوي

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)  
^ RAYAHEEN ^



# مدام بوفاري



استوحى فلوبيير من أحداث شتى ومن أشخاص  
حقيقيين ليؤلف هذه الرواية الواقعية، وقد كشف مؤلفه هذا  
بنجاح الآلية الاستحواذية المعتادة إلى الشهوة والجمال بأسلوب جيد  
صريح، مستنداً في كل ذلك إلى توثيق قوي لإبراز الغيابة الزوجية دون  
حذف أي حقائق أو تفاصيل.

وقد بدا أن الحوارات والأوصاف والوقائع كانت ساذجة أحياناً، لكنها كانت  
من صلب الواقع المدقق، تعطي انطباعاً حقيقياً. فقد كانت لدى المؤلف موهبة  
الدخول في أحاسيس الشخصيات لإظهار مشاعرهم بطريقة أفضل (عندما أكتب  
عن تسمم «إيمما بوفاري» أشعر في فمي بطعم الزرنيخ). ولا شك أن جمال  
هذا العمل الروائي يمتاز بالدقة ونهاية الكاتب وحس الدعاية لديه، وكل  
ذلك يجعل منه روائياً كبيراً وصل إلى درجة الكمال في الكتابة.

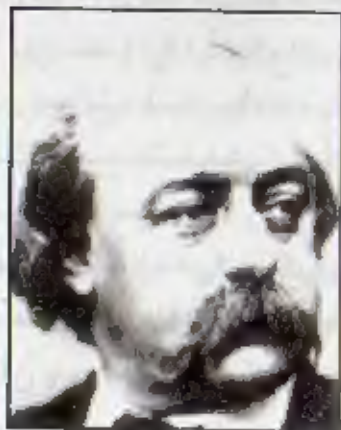


## غوستاف فلوبر

١٨٢١ - ١٨٨٠

وُلد غوستاف فلوبر في روان (شمال فرنسا) في الثالث عشر من شهر كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٨٢١. كان والده جراحاً يدير مستشفى (أوتيل ديو) في تلك المدينة. وقد عرف الصبي منذ طفولته رتبة الحياة الريفية حيث تذوق دون شك طعم الملاحظة الدقيقة. وفي شهر شباط/ فبراير سنة ١٨٣٢، دخل الثانوية الملكية في «روان» حيث تكشف عن موهبة كبيرة ولكن غير مطبوعة. وفي سنة ١٨٣٤ حرّر في جريدة «فن وارتقاء»، حيث كان للأخبار المسرحية أهمية كبرى.

في خلال صيف سنة ١٨٣٦، التقى في «تروفل» موريس شلزنجر، وامرأته إليزا، التي علق قلبه بحبيها دون أمل. وقد كان هذا الحب نواة كتابه «التربية العاطفية» سنة ١٨٤٣. ثم ابتدأ كتابة مذكرات «مجتون» سنة ١٨٣٨. وفي السنة التالية كتب «حلم الجحيم واليد الحديدية»، وفي الوقت نفسه نشر في مجلة أدبية «روائية» اسمها «الطنان Colibri»، مؤلفه الأول: «درس طبيعى». في سنة ١٨٤٠ انطلق غوستاف فلوبر في رحلة إلى جبال الپيرينيه وجزيرة



غوستاف فلوبر

كورسيكا. وفي السنة التالية التحق بكلية الحقوق في باريس. وفي سنة ١٨٤٢، ولم يكن جاوز العشرين من عمره، كتب «تشرين الثاني». ولحقاً قتل في امتحانات كلية الحقوق شرع في الطبعة الأولى لكتابه «التربية العاطفية». وبينما كان في يوم من أيام سنة ١٨٤٤، على طريق «جسر الأسقف»، أصيب بصدمة عصبية، الأمر الذي دفع والده إلى منعه



من إكمال هواسته ، وهذا به إلى «كرواسيه» قرب «روان» طلباً للراحة .

وكانت سنة ١٨٤٦ سنة حزن كبير فقد مات أبوه وأخته ، ومنذ ذلك الحين عاش مع أمه وحيداً . في هذه الفترة تعرف إلى «لويز كوله» التي أصبحت عشيقته . ونزولاً عند رغبة الأطباء المعالجين ، بهدف شفائه من آلامه العصبية ، رحل فلوير إلى البلاد الحارة ، صحبة صديقه «مكسيم دوكامب» ، حيث زار الشرق سنة ١٨٤٩ ، فحضر على صمصم ، وسورية ، ولبنان ، والقدس ، ورووس ، والقسطنطينية ، وأثينا .

في سنة ١٨٥١ أنجز كتابه «إغراء القديس أنطونيوس» ، ثم رحل إلى إسبارة وبيليونيز (في اليونان) ، وزار «نتراس» ، «بريتيزي» ، وناپولي ، وروما ، وفلورنسا . ودامت رحلته هذه نحو ستين كاملتين . وفي سنة ١٨٥٤ قطع علاقته به «لويز كوله» نهائياً .

بعد ستين من هذا التاريخ نشرت «مدام بولاري» في «مجلة باريس» والتي كان بدأ كتابتها سنة ١٨٥١ ، وهي الرواية التي لاقت نجاحاً كبيراً بسبب جراتها وصراحتها ، ما جرّ على فلوير انتقادات وملاحظات لما حوته من بعض المشاهد الإباحية . وفي السنة التالية صدر حكم ببراءته . وما عثم فلوير أن سافر سنة ١٨٥٨ إلى قسطنطينة ، تونس ، وقرطاج ، للعمل على كتابة «سالمبو» ، الرواية التي أنجزها بعد خمس سنين من سفره الأخير هنا .

وفي سنة ١٨٦٩ نشرت «التربة العاطفية» ولكنها لم تلق إلا نجاحاً بسيطاً . وحين فقد فلوير والدته سنة ١٨٧٢ اشتدت آلامه ، فقال متأثراً : «رايت نفسي بعد خمسة عشر يوماً أن أمي المرأة الطيبة السكية هي الكائن الذي أحببت أكثر من غيره» . وما إن عاد بعد ذلك إلى «كرواسيه» حتى بدأ يفكر بوضع خطة كتابة «بولار ويكوشيه» .

بعد ستين على صدورهما حصدت «إغراء القديس أنطونيوس» انتقبة . ولكن فلوير ظل يكتب ، ولكنه كان يشعر بالام الروماتيزم والنوراستينيا (المرض العصبي) . وفي سنة ١٨٧٧ ، استقر في «باريس» وأنهى «هبروديا» .

وفي خلال شتاء سنة ١٨٧٩ الباردة القارس ، انتقل إلى «كرواسيه» من جديد ، حيث هكف على قراءة «اختبارات موياسان» في مؤلفه «كرة الشحم» .

وفي الثامن من شهر أيار/ مايو سنة ١٨٨٠ توفي غوستاف فلوير فجأة جراء نوبة قلبية ، قبل أن ينجز روايته «بولار ويكوشيه» . ومن دارته شيعه زولا ، غوتكور ، هوديه ، بانفيل ، موياسان ، كوبيه ، هوسمان ، هنك ، الككيس ، إلى مثواه الأخير في مقبرة أسرة فلوير .

### فلوير الكاتب

لا يوجد كاتب أسير ذاته ووجدته مثل فلوير (٥) . لقد حاول عثاً أن يكون سامياً غير مبال ، لكن جميع مؤلفاته تخون أمانيه ورغباته . وهذا لا يعبر ، في تلك الحال ، عن تقلبات سخيصة ، بل عن إيهاعات من خلال مواضيعه المفضلة . هو نفسه يدعونا إلى أنه لميز بين شخصيته ( . . . ) . لقد اختلقت لعملي جزئين ، أحدهما في العالم الخارجي والآخر في أعماقي . . . والأهم هو الفاحية العملية ، أما ذاتي الباطنية فنشغف من خلالها أنقى شباعات النفس ( . . . ) . وليس فهم فلوير بالعمل السهل ، على الكاتب ألا يترك من بعده سوي مؤلفاته . . . وحياته الخاصة لا تعنيا كثيراً . ويدعي فلوير فوق ذلك أن الفن لا علاقة له بالفنان . . . يجب أن نعمل جاهدين لإخفاء ذاتنا .

من هنا يظهر مجدّد فلوير ، إنه عمل مهم يترجع المؤلف في وسطه دون أن يبدو رغم ذلك أنانياً . وهناك اختلاف آخر ، هو أن الأدب الفرنسي يجعل من واقعيتته فناً كبيراً ، ولم يكن هناك في الواقع ما يزعمه أكثر من الكلمة والخيال . فهو يقول لـ «موياسان» : لا تكلمني عن الواقعية والطبيعي أو الاختياري . ما هذه الشغافات ! وتوضع رسالة له إلى جورج صاند هذا الشعور : إنني أسقت ما يسمونه المذهب الواقعي رغم أنني أسعد زعمائه ورواده . . . وليس ثمة شك أن تصرفاته قاسية تجاه مسألة تمتعهم به ولا

(٥) فلوير ، فيكتور برومير ، تترتب شقيقة شغلي ، ص ٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .

تشمله . فالجامعات التي تهتم بالعلوم النظرية أكثر من مثل الفني الأعلى لا تهويه مطلقاً .

إن غوستاف فلوبر يتمتع بوسائل تجعله يحتقر عالم الصحافة والانتصار السهل ، فالجدل تضيق وقت ، وكتابة البيانات والتواريخ دون مسنوه . فالأديب ، كالممثل ، يجب أن يخاطب الجمهور رأساً . لماذا يتلفه أعماله بالخدمات إذا ؟ نظريات إيسل زولا ، التي يقدر قيمتها ومضمونها ، خذلتها أيضاً . فهو يشكو من أفكاره الطحينة ، ويتحامل على النظرية الفنية أكثر من تحامله على الدعاية ، وإذا كان مؤمناً بحقيقة واحدة فهي أولوية الفن على الحياة . وهو يصرح بأن الواقع ليس شرطاً أساسياً في الفن ، بل إن مهمة الكاتب هي أن يتوق نحو الأجمل ، ولذلك يجب الاهتمام بتحصين أيديهم : الشعر والإشياء .

على أن التفاصيل كما يقول لا تستدعي اهتمامه ، لأنه يعتبر التفاصيل الفنية والمعلومات الفنية وأخيراً الناحية التاريخية موضوعاً ثانوياً . فعندما كان يولف رواية «مدام بوفاري» اعترف له لويز كوله : قائلاً : «أريد أن أنقل كل ما أرى ولكن ليس على حاله بل مختلفاً . فالإنشاء الصحيح هو أروع من واقع ، فكلمة «مختلفاً» هي الأهم في هذا الموضوع . ليس علينا أن نقل الحقيقة ونظل عبيداً لها ، بل أن نمتلكها ونسيطر عليها . فتشبه الحقيقة هو في الواقع سبيل إلى رفضها» . وهكذا لا يجد فلوبر يشاومه لفته في الحياة اليومية إلا لكي يهرب منها ، ليصبح الأدب في هذه الحال أداة المحيرة وسبيلاً للنجاة . . . وعندما لا أحمل كتاباً أو لا أرغب في أن أكتب . . . يغمرنني شعور كبير بالملل .

يستوحى فلوبر معظم مؤلفاته من الواقع العادي ، حتى إنه يختلق الدسامة ، إنها الكراهية المحببة إلى الحقيقة ، ورغم ذلك لا يكف عن إظهار اشترازه واحتقاره لهذه الحقيقة الوضيعة التي تجذبه . لقد كتب إلى «لوران بيش» رئيس تحرير مجلة كانت تنشر رواية «مدام بوفاري» في حلقات قائلاً :

«لو أنك تصرفني حق المعرفة لكنت علمت مدى كراهيتي للحياة العادية . يفتنون أنني أعشق الواقع لكنني أكرهه» . على أننا لا يمكن أن نعبر تصرفه هذا بغضاً للواقع أو للمذهب الواقعي . إذ علينا أن نميز بين هاتين التاحيتين . إذ فلوبر يقيم لمة مساواة بينهما ما يشير في ذاته توتراً دائماً ، فهو يتقيد من جهة بالمواضيع كما في كتابه (في أثناء حكم نابليون الثالث) والبورجوازيون في القرن التاسع عشر) ، ومن جهة ثانية يتحامل بشدة على المواضيع الواقعية تاركاً لأهوائه العنان . إنه تناقض وتباعد ليس فقط في المعطيات الفنية بل في التطلعات البيكولوجية أيضاً . فالفن يعني له الهروب من الحقيقة التي يجب الاعتراف بعيشها . وينبع كره فلوبر للواقع من طبعه التشاؤمي ، لكن هذا التشاؤم هو نقطة انطلاق للبحث المتواصل عن المثل العليا .

إن فكرة وجود شخصيتين متناقضتين لفلوبر هي فكرة خاطئة ، فإشارة يدر بمظهر الرومانسي الذي ألف «إغراء القديس أنطونيوس» وثارة يبدو كأنه الطبيب الذي يداوي نفسه بتأليف «مدام بوفاري» . وتبين نظرة عابرة على مراسلاته مدى غباوة هذا الانقسام . ليس هناك حواجز ثابتة ، ففي فترة تأليفه «مدام بوفاري» كان يشرح له لويز كوله أنه يتوق إلى الهجاز والاستمارة . هو نفسه يشخص حالته وحبه للاستمارات «خلقت لنا غناياتاً» وكل ما هو طبيعي بالنسبة إليّ هو غير طبيعي عند الآخرين» .

فلوبر يعتقد أن جوهر الأدب يكمن في الشعور ، وهو مفتتح تماماً أن من واجب الكاتب أن يغمس في أعماق أسرار اللغة . وتعني الموهبة الأدبية صراعاً قائماً مع الكلمات ، وشغفاً للقافية الرنانة ، وسعياً لحلق عبارات وإقاعات محسوسة . وترتبط المضادات العنيفة وولعه بالألوان أوتباطاً وثيقاً بالرومانسية التي لم ينكرها مطلقاً ، مشابهاً في ذلك «بولير» الذي يفتخر بحمله جنود الرومانسية . وقد رغب فلوبر في أن يعتبر نفسه آخر الكتاب الغنائين ، هذه السلسلة المباداة . والقائنية تعني في مغرقاته الميل إلى الأوهام . والحنين إلى المحظورات ، وقدرة فائقة للحماسة . إنه يهوى التأمل ، فبعد قراءة كتاب



«المُسْئَلَةُ لتورغنيف» قال : كنت أعتف من شدة الفرح . ووصف فيكتور هوغو بالرجل العظيم . ولا يتوقف إصجاباه عند هذا الحد بل يتمداه إلى إحساس مقدس ياخشوع ، فحينما يذكر «فرجيل» يقول : «عندما ننظر إلى العظماء وإلى الكمال كم نحترق أنفسنا» . ويقول أيضاً : «تُخِيلُ إليّ أنني إذا شاهدت شكسبير سأرتعد خوفاً» .

فلوير بفضل اللامحدود دائماً ، ويتلذذ بالرؤية العظيمة والصور الملحمية ، فهو راجع وتطلعه إلى اللامحدوس تحلق به بعيداً إلى عالم يضيح بالحركة رغم سكونه . كان مثاثراً بأساده ومفتناً بوجود الحكمة حتى في الجشع . من هنا تولد تعلقه بالمستحيل وتعلقه الدائم . فالحب جنون ومرضى . . . لقد أمضى خمساً وعشرين سنة من عمره في حياة نقشت تصصف بها الأنواء الجسدية ، وكتابه «إغراء القديس أنطونيوس» هو خير مثال على ذلك ، يظهر تعلقه إلى الأثر بوصف في أصنافه «إثارة الغريزة والجنون إلى المستحيل الذي يشل «فردريك مورو» عن الحركة ، والشغف إلى المعرفة في «بولار ويكوشيه» ، ومع روايته «ميروديا» ابتدأ الصراع في نفسه ، صراع أعشى بين النظام والقوى كانت نتيجته تفوق الأحلام والسكون .

إن أهم ما يميز عبقرية فلوير هو خياله . إنه خيال خليق حتى بالجنون وطبيعة الأمراض . فالمرض والألم والشعور بالفناء هي أهم أسس الفن . لم يشله التشاؤم والكآبة وبعده عن الإنتاج الوفير ، فمن الألم ينبع أسس معاني الحياة ، وهو بعد ذاته سخاء وعطاء ، وإذا ما فقد الإنسان فقد قيمته . ولذا فإن نزعة التشاؤمية لا تنعده عن الحركة والتشاط . بل هي تدفعه إلى الخلق الفني الرائي ، يجد من الفن نفسه الشاتية وشفاها السريع . تترجم مراسلاته بكثير من الأمثلة ، فقد كتب إلى «ألفرد لوبواتيان» يقول : «اعمل . . . اكسب . . . اكتب ما دمت قادراً على ذلك . . . فنحن لا نشعر بثقل الحياة على عاهلنا ما دمتا نؤلف» . وبعد مرور ثلاثين عاماً وجه رسالة إلى «تورغنيف» جاء فيها : «لا يجب أن نهذاً أبداً ، ففي هذه اللحظة بالذات تفكر بأنفسنا أكثر

ونشعر بالمرض فعلاً . . . فماذا هناك أرقى من الفن ؟ إنه السبيل الوحيد للخلاص . . . للكمال والتحرر» .

كان فلوير يعمل ساعات طويلة متواصلة ويدعو الجميع إلى التمثل به ، وإلى اللجوء إلى العمل والتأليف ، فبالعمل المهدى تتحدى الحياة والمثل والفناء . إنه يُحَدِّثُ يعمل إلى درجة الكبرياء . ولحق أن رسائله تحمل ثمار أفكاره وشملها إحساس غريب ، إنها اللذة الإليمة التي يولدها الإبداع الفني . شرح لصاحبه لويز بإسهاب معاني الفن السامية : « . . . حينما تجلدين نفسك وحيطة في غرفتك ، أو تنظرين إلى اللهيب في الموقدة ، تنحرين أن لا شيء يلمسك ولا تتمنين على أحد ، عندئذ تحت ومن المرأة تبحث فجأة إلسة الشعر من أحماضك وتعزف لحناً حزيناً وفرحاً معاً يشبه لحن القتال ، لحناً يتحدى الحياة . . . » .

من اللاشيء والعدم يحاول فلوير أن يرتفع بمسرى تفكيره فيصبح العدم منبع إلهام وحي عظيم . وتكمن روعة مؤلفات فوسشاف فلوير في تلك التناقضات بين الواقعية والمثالية ، فهو يريد إظهار الحقيقة عارية مجردة من القيم ، وهو يعتقد أيضاً أن الجمال مثل النجوم لا يسقط من السماء .

#### مؤلفاته :

- ثلاث صفحات من دفتر تلميذ 1831 Trois Pages d'un cahier d'élève
- قصص ومقالات 1835 - 1836: Narrations et discours
- عشق وقضية (قصة فلسفية) 1837: Passion et vertu (conte philosophique)
- مذكرات مسجنون ولويس 1838: Les Mémoires d'un fou, et Loys % (drame)
- الحادي عشر (دراما)
- سمار ، لغز قديم 1839: Simsb, vieux mystère
- مذكرات ، ملاحظات وأفكار 1840 - 1841: Souvenirs, notes et pensées in
- حيمة times

1842: November

1845: L'Éducation sentimentale

(1ère version)

1848: Par les champs et les grèves (Récit de voyage en Bretagne)

1849: La Tentation de Saint Antoine

(1ère version)

1857: Madame Bovary

1862: Salammbô

1869: L'Éducation sentimentale

(2ème version)

1874: La Tentation de Saint - Antoine

(2ème version) et Le Candidat

1877: Trois Contes

1881: Boulevard et Pécuchet

1887 - 1905: Correspondances

- تشرين الثاني

- التربية العاطفية

(الترجمة الأولى)

- من خلال الحقول والرمال  
(وصف رحلة إلى بريطانيا)

- إغراء القديس أنطونيوس  
(الترجمة الأولى)

- مدام بوفاري

- سالامبو

- التربية العاطفية  
(الترجمة الثانية)

- إغراء القديس أنطونيوس  
(الترجمة الثانية) والمرشح

- ثلاث قصص

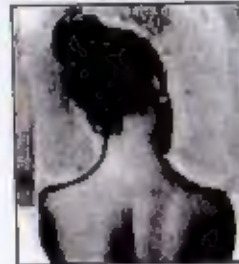
- بوفاري وكوشيه (نُشرت بعد وفاته)

- رسائل (جُمعت بعد وفاته في كتاب)

مدام بوفاري :

«إيما روى» ابنة مزارع وزوجة شاول بوفاري (طبيب صحة عامة) في مدينة

نوست في نورمانديا ، كانت تعلم بأن تتزوج في منتصف الليل على غصوه المشاعل ، ولكن كان عليها أن تقنع بزواج بسيط . وصادف أن دُعي الزوجان إلى حفل أقامه الكريز (فريسن) في قصره . وهناك دخلت «إيما» أخيراً في العالم الذي لم تكن شاهده إلا من خلال قراءاتها الرومانسية .



كانت ليلة لا تُنسى ! ولكن «إيما» لم تكن لتحمل عودتها إلى الحياة البائسة في بيتها إلى جوار زوج ليس لديه بسطة من عيش .

وفي أثناء أيام طويلة من الملل ، وقعت طمحة مرض عصبي ، فقرر زوجها «شارل» أنه يتقل بها إلى مدينة «يونيفل» ، حيث تمررت هناك إلى شخصيات محلية : هوميه السيدلي ، ليون كاتب موقوف المقود ، رودولف الحليار ، مالك وغني . وبعد أسابيع من وضعها طفلة صغيرة ، عشقت رودولف بجنون وأرادت أن تهرب معه ، ولكنه - ببب جيت - تخلى عنها واختفى . وما عثم أن منقطت مريضة من جديد ولازمت فراشها . ولكن يسي زوجها عنها ، بعد إيلائها ، اصطحبها إلى المسرح في «روان» حيث عادت فالتقت ليون ، الذي كان أحبها فيما مضى ، ومرعان ما أصيبت عشيقته .

بعد ذلك عاشت «إيما بوفاري» حياة كذب وتفاق وإشفاق وإسراف دون وعي ، ما دفعها إلى الاستئذنة بعد أن رهنّت جميع أملاك زوجها ، ولما وجدت نفسها في النهاية عاجزة عن سداد الدين التحرت بتجرعها الزرنيخ .

فلويرير ورائعته «مدام بوفاري» (\*)

استوحى فلويرير من أحداث مختلفة ومن أشخاص حقيقيين ليؤلف هذه الرواية الواقعية . وهذا التحليل النفسي لجده في ملامح صورة والده الطيب تحت صفات الدكتور لاريبيير . وقد كشف مؤلفه هذا بتجاذع الآلية الاستحواذية العالدة إلى الشهرة والجمال بأسلوب جيد وصريح . وقد امتد فلويرير في كل ذلك إلى توثيق قوي لا يواز هذه الحياة الزوجية دون حذف أية حقائق أو تفاصيل .

وقد بدأ آن الحوايات والأوصاف والوقائع كانت ساذجة أحياناً ، لكنها كانت من صلب الواقع المدق ، تعطي (تطباعاً حقيقياً) . فقد كان لدى المؤلف

(\*) يُذكر هنا أن قضية رُفعت على فلويرير أمام محكمة جنح باريس - بعد نشر الرواية - برئاسة السيد دو بارل جلسة ٣١ كانون الثاني / يناير ٧ شباط / فبراير سنة ١٨٥٧ في القسرة السادسة انتهت وانتهى بترثه .









## القسم الأول

- ١ -

كنا صباح يوم في غرفة الدراسة ، عندما دخل علينا الناظر يتبعه تلميذ جديد لا يرتدي الزي المدرسي ، وخادم يحمل محفظة كبيرة ، فاستيقظ من كان نائماً ، وانتصب كل منا واقفاً ، وكأنه فوجئ على حين غفلة برفيق يطلع على عمله !

وأشار إلينا الناظر بالعودة إلى الجلوس ، ثم التفت إلى المدرس قائلاً في صوت خفيض : « مسيو روجيه » . هذا تلميذ جديد أوصيك به . لقد التحق بدروس السنة الخامسة ، ولكن إذا بدا تحصيله وسلوكه مرضيين فسوف ينقل إلى الصفوف العليا التي تناسب سنه .

وهناك في الزاوية الواقعة خلف الباب ، حيث لا يكاد يُرى ، لاح التلميذ الجديد . كان عملاً رقيقاً في نحو الخامسة عشرة من عمره ، أطول قامته منا جميعاً . وكان شعره متسقاً ومستوياً فوق جبهته ، كمخني القرية ، وقد ظهر عليه التحفظ والارتباك . وبالرغم من أنه لم يكن عريض المنكبين ، فإن سترته الخضراء ، ذات الأزوار السوداء ، كانت تحدد من حركاته ، وقد انحسر كماها عن معصميه اللذين بدا أنهما ألفا العري . . كما كانت قدماه - اللتان يكسوهما جوربان أزرقان - تبرزان من بنطلون أصفر ، تشده الحماله شداً قوياً . . وفي طرفيهما فردنا حذاء سبينا التلميع ، تنشر فيهما المسامير بكثرة ملحوظة .

وبدأ المدرس اختبار التلاميذ فيما لديهم من دروس ، فأخذ التلميذ الجديد ينصت إليهم بكل جوارحه ، وكأنه يصغي إلى موعظة في الكنيسة ، دون أن يجسر حتى على أن يضع ساقاً على ساق ، أو أن يتكئ بمرفقيه على المحفظة ! . . وعندما دق الجرس في الساعة الثانية ، اضطر المدرس إلى أن ينهه كي يتخذ مكانه في الصف !



وكان من عادتنا ، إذ ما دخل غرفة الدرس ، أن نلقي بفلاساً أرضاً ، كي نتحرر أيدينا لأداء الصلاة . فكانت نقذف بها تحت المقاعد بمجرد بلوغه عتبة الباب ، وبقرة تجمعها ترتطم بالحائط فتشير كثيراً من العباد . وكانت هذه الحركة من «الأصول المرحية» التي تنهاى بها !

غير أن التلميذ الجديد لم يحفظ هذه الحركة ، أو لعله لمحبها ولكنه سم يحرق على القيام بها . فدثمت الصلاة وفسوته لا تزال على ركشبه . وكانت في حفيظة ففسوته من طرار معدد ، لتجمع بين «الطائفة» ذات الثوب ، و«السدة» ، والعبدة المستديرة ، و«فلسوة الغراء» ، والطائفة القطبية ! وبالجملة ، كان من تلك القلائس الزرية التي يحمل فحبها الصاب من العجيرات العميقة ما يحمله وجه الأبله ! كانت يصوية ، يرمع حوائبها هيكل مصلح في داخلها يكسبها الشكل المتعرج ، وتبدأ بثلاث كريات صغيرة ، تليها قطع من الخمل ومن قراء الأرب من شكل «الحصى» الهندسي ، يفصل بينها شريط أحمر . ويعقب ذلك شيء يشبه الكيس ، ينهي بقطعه من الورق المقوى مشعدة الأضلاع ، تكون رمزة مطررة مشعدة الأشكال ، ويشتمل منها حل هزيل رفيع جداً ، في نهايته صيد صغير من حيوط مذهبة يشبه «القنارية» !

كانت قيسوة من طراز جديد ذات حافة مرآة !

وقال المدرس لبعضهم : «هيا ! فوقف» وسقطت القيسوة عن ركشبه . فانعجز التلاميذ جميعاً صاحبكين ، بهم اتهم هو فالقطعة ، ولكن جاره أسقطها مرة أخرى بضربه من مرفعه ، فداد العصى إلى الأرض سقطها من جديد . وكان المدرس حاضراً النكتة ، فقال له : «تعلمس يا فتى من خودك» !

واسطق التلاميذ بذلك في ثورة من الصرخات الصبح ، ما أريك العصى المسكين ، حتى لم يمد يدي أيحتفظ بقلوبه في يده ، أم يلقبها على الأرض ، أم يضعها على رأسه . وأخيراً ، جمس ووضعها على ركشبه

وعاد المدرس يقول له : «هيا ! ما اسبك» ! وقم التلميذ الجديد باسم غير معروف ، فنهك المدرس : «أهد» ! وكثر التلميذ المصارع ذاتها في

خمسة طقوب عبيد قهقهة رملاته جميعاً . فصاح المدرس : «ارفع صوتك ! ارفع صوتك» !

واستجمع التلميذ الجديد كل حرمة ، وبصر فهاً مرابي الأبعاد ، وعياً رثيه بالهواء ثم قذف باسم «شار بوفاري» وكأنه ينادي شخصاً !

وانعجز التلاميذ من جديد في ضجيج صახب ، حاد ، مضطرد . فأنزلوا يصيحون ، ويصيحون ، ويدورون الأرض بأنفسهم مردين : «شار بوفاري» . «شار بوفاري» ! في نعمات مسرلة . لم تكن تهدأ . بعد مشقة بالغة . إلا تعود في ناحية من غرفة الدراسة ، أو في صف أأكفه من صفوف التلاميذ ، تتصنها . هـ رهاك . صحكه مكتومة ، كقدية لم تخمد بعد تماماً .

وأخيراً ، عاد الهدوء إلى غرفة الدراسة شيئاً فشيئاً ، بعد زبل من العفاب ، وتمكن المدرس من النفاذ اسم «شار بوفاري» ، بعد أن طلب إلى صاحب أن يوضحه كتابة ، وهجا ، وتلاوة ! ثم أسر اسكين بال يدهب فيجلس على «مقعد الكسالى» تحت حافه المنصة مباشرة ، قشرع صاحباً يتحرك بيد أنه تردد قبل أن يشرح مكانه ، فسأله المدرس : «عم بحث؟» . وأجاب التلميذ جديده وهو يتنصب حوله بظرائره خلفه : «مسو» ! ولم يتم كلمته . إذ

انفجرت حاصنة الضحك من جديد ، فصاح المدرس في صعد هادر : «على كن منكم أن ينسخ خمسمائة بيت من الشعر» . وكانت همرخته أشبه بصيغة «يقول» . «لله الحار» التي أطلقها متوجعاً الرباح إذ ثارت دون أمره ، على ما جاء في الأساطير ! . وما بث أن أضاف وهو يجتمع عرق جبهته بمديل أخرجه من بين ثيابا وفائه المهمل «كمي» ! الرمو الصمت ! ثم التفت إلى التلميذ الجديد قائلاً : «أنا أنت ، فعليك أن تسبح في عبارة «أنا مضحكت» عشرين مرة . ثم أردفه في صوت أكثر رده : «السوف تجد قلسونك ، فإن أحياناً سم يصرقها» !

وعاد كل شيء إلى هدوئه . وانحنت رؤوس التلاميذ فوق المناضد ، يساء ظن التلميذ الجديد صاحته في جلسة مثالية ، وإن أحدثت تطلق . بين وقت

وأحر - كره من الورق الملوث بدماء لشطخ وجهه ، فكان يمسح أمداد بيده ، ويستأنف جيبته دون حراك ، وهو منكس البصر !

وفي غرفة الاستعداد - في المساء - أخرج من دوحه الكمين الأسودين ، اللذين يمسكهما خلف كعبي السترة وقت العمل ، ورتب أدواته البسيطة ، وأغبر في حيلة كتابة العارة التي مرضها عليه الأستاذ كعقاب ، ثم كعب على عصبه في إخلاص - بحثاً في العاموس عن جميع الكفومات ، غير مدعرج جهداً ولا شك أن هذه الإرادة الطقة هي التي حالت دون نقله إلى مرفقة دراسية أدنى من التي أطلق بها ! ومع أنه كان ممسكاً بقواعد النعمة إلى حد ما ، إلا أنه لم يزل علاقة التعبير ، فقد كان قس صريته هو الذي بدأ تفقيته اللاتينية ، إذ أرجأ أهله إرساله إلى المدرسة أصول خترة بمكنة ، اقتصاداً منهم للعقبات !

كان أبوه - شارل - ديس بارنومي بوفاري ، في السابق مساعد جراح في الجيش ، تورط في بعض المسائل المتصلة بالتحيد في سنة ١٨١٢ ، واضطر إلى ترك الخدمة بيد أنه كان قد وقع في استغلال موهبه الشخصيه ، مظهر بصدائق - «دولة» - قدره ستون ألفاً من الفرنكات ، حملته إليه أمانة صاحب مصنع للقمح عشت وسماته ! فقد كان فارغ القوم ، يحس النهريج والشيشة بمجهائيه ، وقد أرسل لحية متصله بشاريه ، واعتاد أن يرس أصابعه دائماً بظفوفهم ، وأن يتحير لملابه الألوام انصاره ! وكان له مظهر الرجل الشجاع ، مع حجة اسدوب الكثير الأسفار وقد ظل يعيش - بعد الزواج - حاملاً أو ثلاثة من ثروة زوجته ، يحم بالفداء الطيب ، ويستيقظ متأخراً ، ويدعس في غلايين كبيرة من الخرق ، ويسود على المقامي ، ولا يعود إلى مرله في كل مساء ، إلا بعد أن تعلق المقاهي أبوابها - حتى إذا مات والد زوجته ، أحرقه أن الرجل لم يحلف ثروته مدكر ، فحدود أن يغير المصع من بعده ، لكنه حمر بعض اللان ، فآثر الانسحاب إلى القريه حيث حاول أن يعمل في الإنساح الزراعي - غير أنه لم يكن أكثر درايه بالزراعة منه بالصناعة فلم يثبت أن يبين أن من خير له أن يغلى عن اشتداد ما يعي له من مال

واستطاع أن يجد في إحدى القرى المتاحمة لقلعته (كو) و(يكرد) ، مكاناً يشبه دور الفلاحين يقدر ما يشبه دور السادة - مقابل مائتي فرنك في العام ، فحسب فيه مئة مذ كان في الخامسة والأربعين من عمره ، وقد استبد به العم ، وأخذ يهشه الدم ، وراح يسبه القدر ، ويحد الشر ، وعلى أنه قد سئم الس أجمعين - وفرد أن يعيش في هدوء عيشه ، يستسكين !

وكانت روحته في البداية عدليه في هواه ، فأبدت له من مظاهر الاستكناة والخصوع ما زادها منها بصورة ، وتحصنت أشد الآلام في بادئ الأمر ، دون أن تشكو من جريه ورده عاهرات القرية ، ليعود إليها في المساء وريح الحمر تهب منه ! فلما ثارت كبرياتها ، لم تملك سوى أن تنكم العصب في صدره ، ولادت بوجع من الصمت الفلسفي لأزمها حتى الموت !

وعندما أعجت طفلاً ، اضطرب إلى أن تعهد به إلى مربية - حتى إذا عاد الوليدة إلى أبويه ، أسرف في بديله كما لو كان أميراً ، فكانت الأم بعده بدخولي والمزني - وكان لأب يركه يرتع حاضي القدمين ، ويصعب - متدسماً - بأن عقله غير قادر على أن يظل عزيزاً كصغار الحيوانات ! وكان الأب - على العكس من اتجاه الأم - يتخيل في ذهنه صورة لما يسعى أن يكون عليه رجولة العظم ، فحاوله - لتحقيقتها - أن يشي أبه بشأه خشه عنى عمار الطريقة «الإنسبرعية» فكان يرسل الطفل إلى الفراش دون نار تدفئ حجرته ، ليموي بيته ! وكان بموده على تدوين حركات كبيرة من «الروم» ويلمسه السحرية من الطموس الأدبيه - بيد أن العظم كان هادئاً بمطرته ، فلم يستجب لهذه التوجيهات الأتوية

وكانت أمه تجره حطفاً دائماً ، وتضع له من الورق المقوى لماً ، وتزوي له القصص ، وتؤثره بأحدث لا نهاية بها ، بمسرح فيها لمرح والتهويل بالكآبه والمحاكاة والدليل - وهي تلك العرلة التي كانت تمشي فيها مع ولدها ، صبت في محبة الطفل كل ما كان يحالط نفسها من طموح مشته ، كانت تطمع في أن يرصني به كبريائه الخطيه - كانت تحلم له بأرفع المناصب ، وتتصوره



وقد كثر ، وعددًا وسيمًا ، حاضري الديانة ، متربعا في أحد ماصب مصدحة الطرق وجسور ، أو في أحد مراكز القضاء . ومن ثم تولد بعينه القراء ، ونقته أعيتي ، أو ثلاثاً ، كانت تعرف له الخاطي على معرف خديم لديها

عن أبي السيد «بولاري» ، لم يكن يحمل كثيراً بالثقافة ، فلم ير في كل هذه الجهود شيئاً ، فيه . كان كل ما يعيه هو التفكير فيما إذا كان سيقدّر لها يوماً أن يجد لها يكفل بها تعليم الطفل في مدارس الحكومه ، أو ما يتكلمها من أن يساعده مكتاً أو مجرة . وكان فوق ذلك - يعتقد أن الإتيان يستطيع أن يحج في حياة «المصنعة» أما السيدة «بولاري» فكانت بعض شعبيها حفاً ، وهي ترى أنها يتكلم في القرية . إذ كان يحلو للطفل أن يسع لأزاعي في حزنهم ، وأن يطارد الصبيان بالخص ، وأن ينهض التوت من فوق الأشجار ، ويرعى الديكة الرومية بعصبة طويلة ، ويتولى في أوقات الحصاد نقليل احرم لجف ، ويرعى في العانة ، ويذهب «الحجدة» في منه الكنيسة في الأيام عطية . وكان يسوس إلى حادم الكنيسة ليتركه يفرغ الأجراس في الأعياد الكبيرة ، فيتعلق كل حصة بالجلل الصمغ ، ويروح نعم بالإحسان بنفسه محمولاً على الهوة وأصل يتأرجح به !

وهكذا نشأ الصبي نشأة طبيعية ، تماماً كشجرة اللوط . فلوئي ساعدين قريين ، ولولم يذهباً !

وحين بلغ الثانية عشرة من عمره ، أحب أمه في أن يبدأ دراسته ، فتعدهه قس العنة ، غير أن الدروس كانت من القصر وعدم الانتظام بحيث لم يكن يرجي منها نوع كبير . فقد كان العصر يلقيه الدروس في محرو الكنيسة ، كلما سمحت له فرصة عابرة بين صلاة تمديد وصلاة جوار . وكان الطفل يتنقها وهو واقف على قدميه . بل إنه القس كان يرسل في استدعاء تلميذه - في بعض الأيام - عقب فراغه من صلاة المغرب ، إذ لم يكن لديه ما يدعو إلى الخروج . فكان يصعدان إلى حجرة القس ، ويحسان لندرس عن ضوء مصباح يحرم حوله الذهب ووراثات اللبس . وكان الجو يحار بعري الصبي

باليوم ، كما يعو القس ويده فوق ظهره ، فلا يست أن يستعصم من معه المفتوح . كحدث كتاب القس في أثناء هودته من تقسيم الركبة لأحد القرص في قرية مجاورة يلتقي أحداً بشرك الصغير وهو يتكلم في الحق ، يدعو إليه ، ويقضي ربع ساعة فيه وعطه لحب شجرة . ثم ينهر الصرص يحسنه على تصريف العمل الذي كلفه باستدراكه . وكثيراً ما كان يقطع عليها الدرس سموط ظفر ، أو مرور أحد المعارف . وكان القس - بعد ذلك - يدي رصاه من العصي . بل إنه كان يقول إنه ذاكرة قوية !

ولم يكن لشارك أن يكتبي بهذا الفدو من الدراسة المتعصمة ، إذ كانت أمه عبدة في إصرارها على تعليمه . ومن يشا الولد أن يقاوم ، إذ عليه الحري . أو - بالأحرى - الصبي . ولكنها تراث عاماً آخر ، يشهد يتاح للصبي أن يتناول «القريان المقدس» الأول في حياته . وما إن انقضت سنة أشهر على ذلك ، حتى تقرر نهائياً إرساله إلى مدرسة (روان) ، وصحبه أبوه بنفسه في أواخر شهر تشرين الأول / أكتوبر ، إبان موسم «القدس وروان»

لا يمكن لأحد ما أن يتذكر لأن شيئاً من «شارب بولاري» غير أنه كان عادي حرج والطباع ، يذهب في فترات الفراغ ، ويستذكر في نومه المخصص لذلك ، ويصفي بالثناء في غرفة الدرس ، ويأكل في قاعة الطعام ، ويام في «الدير» . شأن أي تلميذ آخر . وكان ولي أمره في (روان) ناجراً يبيع الحديد والحفرة بالجملة ، في شارع (حانتيري) . وقد اعتاد أن يسمح له بالخروج من المدرسة في يوم واحد من أيام الأحد في كل شهر ، فكان يعد - بعد أن يظني شجرة - ليصحبه إلى المرحلة ومشاهدة السعي الرئاسة في المدينة ، ثم يعود به إلى المدرسة في الساعة السابعة ، قبيل موعد العشاء . وفي مساء كل يوم خميس ، كان الصبي يكتب لأمه خطاباً طويلاً بالمداد الأحمر ، يعلمه جيداً ، ثم يستذكر دروس الفريخ ، أو يقرأ في كتاب قديم - عن رحله فإن كاريس - . يعثر به مهملاً في غرفة الدرس . كما كان يحدث له في أثناء

أوقات الفراغ أن يتحدث إلى الخادم الذي كان من أبناء الربوب منه ؟

وعد استطاع بفضل اجتهاده أن يحتفظ دائماً بتريب متوسط بين تلايل صمه بين إنه وفق مرة إلى الحصول على جائزة في التريب الطبيعى . بيد أن والديه ما لبث أن اتسرعاه من المدرسة ، وهو لم يعد في السنة الثانية ، ليحصله على دراسة الطب فقط ، إذ كان يؤمك قدرته على أن يستكمل دراسته دون معونة من أحد !

وس ثم احتسب له أمه غرفة في الطابق الرابع من منزل بطل على سهر (روبيك) ، عهد رجل من معارفه يشتمل بالصبيحة . وبعد أن دبروت أمر إقامته ، حصص له على بعض أثاث قتل في مضمده ومفعلين ، كما أحضر له من دارها سريراً مديماً من خشب الكرز ، واثاثاً قرضي مديماً من الحديد الرهر ، وكمية من الأثاث لتدنة صغيرها المسكين ! ثم رحلت في نهاية الأسرع ، بعد أن أزوجت إليه مثانت الوصايا بأن يحسن السلوك . بعد أن علما طليفاً دون رقيب

ولكن أشاره كاد يصق ، حين رأى برنامج درسه في روحه الإعلان . كانت هناك دروس في التشريح ، ودروس في علم الأمراض (الباثولوجيا) ، ودروس في علم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) ، ودروس في الصيدلة (الفارماكوبيا) ، ودروس في الكيمياء وفي الباب وفي التشخيص ، والملاح . بعد علم الصحة ، وعلم الطب . أسماء شتى كان يحصل اشتغاقها ومما فيها جميعاً ، مدت به حياء أبواب هياكل نكتتها الطفلمات ! وهو لم يعلم من هذه الدروس شيئاً ؟ . من إته لم يستطع - رغم إصعانه في انتباه تام - أن يعقه له معنى ؟ وكانت لديه كرمسات مجلده واثبت على تدوين دروسه فيها ، واجتهاد ، ولم يتحلف يوماً على الطواف بأسرة المرضى في مستشفى . كما كان يزدي واجباته اليومية على نحو ما يفعل بعض الطاحونة ، إذ يتور في مكانه وهو محضوب العين ، لا يعرف عن نوع الخبواب التي يستخر لطحنها شيئاً ؟

وكانت أمه ترمل إليه في كل أسرع قطعة من اللحم المشوي ، فكان يتناول منها عدده - إذا ما عاد من المستشفى - وهو جالس ينظر الحائط بجذاته ثم لا يلبث أن يعود إلى الدروس في داعة الجراحات أو «عانة» المستشفى ، حتى إذا أقل النهار ، عاد إلى غرفه سالكاً الطريق الطويل عبر البدة ، فيحاول ما يقدمه له صاحب المنزل من عشاء هزيل ، ثم يصعد إلى حجرته ليكف على الاشتدات أمام بأو المدفأة ، واليغار يتصاعد من علبسه المبللة .

وفي أميات الصيف الجميلة ، حين كانت الطرقات حارة تقمر من اذاره ، وتلهو الخدمات بكرات من القطن أمام الدور ، كان «شارب» يصبح نامدة ، وتكون برقيقه على حافته ، ليطل على النهر ، الذي يجعل من هذا الحلي من أحياء (روان) ، يشه مدينة (بنديج) صغيرة ، مترصعة . وكان النهر يساب تحب يصوره من الفساطر ولأسوار ، تنعكس على صفحه الألوان الصماء ، والبسجية ، والورقة . . . وقد جث العمال على حافته يصلون أذرعهم بمائة .

وأخذ جسمه يحل ، وعده يستط . واكنى وجهه وجوماً مائجاً أصغر عليه مسحة من الجدبية ! وبدأت حمامته لدروس تكثر ، فكان من الطبيعى أن يتحدث من المجهود التي قطعها على نفسه . وكان أن تقاضى يوماً من الفرور لتفقد مرضى المستشفى . وفي اليوم التالي تحلف عن إحدى الماضومات . شيئاً فشيئاً ، استاع الكمل حتى انتهى به الأمر إلى الانقطاع عن الدروس نهائياً ؟ وأدس ارتباد ماضي ، وشعف يلعب «الدومينو»

وحل إليه أن في احتباس نفسه هكذا ، كل مساء ، في حافة قدوة ، حيث يفرغ وعده ماضد بقطع «الدومينو» المنصوعة من عظام الخراف وقد حصرت فيها بعض سواد . . . لحيل إليه أن في هذا العمل مظهرأ لبحرية يرفع من تقديره لنفسه ! كان هذا - في نظره - مقدمة للحياة الدنيا ، وسبيلاً إلى السلات لمطورة . فكان بشعر عديم يضع يده على مفص الباب - بعد عودته إلى غرفته في المساء - بشرة نكاد شبه اللدة الحسية

ونفتحت نفسه عن رعبات كثيرة كانت مكبوتة ، فحفظ من ظهر قلب



بعض الأعيان التي كان يستقبل بها الزائرات ، وتمسك ليبر بحجبه ، مؤلف  
الأشعار المراثية . وتعلم كيف يهرج أنواع الكحول . وأخيراً ، عرف الحب  
وسبي الطب !

وبفضل تلبية الرغبات المحظورة ، كان وسوبه في الامتداد شيئاً ، بينما كان  
والدها يرتبان هودته مكثلاً بالجناح في درهما ليحتضنها !

•

عاد «شارل» يحرر أديال العشب ، حتى إذا بلغ مدخل القوية ، توقف  
وأرسل في طلب أمه ، وقصّ عليها ما أصابه . فالتفت له الأعداء ، وهرب  
رسوبه إلى ظلم المصحف ، وأولته بعض الشجيع ، أحده على عاتقها تدبير  
الأمور . ولم يعلم السيد «بولدي» بأحقيقة ، لا بعد خمس سنوات .  
وكانت قد فقدت جدتها ، فتعبدتها في تسليم ، وإن لم يتصور أن من الممكن أن  
يكون في سلالة ابن خاش !

على أنه «شارل» تحوّل إلى أخذ سرّة أخرى ، فاقبل يراجع دروسه دون  
توان ، واستظهر جميع المواد ، فعاد في الامتحان النهائي بدرجة لا بأس بها  
وما كان أسعد أمه يوم نجاحه . فقد أولت في ذلك اليوم وبيّة كبيرة !  
والآن . وبعد أن أصبح ابنها عيباً . يرى أين يمشي مهتة ؟ أمي  
(نوست) ؟ بعد كان هناك طبيب ضائع في المس نسوق مدام «بولدي»  
مونه مند أمد طويل ، فلم يترث «شارل» حتى يودع الشيخ الحياة ، بل استقر  
في مواجهته كحليقة له !

ونكن الأمر لم يتة بتربية الابن ، وتعلمه الطب ، واتحاد (نوست) مقرأ  
يراون فيه مهتة . إذ كان لا يد به من امرأة ! . ووجدت له أمه الزوجة  
المشودة . امرأة أحد محضري (دويك) . لها من العمر خمس وأربعون  
سنة ، ومن أدخل ألف ومائتا فرنك !

ومع أن مدام «دويك» هذه كانت ذميمة ، عرجاء كالوند ، غلاً البشر  
وجهه كما شتر البواهم في الأشجار في فصل الربيع ، إلا أن حرص اختيار

الزوج كانت واسعة أمامها ، ما حد ، لأن «بولدي» إلى أن نجده كي تعلب  
على الساعين بعمور بطيب يلد . وبالعمل ، استطاعت أن تحصد الأرباح  
مضات كالرجال الذين يؤثرون !

وكان «شارل» يحال أن الزوج سيمكنه من تحسين حاله ، يحصل أكثر حرية  
وقدرة على التصرف في شؤونه الشخصية ودالية ، فغير أن زوجته لم تلبث أن  
عذت صاحبة الأمر والسفطان ، حتى لقد كانت قلبي عليه ما يسمي أن يقو  
أمام الناس وما يحب أن يتبع عن قوله ! . وفرضت عليه أن يصوم أيام  
الجمعة ، وأن يرتدي من الثوب ما يحب مي . . وأن يسبح في مطابقة العملاء  
الذين لا يدمعون أيماناً ! بل إنهم كانت تمنح خطباته ، وتراقب حركاته ،  
ويسترق السمع خلال ثوب الباب ، إذا ما حضرت بعض السيدات إلى  
العبادة !

إلى كل هذا ، كانت في حاجة إلى كوب من «الكافور» كل صباح ، وإلى  
أنواع من الرصاة لا حصر لها . وكانت دائمة لشكري من أعضائها ،  
وحسرها ، ومعاصلها ! يؤذيها وقع الأقدام . وثقل عليها الوحدة إذا  
ضادها . فلا تسعى أحد إلى جوارها ، طب أنه لم يأت . لا لينهد  
احتضنها ! . وكانت إذا ما عاد «شارل» في المساء ، تخرج دواعيها  
المحجرات من تحت أغطية الفراش لتطوق رقبته . وما إن يجلس على حافة  
اسرير . حتى تنطلق ثمة هومها ، قهوي يساها ، ويحب غيرها ! . ولقد تلبّوا  
بها بأنهم سسعي ! ثم تنتهي من قبض الهوم والهاوجس إلى أن تسأله  
رجاحة من فواء يقوي صحتها . . وقدراً أكبر من الحب ! !

- ٢ -

في إحدى الليالي ، حوالي الساعة الحادية عشرة ، استيقظ «شارل» وروجه  
وخادمته على وقع حوافر جواد مسرع ، لم يلبث أن توقف أمام باب  
دارتهم . وفتحت الخدم باذلة الحزن ، وتبادلت حديثاً قصيراً مع رجل كان  
يقف تحت النافذة . وإذ أنبأه بأنه حصر لأمهدها الطبيب ، وأنه يحمل

رساله إليه ، هبعت درجات السم وهي ترجب من البرد . وفتحت الأقفال ثم  
وقعت المراكب واحداً تلو الآخر .

عقل الرجل جواده ، وسار خلف الخادم مقتحماً الخندق حول انتظار ، ثم  
انخرج من قلوبوته الصوفية ذات «الشوابات» الرمادية ، رسالة مضمومة في  
طيات قطعة خدقة من القماش ، وقدمها بأدب إلى «شارل» الذي انكأ بموعده  
على الرصادة ليقرأها ، بينما وقعت «ستيري» - الخادم - إلى جوار السرير  
تعمل الصباح . ودفع أحياء ووجه الطبيب إلى أن يغل مولية وجهها نحو  
الحائط ، وظهرها إليهم .

تصنّب الرسالة - التي كانت مضممة بحاتم صغير من الشمع الأزرق -  
رجاء صارخاً إلى السيد «بوفاري» كي يبادر فوراً إلى مرزعة (برو) ليحجر ساقاً  
مكسورة . وكانت المساع بين (بوست) و(برنو) تزيد على ستة فراعش ، في  
طريق براعي تمر بكل من (لوبيطين) و(سانتا فيكتور) . وكان الليل حالكاً ،  
والسيدة الروجة نحش أن يحل بروجها أي مكرود . لذلك استقر الرأي على  
أن يعود الرسول ، ثم يتبعه «شارل» بعد ثلاث ساعات - حين يشرق القمر -  
على أن يوفق الرجل غلاماً لطفاته فيرثده إلى المرزعة ، ويرفع ما قد يكونه في  
طريقه من حواجز .

وفي نحو الساعة الرابعة صباحاً ، بدأ «شارل» رحلته إلى (برنو) ، متدبراً  
بمعطفه . ولم يكن قد تحلّص تماماً من سطوع الكرى ودمه السرير . فترك  
دابة عمله في حظوظ عاذلة مؤرجحة - حتى إذا وقعت من نلءه نفسها  
عد الحفر الضاحية بالأشواك التي كان الصلاحون يحصرونها على حدود أوارع  
- نيه عن زحفاته متعصفاً ، ويذكر صاحب الساق المكسورة ، فأخذ في  
استمراض جميع أنواع المكسود التي عرفها وغير غيرها .

وما لبث المطر أن تحفّ عن السقوط ، وأخذ النهار يذو . وعلى عصوص  
أشجار الصباح العذرية وهفت العصفير جاعدة ، وقد نشت ريشها بريح الصباح  
الباردة . وكان الريف يند على سمرى البصر ، ومجموعات الأشجار الضيطة

بفراخ يبدو كيقع بمسحبة داكنة وسط الفضاء الرصادي الشاسع الذي كان  
يحتط بظلمة السماء عد الأثر .

وكان «شارل» يصنع حبه بين السنة واللمسة ، فلا يلبث النعاس أن يغليه ،  
ويسلم لسة حائلة يختلط فيها حاضره بذكراته . . حتى لقد خال لنفسه  
شخصتين في وقت واحد فهو عذاب ، وروح معاً . وهو يائم على مرثه  
كعب كاله مد هببة ، ثم هو يحطر في قاعة الجراحات كما كان يعمل أيام  
الدواية . واختلطت في رأسه رائحة العقاقير بأريج الخصرة الندية ، وبخفيف  
حنقات الفانز وهي تنزل على قصبان السرير ، وروحته تعط في نوم عميق !  
وحيث بلغ (فاسونيل) لمح فتى محبواً يهتس على العشب ، عد حافة  
جيرة . .

وهتف الغلام إذ رآه : «أنت الطبيب؟» .

فدبّ أجابه «شارل» ، خلخ العلام عليه وأمسك بهما بين يديه ، وانطلق  
بعدو أمامه ليرشد إلى الطريق .

وأدرك الطبيب من ذلك ، في أثناء سيرهما ، أن ساق السيد «روو» - الذي  
كان ولا يد من أثره «درا» عين - قد كسرت مساء اليوم السابق ، وهو عائد من  
حمل يدي أحد جيرانه ، وأن روجه هذا السيد قد توفيت مذ هامين ، وليس له  
إلا ابنة تساعده في شؤون المنزل .

وتحللت الطريق آثار عجالات أعدت تزداد عمقاً عندما اقتربا من (برنو)  
وما لبث العلام أن اختفى خلال مرجة في صباح لمرزعة ، ليعود بعد هببة إلى  
الظهر عند نهاية السباح . يفتح الباب . وسار الحصان وحوانه تنزق على  
العشب البصل . وأحس «شارل» رأسه لينجذب للأحصان . . وحيث دخل  
الصيعة ، أخذت كلاب الحرامه يبح وشك السلائق التي تربطها إلى مأوىها ،  
فأجعل الحواد في مرع شديد .

ولاحت عد عتبة باب المنزل سيدة شابة في ثوب من الصوف ، فاستقبلت  
السيد «بوفاري» وقادته إلى المطبخ ، حيث كانت لسة مار كبيرة يعلي فوفها



الطعام المعطور في قدر من جميع الأحكام وإلى أحد جاني المداء ، كانت  
تسه ملابس مسنة شربت لتجف على الوهج . وبيت الهرة وقابض الجمر  
والصباح ضخمة الحجم ، تنعم كالصنوب المصفون ، بينما رُحبت على طول  
الجدار أدوات لظهور كثيرة العدد ، المنكس عليها نهب المود ، تحالطت ملائع  
أشعة الشمس التي أغلقت فساب من خلال زجاج اللواقط

ومد يث «شارب» أن صعد إلى الطابق الأول من الدار ، ليرى المريض ،  
فألفه في فراشه يصيح بالمرق تحت الغطاء ، وقد ألقى طافية القطة جانباً  
كان رجلاً بديناً ، قصيراً ، في الخمين من عمره ، أبهى الشعر ، أروق  
العين ، أصابع مقدم الرأس ، ويرين أذنيه يهرطن ! وعلى معد مرتبه  
كان ثمة قينة حمر أحد يرقعها إلى سه بين العنة والعينه ، يشد من عرقه ،  
ويرفع من روجه المصوية !

ولم يكده الرجل يرى الطبيب حتى خفف من هياجه . . وبدلاً من أن يمضي  
في سبل الشائكة التي كان يطعمها بسجده مد اثني عشرة ساعة ، تحول بين  
أنبأ خافئاً . .

كان الكمر بسيطاً ، لم نصحبه أية مضاعفات . بل إن «شارب» لم يكن  
يضع في كسر أسهل منه ! وتذكر مفره مسدك أسانده بجوار أسرة  
الحرجي ، فأخذ يشجع المريض بكل ما يعرفه من الكدمات الطيبة . . وما  
يعلمه من الحرجي من مواساة لطيفة تشه الريث الذي يدهون به مياضهم  
وأحد أهل المريض يبحثون في الفرد حتى جثموا حرمة من الأحشاب  
ليتخذوا منها جباثر ، فتناول «شارب» واحدة منها شقها إلى قطع عكك على  
صعده بلوح مكسور من رجاج اللواقط ، يجب كانت الخدود مرق بعض  
الملاطاب ليمسحوا منها أربطة . والأكس «إيد» - انة الرجل - تحوك وسادات  
صغيرة . وكانت قد أصابت وقتاً طويلاً في البحث عن صدوق أدوات  
الحياكة ، فلما استنحتها والدعا لم تجبه بت شقة ، وإذ أغلقت على الحياكة  
وكانت كلما شكت لإمره أصابعه ، ترفع هذه الأصابع إلى فمه ، وتقصها !

وأعجب «شارب» مياض أطعارها اللامعة ، الدقيقة ، لأطراف . . . كان أكثر  
مصوراً من الحاج ، وقد قصت على شكل الدور . . على أن يدها لم تكن .  
رغم ذلك . . جميلة . ولعل بشرتها كانت أقل صمء مما ينبغي ، كما كانت  
بادة الخفاف عند مفصل الأصابع . كانت بدأ مسرعة في الطول ، يعورها  
شيء من نبوة الثني ! ولكن جمان الفتاة كان يركز في عصبها العسستين  
التي كانت أهديهما تضفي عليهما صبغة السود . والذين كانت تبعث  
سهم نظرات توحى لغيره بالصراحة المشوية بالسذاجة الجريئة !

هكذا انتهت عملية التجير ، ودع السيد «روو» العيب إلى بعض الطعام  
قبل رحيله ، بسيط «شارب» إلى بهو الطابق الأرضي ، حيث ألقى المائدة معدة  
لشخصيه ، إلى جوار سرير كبير ذي خطه من قماش محلى برسوم تمثل  
أشخاصاً من الأشراف . وكان المكان يتضوع بشدي زهر السوس ، وقد بدت  
بعض الملائك الضيفة في صوان من خشب البوط لي مواجهة النامدة . .  
وفي الأركان ، رصت جدران الحجرة التي ضاقت بها جيبات اضرب الجوار  
المتصل باليهو ثلاث درجات حجرية . .

وكان يرين البهو رأس ميرزا رسم بالقلم الأسود ، وأحمد بإحدى مذهب  
كتب تحته بالمحروف الفوقية «إلى أبي العبر» . وقد علفت الصورة إلى  
مسار في وسط الحائط الذي ساقط طلائه الأخضر بعض الرخويه .



جلست العتاة إلى المائدة مع «شارب» وجرى الحديث عن المريض .  
أولاً - ثم عن الحرج وموحيات البرد القارس ، والدباب التي تجوس في الحقون  
خلال الليل . وكانت الأثة «روو» لا تنطبق الإقامة في الزيف ، ولا سيما  
بعد أن عدت تفضلع وحدها - تمريضاً - برعاية شؤون المرعة . وكانت  
ترغب في أثناء تناول الطعام ، تصرد بطويه الصالة ، ما كشف قليلاً عن  
شفتيها المكتنبتين اللتين اعتادت أن تضفهما في أوقات الصمت  
كانت رقبتهما تظهر خلال يادة مرودجة ، وضغيرتها السوادوان الدامعان

تبدوا - لمرء مبروتهما - قطعة واحدة ، تشق إلى شيعتين - عند منتصف الرأس - يحط مستقيم بفتح استدارة الرأس ، ثم تعود الشيعتان إلى الالتصاف خلف الرأس في كعكة سبكة تحذر منها خصماتك نحو الصدع ، لا تكاد أدرك الفتاة بيان خلالها ، وكانت هذه أول مرة يرى الطبيب الشاب فيها شعراً مسكاً بهذا الشكل ! أمّا وجعنا الفم فكانت مورتين - وكانت ثمة عوية في إطار من الصفوف تتلوى من زويز في صدرها ، على محور يعمل الرجل !

وصعد «شاول» بيودع الأب - دروو - ثم يحط إلى البهو ثانية ، عاد الفتاة واهمة إلى البامدة ، وقد أسدت إليها جبهتها ، وأخذت تأمل الحديقة ، حيث اقتطعت الزرع المصمى الخشبية الصغيرة التي كانت تصند شجيرات العاصولبة

وحين شعرت به جسمها ، التفتت إليه متسائلة : «أبحث عن شيء؟»  
فأجاب ، «سوطي» ، من فضلك !

ورج يحسن سوق السير ، وحلف الأبواب ، ونحب المقاعد - غير أن السوط كان قد سقط على الأرض بين أخدار واجوالاب وما بث «إيما» أن فمته ، فابحثت فوق جوانات المصع ستقطعه - ودفعته الشهامة «شاول» إلى أن يسرع فيصعد دراعه ليستقطعه فتلها ، فوداه به يحسن صدره يس ظهر الفتاة المحبة أمامه - ويدور هي إلى الاعتدال وقد تصرع وجهها ، ثم التفت إليه من فوق كتمها وهي تتأمله سوطه المصنوع من عصب الثور .

وبدلاً من أن يعود «شاول» إلى (برتو) بعد ثلاثة أيام كما وعد ، جاء في اليوم التالي مباشرة ، ثم أحد يتردد على الصيغة مرتين في الأسبوع بانتظام ، عدا الزيارات غير المتوقعة التي كان يقوم بها من وقت إلى آخر ، وكانها محض عصابات !

سارت الأمور على ما يرام ، وشفي المريض - وعندما رآي «لأب» دروو - بعد ستة وأربعين يوماً - يحدول السير وحده في بيته العيين ، اعتبر الناس

الطبيب «بولاري» مطامياً بارعاً ، ولا سيما حين أحد لأب يردد أنه ما كان من الممكن أن يحظى بعلاج من أكبر أطباء «يفسو» - أو (روان) - يسوق العلاج الذي حظي به على يد الطبيب «بولاري» !

على أن «شاول» لم يفكر في أن يسأل نفسه عن سر المتعة التي يستشعرها في التردد على «برتو» - ولو أنه حاول التساؤل ما كان ثمة شك في أن يعرف هذا الإسراف إلى خطورة حال المريض ، أو إلى الكسب الذي كان يرتقيه - ولكن ! أحقاً كان هذا هو السبب في أن يزاره لتلك الصيغة كانت يبدو - خلال شواغل حياته - كأحداث غير عادية ذات جدوية وفنية ؟

كان في أيام تلك الزيارات المتكررة يستعيط ميكراً ، ويرحل في صحبه مسحوحاً دابته - حتى إذا ترجل أمام الدار ، مسح بعليه بالخشاش ، وبس قدره الأسودين قبل أن يلج - وكان يحس بالشوة ، إذا ما بيع الفاء ، وشعر بيباب السباح يسور بجوار كفه لسمع له بأن يدخل ، حين يسمع صياح الديكة فوق الحدار ، ويرى لأولاد مقدين لاستقباله - وأحب الأب دروو الذي كان يرسم يده ويدعوهم بمقتله . . كما أحب وقع حطوات «إيما» على أرض المطيح النظفة - كان كعبها العالان يصيدان مولاً إلى طولها . . وكان النعل الخشبي يرتفع - إذا ما سارت أمامه - يهبط بجلد الحدادين في صوت مكتوم

وكانت الفتاة ترافعه دائماً عند انصرافه حتى يبداه السلم الخارجي ، ثم تظل رافعة ريثما يحضر جواده - وكانا يظلال صامتين - إذ يكونان عادة قد تبادلوا تحية التوداع من قبل - و بهو - الطنق يهب حولهما فيبحث ببعض خصلات الشعر الحائرة على عرق الفتاة ، ويهر طرفي حرام حرونها على رديفها غير مرتد كما تعرفه الزيارات .

وكانت روجة «شاول» لا تفعل - في العترات الأولى لشرده على (برتو) - السؤال عن «مريض» بل إنها أفردت لسبك دروو صحبة يضاء ، بديعة ، في معكزة الحسايات التي كانت تحفظ بها - غير أنها لم تكذ تعرف أن له أبة

حتى أخذت تتحرى ، فعلمت أن الأتمة «إيما» ، التي شأت في رعية راهبات  
«الأورسلور» ، قد حظيت بـ يسموه «تربة راقية» ، ومن ثم فهي على دراية  
بالرقص والمصرايف والرسم ، كما تحدد التطوير والعرف على «الليانو»  
وتتدث كانت الخدمة الكبرى !

وأخذت الروجة تردد لسانها «هذا إذا مبعث كل هذا للإسراق الذي  
يشجلى غنى وجهه كلما ذهب سرايتها» - وهو السب في حرره على  
(ارتداء هبلره الجديد ، محاذفاً بتعريفه لمظهر الذي قد يلتفه «آه» ، هذه  
«برأ» هذه المرأة ! «وكرهها دون أن تراه» - بالحريرة !

وقد كانت في بداية الأمر تسري عن نفسها بتلميحات لم يسمعها «شاون»  
ثم بإشارات عارضة كان يتجنبها غشيه المعاصفة ، ثم - أخيراً - باستجابات  
مباشرة لم يكن يدري كيف يجيب عليها ، «لماذا يتردد على (برو) مد دام  
اليد «روو» قد شمي ، وما دام القرم لم يتقدم بعد أمناً؟ «آه» لا بد أن  
ذلك يرجع إلى وجود شخص هناك شخص يحسن الحديث ويحدث  
تتميمه شخص لبق حاصر البليهة وهذا هو ما يجتذبه إنه يثوق إلى  
فتيات المدن !

وتقصي في مساجتها هائله «وهل أنة لأب «روو» من حجاب المدن»  
هذا غير محسوب ! لقد كان جدهم «راعي» هم - ربهم بن هم أرشث أن يقدم  
إلى «هاتمة» لاشراكه في مزاج مشين - فميم إذاً لفتحالي ، وفيه إذا ارتده  
أخبره للذهاب إلى الكنيسة في أيام الأحد ، وكأنه كوتنسة ؟ لولا محصور  
الفتت لمجر أيرها «مكين من سعاد ديونه في العام الماضي» !

وستتم «شارل» هذه النعمة البهيسة ، فكف من التردد على (برنو) ، ولا  
سيما بعد أن حملته «هوير» - زوجته - على أن يقسم بالكتاب المقدس على  
أن لا يعود إلى تلك الريدات ، وبعد أن همزه بفيض من المحب والقبليات  
في ثورة عالية من الحب !

يبد أن الرغبة القوية لم تبت أن تردت على استكانته وجوعه ، وفي مزج

من الرياء الساذج أخذ يؤون نفسه - فحظرت رؤيه العشاء لا يجرده - من اخن  
في أن يحبها - ولا سيما أن روحته عجيده ، كبيرة الأسان ، لا تتحلى بعد -  
وفي جميع فصول السنة - من الشلل الأسود الصغير ، الذي كانت أطرافه  
تتدلى بين لوحى كتفها ، وكان قدما محشوراً دانماً في ثوبها وكأنه مخيب  
في عسدا ! ثم إن أبوابه كانت فصيحة ، تكشف عن ساقين محروقتين ،  
وخاب قدماهما في جوربين رماديين عقدت فوقهما سيور نديها

وكانت أم «شارل» تأتي لزيارتهم بين حين وآخر ، ولكنها لم تلبث أن  
أحسنت - بعد ومن - أن روجة أبها أحسب سثيرها عسدا ، إذ أصبحت المراتان  
ككتبين نحروته بملاحظاتهن وتأييئاتهن - مهر محطى إذ يلتهم كل هذا  
الطعام ! ثم لماذا يقدم الشراب لكل واحد ! ولماذا يركب رأسه ويرفض  
بوصار ارتداء «الغانلات» 19 .

وحديث في مهمل الربيع ، أن هرم أحد وكلاء الأعمال من (المجوليل) ،  
حاملًا معه كل ما كان مودعاً في مكتبه من أموال ، ومن يسها حل قروة  
«لأزمة «ديويت» على أن «هوير» وإن ظلت تحتك دارها الخاصة في شارع  
(سان فرسوا) ، فضلاً عن حصة في إحدى السفن تقدر بستة آلاف فرنك ،  
[ألا أن هذه الثروة المزعومة - التي كان لها ذوي حال - لم يبد من آثارها في  
بيت الزوجية سوى بعض لأثاث والألباس الخاصة

ولم يكن يد من مائسة هذا الأمر - «سجلاته» - بعد هرب وكيل  
الأعمال - فإذا المنزل قد استغرق الرخي ، وإذا مصير ما كان مودعاً لدى  
وكيل الأعمال قد بات لا يعلمه إلا الله وحده ، وإذا فصيها في السمعة لا يعدو  
- في الحقيقة - ألف فرنك ! - إذا فقد كذيب السيدة للمضنه ؟ وفي سورة  
المغيب ، عثم السيد «بوفاري» الأث مقعداً على البلاط ، وانهم زوجته بأنها  
كانت اللب في شقاء أبنها ، إذ ربطت إلى تلك الفرس المجمع التي لا  
يفصل مسرحها جدها ! ، وكان الأوان قد وفنا على (توست) ليحدث هذا



الموضوع - مدارب معارك أرميت «هدوير» خلالها على صدر زوجها وهي  
مبهمة الدمع - تاشد أن يحميها من أيوه - وقد أراد «شارل» أن يدافع  
عنها - غضب والده ورحل

غير أن الصدمة كانت قد أحدثت أثرها - سيما كانت «هدوير» نشر  
العسيل في صحن النار - بعد ثمانية أيام - أصابته بوية جعلتها تصق دماً  
وفيما كان «شارل» منهمكاً في إصلاح السار على النافذة - في اليوم التالي -  
ظهره بحولها - هتف «آه يا إلهي» - وأرسلت رعدة غدت بعدد من  
الوحي - . . وماتت ! . . ويا للمعجب !

ولما انتهت كل مراسم الدفن - عاد «شارل» إلى المنزل - ولم يجد أحداً  
في الطابق لأرضي - فصعد إلى الطابق الأرضي - وولج غرفة النوم - حيث رأى  
ثوب زوجته الرخوة مطبقاً بجانب الفراش - فأسد رأسه إلى مكتبه مستريحاً  
في حلم حزين حتى المساء - فعند كسب نحه على أية حال - كانت نحه !

### - ٣ -

ومن الآن «روو» ذات صباح يحمل إلى «شارل» آخر حرسه خمسة  
وسبعين مريكاً من القطع فئة الأربعين سنّاً - وديكاً رومياً ! وكان قد عم  
بمصائبه فراح يواسيه م رسة - قائلاً وهو يرت كتفه «إني أدرك مسرع  
مصائبك - بعد مر بي التجربة نفسها - لقد كنت أنظر في الحقل - بعد  
أن أعددت زوجتي الملكية - لأخبر إلى نفسي - هاجشو عند ساي إحدى  
الأشجار أبكي وأصرخ إلى الله - وأقرع به بأقوال صعبة ! - وكنت إذا ما  
ذكرت أن سوي من الأرواح يضمون بين أذرعهم - في تلك اللحظة -  
زوجات لعمامه صاحبات - أدق الأرض بمصاي في عباد ! - كنت شبه  
مجنون - حتى لقد أسكت عن الطعام - وكان مجرد التفكير في الذهاب إلى  
المعنى يثير شتمنازي ! . . لعنك لا تصدق ! - على أن الأيام تابعت - بطرد  
كل منها الآخر في رفق - وأقبل ربيع في أعقاب شتاء - وعمره في دين

صف - وب ليث كل شيء - أن تصالح وريماً ورايلي فطرة إثر فطرة - أو  
بالأحرى - رتب في أعماقي - إذ لا بد من أن يبقى شيء في أعوار النقص - أو  
لا بد - كما يقولون - من أن يبقى فوق الصدر نقل جاثم ! - على أنا يجب  
أن لا بد من أنفك للبأس - أو مطلب القرب - إذ ما مات أحد من أحبابنا - ما  
دم هد مصيرنا جميعاً ! - فأنقض الآخرون عن نفسك يا سيد «بولفاري» نجده  
بصارفت ! - ومعال لربارنا ! - اتعمد أن أبني تفكر فيك بين وقت وآخر -  
وتساءل «هكسبي» - «هوذا الربيع مقبل عما قريب» - وستركت  
معاً في اصطيد الأراتب لشري عن نفسك قليلاً ! .

أخذ «شارل» بالنصيحة - ذهب لزيارة «برنو» - حيث ألقى كل شيء - على  
ما كان عليه قبل حمة أشهر - واستطاع لأن يروو أن يسر على قدميه -  
فكان يمدو ويروح باعشاً حياة في البرعة - ورأى الرجل أن من وحده أن  
يبالغ في إكرام الطبيب إلى أقصى حد - نقرأ سكنيه امرئة - فطلب إليه ألا  
يرفع قبعته - وأحد ينكمم إليه بصوت خفيض - وكأنه يتحدث إلى مريض -  
من إنه أظهر غضبه لأنهم لم يمدوا للزائر شيئاً أحب من معتاد - كقدور  
الشمعة وأكثرى المطبوخة - وأحد يروي له الوادر - هذا بالخيرين يسي معه  
ويضحك - ثم لا يلبث أن يذكر زوجته فيعود إلى وجوهه - وعندما قدمت  
لهما القهوة - لم يعد يفكر فيها !

وأحد تفكيره فيها يتصالح كله الزفاد اعتاده على الحياة بمفرده - بل إن لمة  
الحرية - التي عادت إليه حديثاً - جعلته أكثر حرصاً على الوحدة - فقد أصبح  
في رسيه أن يعمر مواعيد طعامه - وأن يخرج ويدخل دون أن يصطر إلى  
تقديم حساب عن حركاته - وأن يمد أذنيه على طون السرير وعرضه إذ ما  
شعر بالتمب - وهكذا أحد يعي نفسه ويرققها - ويستمرى ما كان يوجه إليه  
من هزات التمرة !

ولقد عاد عليه موت زوجته - فوق كل حد - يقع في مهت ليس باليسير -  
إذ ظل الدس شهراً بعد وفاتها يرددون «يا لشباب المسكين ! ويا

لكنته! وذاع اسمه، فورداد الإقبال على عبادته كما أصبح يذهب إلى (برنو) كلما شاء. كان لديه أمل دون ما هدف واضح. وفي نفسه سعادة غامضة! واحد يلاحظ، كلما سرى حيله بأهتة أمام امرأة أن وجهه يرداد سماحة!

وفي يوم من الأيام وصل شارل إلى (برنو) حوالي الساعة الثالثة، والقوم في الجمع، ودلف إلى لطبخ. ولم يطر في البداية إلى أن هذا كانت هناك، إذ كانت النواهد مفتحة ومن حلال المصاريع، كانت الشمس تنقي على الأرض حبساً دقيماً من أشعتها طويلاً، يتكرر على رواية قطع الأثاث، وتضرب على السقف. وكانت «إيز» تجلس بين الحاصدة والدمامة، وهي مبهمة في الحماكة. ولم تكن ترتدي وشاحها، فلاحظ «شارل» أن قطرات دقيقة من العرق تنتشر على كتفها العاريين.

وعرضت عليه - كعادته أهل الريف - أن يأنيه بشيء من الشراب، فجمع وأخبت، ثم دعتة أخيراً - ضاحكة - إلى أن يساول معها كأساً من الخمر. وأحضرت من الصواني رجاجة شراب حميف، وكأسين صغيرتين، ملأت إحداهما حتى الحافة، بينما لم تكن نصب في الأخرى شيئاً، وقدمت إليه الأولى، وبعد أن فرغتها بالثانية، رفعت هذه إلى شفتيه، ولما كانت الكأس شبه فارغة، فقد اضطرت إلى أن تطوح رأسها إلى الزواء، لترشف ما بها من قطرات. وأخذت تضحك - وهي على هذا الوضع، وشفتاه ممدودتان إلى الأمام، وورقه مشدودة - إذ لم تكن تشعر بشيء من الشراب في فمها، بينما اعتد لسانها من بين أسنانها الدقيقة ليبلغ ما في القعر!

وعادت إلى الخوض، مستأنفة عملها في دمو جورب أبيض من القطر، وقد نكست رأسها، وكفتت من الكلام. وظن «شارل» صامتاً هو الآخر وكان الهواء يساب من أسفل الباب، حاملاً بعض العباب، فأخذ يرفف بموجباته، وهو لا يسمع سوى وجيب النفس في رأسه يحتلظ بتفتة دجاجة

نضع بيضة في مكان ما بأقصى الماء. وكانت «إيز» رطبة وحنيها - بين أن وآخر - بكفيها التين كانت تبرهنها على حليلة المدعاة الخاملة.

وكانت منذ أوائل الموسم يعني دوراً، فسألت «شارل» عما إذا كان الاستحمام في البحر يسيد. ثم تعرض إلى الحديث عن الديور الذي تعلمت فيه، فتحدثت «شارل» بدوره عن مدرسته. وهكذا اتصل الحديث بينهما. وما لنا أن صعد إلى غرفتها، حيث أظفنته عن كراماتها الموسيقية، والكسكسات التي «لها» كخواتم، ولينجان الحسولة من أوراق البلوط التي كانت تحتفظ بها في قاع صوان. كما حديثه عن أمها، وعن المقبرة. من لقد أوشدته - في حديثه - إلى الخوض الذي كانت تجمع منه الزهور في يوم الجمعة لأول من كل شهر، فضعف عن مير أمها. بيد أن اليساسي الذي يمس بالحديث - لم يكن يهتمهم عن الأهرام شيئاً. كذلك كان لخدم جميعاً، أقياء لا ينجي من دلائهم، لا انتخاب!

وكم كانت تسمى أن تعيش في غديه، وفي الشتاء - على الأقل - وإن كان بهار الصيف الطويل قد يجعل الريف أكثر سداً في هذا الفصل منه في الشتاء. وكان صوتهما بشعير تملأ نقول: فهو نارة صاف، وأخرى حاد. وقد يبري فيه فجأة خمول ينتهي به إلى ما يشبه الهمس حين تعاطب نفسها. ثم إذا به بعد لحظة قد انقلب مرحاً، وعيناها. كانت تحدقان في مرءة، ثم إذا بهما في نصف إغماصة، إذ بشرد نكر صاحبهما أو تعرق في السامة!

وفي أثناء عودته في اسماء أحد «شارل» يستعيد عباراته، وحدة بعد وحدة، يحاول أن يدكرها، وأن يربط بعضها ببعض، ليستكمل صورة وضحه للحظة التي كانت تحياها قبل أن يمر بها. فغير أنه لم يطلع قد أن يتشبه في صورة نماير تلك التي رأها عيب في اللقاء الأول. أو سبب التي تركها عيب في الودع القريب. وسامن نفسه عما قد تصير إليه إذا ما روجب. ثم يحس نسروج! وأصعب! إن الألب «رور» واسع الشراء.

وهي ا - كم هي جميلة !

وكان وجه «إيما» لا يلبث أن يعود ليستقر أمام عييه في إصرار وانحد  
يردد لي أذنيه صوت رتب ، في طبع مستمر ملج «هب أنك تروجب !  
معم ، ماذا لو تروجت ؟!

والسجار ، والإصلاح دولاب مغمورة ، فقد أسر نفسه قائلًا : لسوف أعطيه  
«إيما» إذا طلب يدها ؟!

وفي عيد العنيس ميخائيل ذهب «شارل» إلى «برتو» يقضي ثلاثة أيام .  
وانقضى اليوم الأخير كسابقه ، في برودة وإرخاء - فبدأ تأهب بترحيل ، ورافقه  
الأب بعض المدة - وسلكا طريقاً وعراً كثير الحصى حتى إذا أوشك على  
الانقراض ، دار بجلد «شارل» أن الساعة قد أرقب ، إذ كان قد حدد نفسه مهلة  
تنتهي عند السياج الخارجي للضيعة - ولم يكن يجاوره ، حتى تمم عائلته  
«سيد رو» أراد أن ألا تحك في أمرا - ووقف السيد ، ولكن «شارل» برم  
الصمت !

وقال الأب ضاحكاً في رفق «حشني بأمرك - أوتقلي أنني لم أدرك كل  
شيء ؟» - فتعمت «شارل» قائلًا «أيها الأب رو - أيها الأب ورو !»  
وواصل التراجع حديثه قائلًا «إنني شخصاً لا أتمنى أفضل منك - ولكن  
سبعة أيها ، ولا بد من مؤبده - فأبطى في مشبك رتب أعود إلى اليك  
وبس من الضروري أن ترجع - إذا ما أجيت بالعبول - حتى لا يعطى الدمى إلى  
شيء ، وحتى لا يشتد بالفتاة الاتفعال . . ولكن ، لا تنسى عني أعصابك .  
سأدفع مصراعي النافذة إلى الجدار ، وأفتحهم على وسعهم - إشارة بذلك . .  
وتستطيع أن تبنى هذه الإشارة من الخلف إن ما نحييت على اسياج»  
واضعد الأب . . وريط «شارل» جواده إلى شجرة ، وهرع إلى الطريق  
الخلفي الضيق ، وأخذ يتنظر وانقضى نصف ساعة - وأحضر بعده سبع  
عشرة دقيقة - وفجأة ، سمع صوت ارتطام . . فقد فتح مصراعها النافذة  
وعلا يهران إثر اصطدامهما بالخطأ !

ولم تكن الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، حتى كان في المرزعة !  
وتفزع وجه «إي» حين دخل الجدار ، وإن حاولت أن تضحك قليلاً لشعر  
متمالكة لفسها وقيل «شارل» صهر المستقبل - ثم أخذوا يتحدثون في

في تلك الليلة لم يجد إلى النوم سبلاً - كانه يحس بقيق وظلم - وما  
لث أن بعض يشرب من الإبريق ، وفتح النافذة ، وراح يتطلع إلى السماء  
فلينة بالمجوم . . كان السهم دفناً - ونهى إليه من بعد باح للكلاب . - لم  
أفاد رأسه في القه «برتو»

وحضر به أنه لم يحسر شيئاً على أنه حال ، فمضى معه بالتقدم بطلب يدها  
عند مسح العريضة - غير أن بهبه وحيرته في اختيار العبارة المناسبة كانا  
يعتقلان لسانه كلما واثته العريضة التي ينتظر

والحق أنه لم يملك ليضجر الأب «رو» أن يتخلص من ابتته التي لم تكن  
ذات مع كبير في منه - وكان يلتصق لها - في مرة نفسه - العنبر ، إذ كان  
يمر كأنها أذكي من أن تتخلل بالوردة - تلك الحفرة التي لغتها السماء ،  
حتى أن أحداً لم يصح - باستعمالها - من أصحاب الملايين - فقد كان يحسر  
كل سنة ، بدلاً من أن يجي من ورائها تراء - فيالترعم من نفسه في  
المساومة ، وإدماه بأساليب السجدة خائفة ، كانت الوردة بمنها الكامل - وما  
تطوي عليه من فوق إدارة المزارع - أقل ملائمة له منها ببقية الناس

وحين لاحظ أن وجتي «شارل» كانتا تتوردان كلما اقترب من ابتته ، توقع  
أن يطلب منه يدها يوماً ما ، فأخذ يتدبر الأمر بأتمهله مقدماً - كان يراه  
وهيماً بعض الشيء ، لا يشتمل فيه الصهر الذي كان يتمناه - غير أنه كان  
يعرف عنه حسن الطوبى ، والاقتصاد - وكان متعلماً - ويروح أنه لم يواوم  
كثيراً فيما يتعنى «بالمرحة» التي يقدمها لأب لائته - وإذا كان مضطراً إلى  
أن يسج اثني وعشرين فدماً من أرضه - يتخلص من دين كبير عليه للسه



الماتل المالية ، وإن كانت أمامهم فحة من الرمن . إذ سم يروا أن يتم الزواج قبل أن ينتهي حدد «شارل» أي في ربيع العام التالي تقريباً

•

ومضى الشتاء في ترفه ورجاء . وشعنت لأكسة «روو» بجهاها الذي أرسل في طلب بعضه من «روو» ، وحذكت نفسها منامات وقلوباً للنوم على شاذخ استعانتها ، وكانها - خلال زيارات «شارل» للمررعة - يتحدثون عن تدبير العرس ، ويشاءون على القاعة التي ستقام فيها وليمة الزفاف ، ويحتفلون بأصاف الطعام التي ستقدم ويقفون في نصف الذي ستعج به الوليمة !

وكانت «إيدا» تفضل أن يتم الزفاف في منتصف الصيف ، على صورة المشاعل ، بيد أن الأب «روو» لم يستمع هذه الفكرة . وهكذا أقبلت وليمة العرس أخيراً فحضرها ثلاثة وأربعون مدهواً ، التفتوا حول المائدة سدا عشرة ساعة ، ثم استأنفوا الوليمة في اليوم التالي . والأيام التي أعقبته .

- 4 -

بدأ المدعوون يتوافدون منذ ساعة مبكرة ، في عربات متباينة ، ومن القرى البعيدة أهل شبان في عربات نقل مكشوفة ، اصطفت عليها صناديق بأيديهم إلى حوافها الخارجية كي لا يسقطوا منها وهي تخب بهم مهرة في عصف وحاء مدعوون من مري تبعذ عشرة قراخ من الدرعة ، مثل (جوردقيل) و(بورمانقيل) و(دركاني) . إذ كان أهل العروسين قد دعو جميع أقارب الأسرتين ، ووصلوا ما انقطع بينهم وبين بعض الأصقاء ، وكتبوا إلى معارفهم يذكرونهم منذ زمن بعيد !

وكانت فرقة السباط تسمع من وقت إلى آخر خلف السياج ، فيفتح الباب ، لتبذل منه عربة يسير حتى الدرجة الأولى من مسم المدخل ، حيث تعج فجأة ، ويخرج ركبها من كل جانب بذلكون ركبهم ، ويخطون أذرعهم ،

وقد توجت السيدات وقوسهن بالقبعات الصغيرة ، وارتدين أثداء المدد ، وكان الأطفال في ثياب شبيهة بتياب الرجال ، وقد لاح عديهم أنهم كانوا يهيقون بملايسهم بخسيدة . وإلى جوارهم سادت فنيت تتراوح أعمارهن بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة . وقد ارتدين ملابس حطلة «السول» الأولى ، بعد أن أحدث أطرافها لتصلح للمناسبة الرائعة !

ولمّا سم يركن عدد السيدات كليلاً ، فقد شمر الرجال عن موعدهم ، ويأثروا بأنفسهم عن الخبز من العريبات ، رغم ثيابهم التي كانت تعاً لمر كزهم الاجتماعية . وكلهم من ملابس التي تسمى بها أسرات فلا تخرجها من الخزائن إلا في المناسبات ! وكان الرجال الذين سيحسون في دين المائدة يريدون «أخصصة خاسبات» ذات الياقة المسدلة على الكتفين ، والشياث الرقيقة في الظهر ، وقد شملت تحت الحصر بحرام مثبت في ثيابها . كما شددت موى الصدور - بعد الشتاء والكي - فمدت كأنها دروع !

•

كانت حار المدة تقع على مسافة أربعة كيلومترات من لدرعة ، فذهبوا إليها على الأقدام . وعادوا بالعريضة عنها بعد أن تم الاحتفال في الكنيسة . وكان «موكب متسكناً في بادئ الأمر ، فبدأ كأنه شال هوش بالألوان ، يهوج على طون الطريق الضيق المتعرج بين الحقول الخضراء . ثم لم يلبث أن استطاع ، وتجرأ إلى مجموعات شعلها ، يحدث عن الديار بشيرها أصدا العازف فكان يسبق المركب بقبضته التي حليت بالاشترطة ، يتبعه العروسان ، ثم الأهل ، والأصدقاء ، دون ما ترتيب . وفي المؤخرة ، ساد لأطفال المهور يقطع رهور الشوفان ، أو يعبون فيسبهم دون أن يعظن إليهم أحد

وكان توب «إيدا» مسرف الطول ، فكان ديله يتجرجر خلفها ، فتقف بين وقت وآخر ترفعه ، وتترع عنه - بأصابعها الدقيقة انكسوه بالعداء - ما علق به من أعشاب خشنة وأشواك ، يساع يقف «شارل» صاكناً في انظارها ! وكان

الأب «روو» يرتدي قبعة الخمرية الحديدية ، ومعطفه الأسود الذي منع كعبه ،  
أظفر يديه ، وقد نابط ذراع السيدة «بولاري» اللم . أما السيد «بولاري» الأب  
- الذي كان يحتقر في قرارة نفسه كل هؤلاء الناس ، وانفي لم يرند سوى  
سثرة طويلة ذات صف واحد من الأزرار ، على نمط الملابس العسكرية - فقد  
أحد يمارل ريفية شقراء أقرب بمدايعات حاجمة كانت وجسدها تنفجر جان لها ،  
دون أن تدري بمدى تحجبها في حين انصرف بقية الحضور إلى الحديث في  
شؤونهم ، أو إلى التماسر خفية - بعضهم على بعض - أو إلى استشارة «مربع» في  
التصميم تأهباً للحقل المرتقب . .

ومدت المائدة تحت مظلة الحصراب ، وفي أركان المائدة ، استقرت قوارير  
الحمر ، بينما كانت رجاءات بييد التمايح الغائر تبعث ريداً كثيفاً حول  
ساعاتها . وأنزعت الأقداح مقدماً بالبيدي إلى حوائفها ، وكانت الفتحة الصفراء  
تنزجرجح في أطباقها الكبيرة لأقل حركة تصيب المائدة ، وقد نقلت عندها  
لحروف الأولى من اسمي العروسين في زخرفة عربية جميلة

وكانوا قد عهدوا بإعداد الحلوى والعطائر إلى صانع من (ديتو) استقر  
بالبلدة حديثاً ، فبدل حماية فائقة ، حتى لقد أحضر بنفسه كتلة مرمية  
بالرخام ، انزعت صبهات الإعجاب من الحاضرين . إذ كانت بها قاعدة  
من الورق المعوى تمثل مبدأ ذا أروفه وأعمدة تحم بها المتأيل . . وتأثرت  
في الصجوات بحوم صحت من الورق المنسج . وفي الطابق الثاني منها ،  
صنع الرجل برجاً من طير «سالفو» ، تحيط به غصينات صغيرة من «لنوى  
والنور» والريبب وفصوص البرنمال . وشرق سطح هذا الطابق ، صنع من  
الحلوى ما يمثل حقلاً أحضر به منحور غارقة في بحيرات من «مريس» ، تعلو  
سطحها دوارق من قشر البندق . وفي الحقل أروحة من الشكولاتا تعدل بها  
تمثال صغير للحب ، وقد توج عموداً لأروحة بهرعين من الورد الطمعي .  
وظل القوم يأكلون حتى المساء . وكلما أمصهم حنول «جلرس» ، بهضوا  
ينصوبون في لائفة ، أو يمارسون بعض الألعاب في الحبر . ثم لا يدبثون أن

يعودوا إلى المائدة . . وغلب النوم بعضهم قبل الختام ، فتصاعد غيظهم ،  
بيد أن الشاطئ لم يلبث أن سرى عليهم من حفيد حين تايوا «المهوية» ، فراحوا  
يرددون الأغاني ، ويبازون في ألعاب القوى وحمل الأثقال والحبل الذي تعتمد  
على مهارة اليدوية . وتبارى بعضهم في رفع الحرياب فوق أكتافهم . وفي  
تبادل التكاثر ، وتقبل السيدات !

وفي المساء ، تأهبوا لمرحيل ، ولكن ضد الخيول إلى الحرياب . بعد أن  
اتحمت بالخضوفان . كان من أصعب العجائب ، إذ راحت تراكل ، وتحمرد ،  
وتكرر الأغم ، وأصحابها يسرون أو يضحكون . وكما ترى طوال الليل -  
وفي ضوء القمر - عربات انطلق على طول الطريق ، تعدو خيولها الجمجمة ،  
فتنهط بها في لمرح حياً ، وتغر بها فوق أكوام الأحجار حياً آخر . ثم إذا  
بها تسلك المجددات ، وقد اطلت من جساتها الساء بتشبش بالأغم !

أما من بقي في (روو) من ضيوف الحرس ، فقد قصو الليل يشربون في  
المطبخ ، بينما نام الأطفال تحت المظعد .

أما السيدة «بولاري» - اللم - فقد ظلت طلة البرم صامتة ، إذ لم يجعل  
أحد منشارتها بصدد ثوب العروس ، أو إعداد الولبة . وما يشئ أن أوت  
إلى فراشها في وقت سكر . وبدلاً من أن يتعها زوجها - أرسل في طلب  
عدد من السجائر من (سان فيكتور) ، وبقي حتى الصباح يدخن ، ويحتسي  
مرحاً من المنصور لم يكن مألوفاً لدى أهل الريف ، ما رفع من شأنه في  
أعيهم !

وما كان «شرب» يوماً حاضراً للسكة والفكاهة ، ومن ثم لم يتألق في جعل  
عرسه . بل إنه كان يرد في عبه على ما وجهه اندصرون إليه من حمرات  
وفكاهات ومجاملات ومداعبات عند جمعهم الوليمة .

على أنه لاح في اليوم التالي رجلاً آخر ينافس ذاك الذي كان في الليلة  
السالفة ، وكانما كان ليتذاك هذواً يبعجها الحفر !

أما العروس ، فلم يظهر عليها ما يسم عجب كان يجول في نفسها ، حتى إن

أكثر الحاضرين دراسة لم يستمع أن يتكلم بشيء من حالته النفسية ، وكتبوا بأن راحوا يعمونه في التحديق في وجهه كلما مر على مصرة عنهم ! على أن أشاروا لم يمد إلى شيء من التكيف ، بل أحد يدعوهم بزوجته ، ويحاطبها في غير كلفة ، ويسأل عنها كل يسأل ، ويبحث عنها في كل مكان - دون ما حرج - كلما اختلفوا . - وكثيراً ما كان يقتادها إلى الأبنية ودروب الحديقة . وكان يشاهد عن كثب وقد طوق خصمه بدرامه ، أو وهو يسير إلى جوارها ، وقد مال نحوها ورأسه يمسد استواء صدرها المكتوي المشي !

\*

رحل العروسان بعد الزفاف بيومين ، إذ لم يكن «شارل» ليصنك أن يعيب عن مرضاه أملاً أطول مما عاب عنهم

وصحبهما الأب «رو» في عربة حتى (ناسولين) حيث قبل ابنته مودعاً ، ثم عاد أدرجه . ولم يكذب بخطو مائه خطوة تقريباً حتى توقف ، ثم التفت إلى امرئته ، قائلاً لها بتعجب وقد أجمدت عجلاتها تير العار من حلمها ، أرسل رفقة طويلة ، وذكر عروسه ، والأيام الخوالي . -

أه ! لقد ثلاثي كل ذلك في أذراج الزوال ! ولو أن فعلهما الأول عاش ، لكان اليوم في الثلاثين من عمره !

والفتت حمسه ثم ير شيناً في الطريق . وعشبه كآبة موحشه ، وعد خيل إليه أن يصبه عدت كالتيت الخاوي «ميجورا» و«ميرجيت» الدكريات العلية بالذكريات ، «الأيمة» هي رأسه الذي أنقصه الشراب . وأحسن برغبه في أن يعرج على الكبة ، بيد أنه حشي أن تردد شجونه ، قيم وجهه صوب داره

ووصل السيد «شارل» و زوجته إلى (توست) في نحو الساعة السادسة ، فبدأ الجيران في التوافد يرتقبون الزوجة الجديدة عليهم

وتعدمت الخدام المعجوز محتما ، واعتذرت لأن المساء لم يكن أعدت بعد ، ثم سألت السيدة أن تتفقد مربية ، وثم تعد الثالثة

• • •

كان المنزل مبنيًا من الحجر ، وواجهته تطل على الطريق . . . وخلف الباب ، كان ثمة مصطف طويلاً صغيرة «معلقاً مع هناك جدران» ، وقسوة من الجلد الأسود . وعلى الأرض ، الروي في أحد الأركان زوج من أحذية الركوب ذات الرقاب الطويلة ، يعلوه بعض الطين الجاف . . . وإلى اليسار ، امتدت الردهة الوحيدة التي كانوا يأكلون فيها ويجدون . وقد علفت إلى أحد الجدران ، الرديئة الطلاء ، ورقة صفراء اللون ، وفي طرفها الأعلى يافة من الزهر الباب . وكانت «الساتر» العظيمة البيضاء . «الحلقة» شرائط حمراء . تتقاطع على التواء ، يسجد كان يلعب على حافة «للمدانة الضيقة» بسول ساعة يعلوه رأس «أبقراط» ، وقد قام إلى جنبه شمس «المدانة» من النصف تحت مظليين بصوتين

وفي الدخنة الأخرى من المدخل ، كان مكتب «شارل» . غرفة صغيرة عرضها ست خطوات تقريباً ، نصف مقصود وثلاثة مقاعد ، فضلاً عن مقعد خاص للمكتب . واحتل الأرفف الممتدة في مكتبه ، من حشب القرو . قاموس العلوم الطبيعية بأحزانه التي لم تفقد صفحاتها بعد ، رغم ما حق بعلاقاتها من تلفد ، بسبب عمليات بيعها الثانية !

وكانت رائحة الطعام تساب من المطبخ متسربة خلال جدران حرفة المكتب هي أبناء الكشاف على المرضى كما كان سماح المرضى حيث دخل حرفة المكتب يسمح في المطبخ ، فضلاً عن نقصهم بعد فيرها !

وكانت تلي حرفة المكتب مباشرة ، حجرة كبيرة . مهدمة ، تطل على لعناء ابدى يضم «الخطيرة» ، وكانت تحوي فرنًا ، غير أنها كانت تستخدم كمنحرب لتشطب ، والأعدية ، والمهملات ، وقد امتلأت بقطع الحديد القديمة ، والراويل «المعرو» ، والآب «لرعاة» المهجلة ، وأكادس من أشب ، أخرى غنيها الحبرة ، كان من المسحبل المتكسر ي تستخدم فيه أن الخليفة فكانت مسطوقة ، يحدها جدران من الطين . عجب بهما أشجار لشمش - ونهي سياج من لاشوك



يعصل بينها وبين الجعول . وكانت تتوسطها «مزولة» - ساعة شعبية - من  
الأردور ، أقيم على قاعدة حجرية - وأربعة أحواض من بات «السرين»  
تحيط - في المنظم - بحوض خاص رعت فيه نباتات أكثر ممعاً - ونحبت  
شجيرات السرو ، في الطرف الأقصى للحديقة ، قام ثمان من الخصب يمثل قسماً  
يقراً في كتاب الصلوات !

صعدت «إيما» إلى الطابق العلوي ، فإذا بأولى حجراته تكاد تكون حالية  
من الأثاث نصرياً ! أما الحجرة الثانية - وهي مخدع العروسين - فكانت  
تضم سريراً من خشب «لاكاجو» دخل فجوة في الحائط أحاطت به ستائر  
حمراء ! وكان يربح حرارة الثياب صندوق من الصدف - وإلى حوار الساعة  
مكتب عليه آتية بها نافذة من زهور البرتقال الجاهزة ضمنها مشرطة من الحرير  
الأبيض - وكانت باقة عروس . العروس الأولى !

ولاحظ «شارل» اتجاه نظرات «إيما» إلى الزهور - فساوبها وذهب بها إلى  
الحزن - وجعلت «إيما» في مقعد مريح في أثناء ترتيب حجاباتها ، وقد سرح  
حياطوها إلى باقة عرسها التي وضعت في صندوق من الورق مقوى  
وسادت بها - وهي مرسلة مع أحلامها - عما يمكن أن يحل نكث  
الباقية . - لو أنها ماتت بدورها هي الأخرى !

\*

أصب «إيما» الأيام الأولى في تدبير التعديلات التي شاءت أن تجريها في  
البيت - مرعب ، فطال - «الأبجورات» - عن المشاعر والصقت بها كساء  
جديداً من الورق ، وأعادت علاء السهم - وضعت حوز الفروقة - في الحديقة  
- بعض المصاعد - بل فيها راحت مكر في الحصول على ناقوره وحوض  
تسبح فيه الأسماك !

ولمّا كان روحها يعلم أنها تحب الرهبة في العزبات ، فعدت وفق إلى حرية  
مستمدة ، رزدها بصايح جديدة ، وأودقها من اخفد وأحمس «شارل»  
هائي البال ، لا يحصل مملاً - حياته وجنات يناولها مع «إيما» وبرهات

مباشرة بروقتها في الطريق العام . وكان يستشعر متعة في العبث بضمايرها ،  
وفي رؤية قبعتها الخصرية معلقة إلى مزلاج النافذة - وفي كثير من الأمور  
الشبيهة ، التي لم يحط له يوماً ببال أنها يمكن أن تكون مبعث سرور !

وكان ، إذا ما استيعط في الصباح وظل مستلقاً إلى جوارها من السرير ،  
يتأمل صوره الشمس وهو يحل رعب وحديثه الضئير اللتين كان ظرهما  
قلسوة النوم يدلان إلى منصبيهما . - وكان إذا حلق في حبيها من قرب ،  
خالهما أكثر تشاماً - ولا سيب حين تنفتح أجنانه وطبعها حرث متاسة ،  
ريشاً تألف عيده الفراء على البقطة . - وكانت تبسوك سوادوين في الظلال ،  
ورفائس فتمتحن في ضوء النهار . - بل لقد يخالهما تألفان من طبعات متباينة  
من ألوان تنمو كنيمة في أحوار الحديقة ، ثم تشف شيئاً شيئاً كلما اقتربت من  
السطح !

وكان ، إذا ما نهض وبها للدحرج ، وضعت «إيما» حد القفلة تودعه ، ثم قص  
مسندة إلى حاضنها بين آتئين من زهور «الخيزاليوم» - وهي في ثوب  
مضاعف - وسما يهيمت - وهو في الغداء - في تيب مهماتيه ، وأطعاً قدميه  
تبعاً إلى حافة السور . كانت تأخذ في الحديث إليه من أعلى ، وهي تثتقد  
بعضها تنعاً من الزهرار من العشب الأحمر ، ثم تنكس نحوه ، فتطير في الهواء  
مرفرفة في حركة نصف دائرية كالصقور ، حتى يعلق بالشعر لأشعث «ديتر»  
فوق عتق العرس العجوز اليفاء التي تقف لدى أبواب بلا حراك - وما إن  
يعنلي «شارل» صهوة الخواد ، حتى يرسل إليها قلة في الهواء ، فتد بزيادة ، ثم  
تعلق السائدة ، يسا يسرع هو في رحلته ، فيطلق في محادثة الحسر الذي  
يسبط أمامه كشريط من غبار لا نهاية له ، ويمضي في دروب بين الأشجار  
الوارفة ، وأزقة ضيقة يرسم القمع على حوائطها إلى الحركة - والشمس يستلقي  
على مكبيه ، وهواء الصباح يملأ حياشيم - وقد أقدم بزاده يد ناله في بيته  
من لدات . - وسرت الطمأنينة إلى نفسه ، والراحه إلى جسده !

كانت قد أراب رواية «بول وفرجين» (٥)، فحسنت ناليت الصغير المقدم على أعمام كعاب، وبالعدد «دوميسور» والكلب الأمين. . . كما أحست - بوجه خاص - بتلك الصداقة الرقيقة التي تسمىها في أح صغير يسمى ببحث لنا فالكه بوردية من أشجار صحنه يعوق ارتدادها أرباح الكنائس - أو يعدو على الرمال حافياً وقد حمل إليه صبي عصفوراً

وبما بلغت الثالثة عشرة من عمرها، اصطحبها أبوها إلى المدينة ليبحثها بالدير، فنزلوا في فندق يمني (سان جروم)، حيث قدم لها المشايخ في صحاف موشاه برسوم تمثل حياة «دمموافيل دي لاغليبير» وكانت التفصيلات الخرافية التي تنافت إلى أديبه خلال حليل السكاكين من حفاة بنت الأمانة - تنطوي على تمجيد البلاط الملكي، وإظهاره في إطار من السدي، ورقة أمشاعر، وأبهة المظرا

ولم تستمر سائماً من حياتها بالدير - في الأيام الأولى - بل إنها استطبت صحبة الراجحات العليات، اللاتي كن يمنين على السرية على اصطحابها إلى الكنيسة المتصلة بعرشه الطعام بأروقة طويلة - وتم تكن تسبب في أوقات الفراغ إلا نادراً، إذ كانت تخرص على استكاد ميادى الدير عن ظهر قلب، حتى غدت ترمود دائماً بالإجابة على الأسئلة الصعبة الدقيقة التي كان القس يوجهها إلى القنيت في الكنيسة

على هذا النحو عاشت في جو حجرات الدراسة القديمة لا بحاروه و بين أولئك السمكات الصمعات البيضاء، دواب القسامح التي تشد منها الصليان الحسنة وفي رفق ولين، أخذت تشتمد لذلك لاسترجاع التصويف الذي يبعث من عطور حبيح، وأحواض مياه النمرود، وأخيراً الشروح - وكانت تشغل عن تسع القناديل بتأمل الصور الدسة عرسته بإطار سماوي اللون، في

(\*) للكتاب الفرنسي بوناروفان هوسات بير ١٧٣٧ - ١٨١٤

وكان يواصل رحلته وهو يجبر سعادته في تدفق من يلمط بعد العداة على حلقه «هش العرب» في فمه من طعام - متى كانت الحياة رقيقة به كما هي الآن؟ - أي أيام الدراسة، حين كان محبوباً بين جدران المدرسة وحيداً وسط زملاء يعرفونه ثروة واستيعاباً بدوس، ويسخرون من بهجة الرقيقة ومن هلاسه، ويعتبرونه بأن أحداً لا يروره كما كانت أمهاتهم يمدن لرؤسهم - في حجرة الاستقبال بالمدرسة - وقد حملن لهم العطائر؟ أم في فترة دراسة الطب، عندما لم تكن حداثته تضم من الشفوة ما يمكنه من صحبة تلك العاملة الصغيرة التي كان من الممكن أن تعدو عشيقته؟ أم في الشهر الأربعة عشر التي عاشها روجاً لتلك الأمثلة التي كانت عندما تستحيلان - في السرير - إلى قطعتين من الثلج؟

ما أبعد كل حد عن حاضره، ولما أصبح بذلك - ما عاش - هذه امرأة الحبيبة التي يهيم بها؟ لقد أصبح الحاتم في نظره لا يتجاوز محيط منامتها الحريية

وكان يوم نفسه إذ يحير إليه أنه لا يحبها كما يحبها - وما كان لطيق عنها بعداً، فتعجن العوفة، ويصعد سلم الدار يقبض خافق، ثم يتسلل إلى حجرتها في هدوء يعافحتها وهي تترين، يطبع على ظهرها فيه قبل أن تحس بوجوده فتصرح جرحه

ولم يكن يقرى على كبح يديه من أن تتحسب دوماً مشطه وحونها وشالها - وكان يطبع على وجنتيها قبلات كبيرة أحياناً، بل - فمه - أو يقطن درعها قبيلات خفيفة من أطراف أصابعها حتى كسبها، وهي تدفعه في مريج من الضيق والإسدم، كما يفعل بالطفل إذ يتشبث به؟

والواقع أن «لينا» كانت معتقد قبل الزواج أنها قد وقعت في حب، فلما لم تحصل على ما كانت تحاله منرتباً على هذا الحد من سعادته، توهمت أنها كانت على خطأ، وأخذت تسأل عنها عما تعنيه عبارات الشوة والعاظمة والقيام التي كانت تقرأ في الكتب فتبهر أعينها، وتثير إحاسنها

كتاب الدين - هاجيت (الحمل المريض) والقلب (القدس) الذي يحترقه  
السهم ، ولحج المذهب الذي يسقط ، وهو سائر ، تحت الصليب وكانت  
تخبر أن تصوم عن الطعام يوماً بأكمه لتروض روحها - وعنده رأسها هي  
ابتداء ألوان من النثر لتعمل على تحقيقها !

وكانت حين تذهب إلى «كرسي الاصراف» تبدي خطاب صعبة ترعها  
نكي تطيل في شرة ركوعها في الظلال ، تنصلي إلى همس النفس ، ويدها  
مضمومتان ، ووجهها أمام السباح محيط بالكرسي ! وكانت الأوصاف الهلابة  
التي تناول «الحبيب» ، و«الروح» ، و«العاشق» ، و«الروح الأبدى» ،  
والتي كانت تتردد في المواضع ، تثر في أعماقها شوة عريّة !

وفي المساء ، كانت الغنيات يقرأن في قاعة الاستدكاو - قبل الصلاة -  
بصوتاً ديبية ، كن يحترقها في أيام الأسبوع من بعض مدحصات التاريخ  
القدس ، أو من محاضرات الرعي «فرياسيوس» أب في أيام الآحاد ، لكن  
يقرأن فقرات من «عقيدة المسيحية» على سبيل الترويح - وكم كانت تصت  
في السفينة للممرائي الربية المنعمه بالكأبة والشجن العاطفي ، والتي كانت  
أصداءها تتردد بين الأرض والسماء !

ولو أنها عانت طعولتها في عروق عانوب يحيي تجاري ، لصنحت نفسها  
بدمعات الطبيعة الخلابيه ، التي لا يسري إليها عاده إلا بد برجمها لما الكتاب .  
ولكنها عاشت تلك الطعول في الرطب ، فتشقت نساء القطعات ، واعتادت  
للأيام ، والمخبريت ! ولما كانت قد ألفت المناظر الهادئة ، فقد أعدت تنجيه  
إلى مقيصتها إلى المناظر المشيرة ! ومن ثم لم بعد محمد في البحر إلا  
أنواء ، ولا تعجب بالخضرة لا منتشرة وسط الخرائب - كان لا بد لها من  
الحصول على معة شخصية من لأشياء ، فم تكن يرى معانات لا تجد فيه  
عده مباشرأ نقلها ، إذ كان مراوحها حسيّاً عاطفياً ، أكثر منه فنياً - ومعبارة  
واحدة - كانت تبحث عن العاطفة أكثر مما تبحث عن النظر !

في تلك الفترة كان بعد على المدير امرأة عانس نفسي أسبوعاً من كل

شهر ، معى خلاله بكل ما يتعلق بالملاس والأعطيه - ولت كان انطراو  
يرعاه لا تنهت إلى أسر عريّة من أسر السلاء التي حطمتها النثر ، لذلك  
كانت تناول الطعام في مقاعه المصصه بذلك مع الرهبات - ثم تجديهن  
الحديث قبل أن تصمد إلى عمنها - وكثيراً ما كانت التلميذات يتلن من  
قاعة الاستدكاو إلى حيث تعمل ، إذ كانت ترد في همس - وهي تحرك إبرتها  
في القماش - معض الغيات طرابه من القرد عاصي ، تجمعها من ظهر  
قلب ! وكانت نفس البودر ، ونروي الأناة ، وتمضي الحجابات من مدينة ،  
وتعبر التلميذات الكبيرات - سرّاً - رويات كان تحفظ به دائماً في جيب  
مرونتها - ولا تكف عن «التهام» قصود طرية منها ، من فترات صلتها !  
وما كان أمثال هذه الرويات ليدور إلا عن الحب وعين ، وساء معدبات  
يُعمى هيهن في مخدوات منعزلة ، وسباس يلقون في كل رحنة ، وتخل تنن  
في كن صمعه ، وعذاب مظلمة ، وشجون نعم القلوب ، وعهود ، وزمرات ،  
ودموع ، وقبالات ، ورورق في ضوء القمر ، وبلايل في الخمائل ، وساده في  
شجاعة لأسود ورداعة الجمالاد ، أو تو من الشهامة قمرأ لا مثيل به .  
محتفظين بأنفسهم دائماً - ويكوب - فتيل دموعهم كسطر الهترو !

وعلى هذا ظلت الحياة خلال أشهر ستة من عامها السادس عشر ، تنفض  
بأصابعها العبار عن تلك الروايات العتيقه - ثم أرشدته «ووتر سكوت» (٥) -  
بعد ذلك إلى التاريخ ، فبحث محمد بالثلاث والرياض ، وقواعد الحرس ،  
والشعراء البوهيميين الذين يخون أنفسهم على القبحه ، وكانت تسمى لو  
أنها عاشت في أحد تلك المصور القديسه التي كانت تقرأ عنها كاركث  
التيلات دوات المصدار الطويل اللاتي كن يقصن أيلهن تحت لأقواس ذات  
الطراز القوطي ، وقد اعتجلن بمزجفن على الأحجار ، وأسندن دهنهن إلى  
رءاهب أيديهن ، وسرحن البصر برعين مدم مرس دي ريشه يصبه يحد بين  
الحقول على صهوة جواد أسود ! وأثرت «إيف» المنكة الإنكليزية «ماري

(٥) كاتب وشاعر إسكتلندي (١٧٧١ - ١٨٣٧)



سيوارده من معبها منزلة القداسة ، وأكبروب - في حماسة - الساء الشهير ، استكوباد - مكاتب - احان دارك ، واهينور ، وآنيس سوريل ، وقيروبيير العاتنة ، و«كليمانس هيرور» كل أولئك كن - في نظرها - كواكب في عذبات التاريخ اللانهائية ! وكانت تبرولها من جوف الظلمات صور أخرى غامضة ، مبهمه ، لا رابط بينها ، نقش اسان لويس ، وبوطنه التي كان يجلس تحتها ، و«اختصار «نبار» ، وقطاع لويس الحادي عشر ، ولحات من اسان نازمي» ، و«خطرة «كوب مازين» ثم و«الجم» - ذكرى الصباح التي نقشت عليها صور تمجد لويس الرابع عشر !

ولم يكن في الأغنياء - التي كانت تعجب في آباء دروس الموسيقى - سوى ملائكة صغار ، بأجحة ذهبية ، وعذارى مقلصات ، وقنوات يسبح فيها الحسول - أعاد سادحة كانت تلمح - خلال أسلوبها الركيك وموسيقاها الضميمة - صوراً متلاحمة للحقائق الخفية ، وكانت بعض الرميالات يحملن إلى النير ما يهدي إليهن في عيد رأس السنة من كتب أنيقة ، كان عفاؤها مشكلة هويصة بالنسبة إليهن !

على أنهم كن يعرفونها في «عصر» اليوم - فكذب «يد» نقشب بين يديها - في رهن - تلك الكتب الملعنة بالحرير ، ثم تقف بعصرها عند أسماء المؤلفين نهجويين انديين كان يسبق بوفعاتهم - في مهيات العنصر - لقب «كوب» أو «فيكوت» - وكانت بعثريه رجعه حين تعج به رهن ترزع الورق الشفاف من الصور ، فلا يثبت أن يثنى ثم يترلق مستوياً على الصفحات !

وكان بين الصور مطر يمثل سوز شرفة وقف خلفه شاب في معطف قصير ، يضم بين ذراعيه فتاة في ثوب أبيض ، ثبتت إلى حواشيها كيبس الصدقات - كما كانت هناك صور بعض الإنكليزيات المجهولات ، دوات الشحور الشر - ، اللاتي يرمقنك من تحت ثياب الحوص - مدبرة - بأعين واسعة صافية - وقد اصططح بعضهن في عربات تائب وسط الحدائق ، بقود حيولها سياس في سوازل يصاص ، وتغيري أسامها كلامه الصيد الرشيق - يصاص

استلقت أخريات على الأرائك مستغرقات في الأحلام ، وإلى جوارهن رسائل هرام معسوحة ، وقد سرحت أبصارهن نحو القمر الذي يفلل خلال نافده اخفت بصمها ستارة سوداء ! كما كانت بعض الصور تحمل تيات ماذجعت يلمس اليهم خلال قضبان أفعاف من الطراد القوطي ، وقد سال الذمغ على وجباتهن - وأخريات يبتسمن وقد منن برؤوسهن على أكتافهن - وأخذن يترن أوردن رهن المرغبت بأصابعهن المذبة التي تشه ماسر الصقور !

وكان المصباح المنفل إلى الحائط فوق رأس «يما» يضيء كل هذه اللوحات التي تحمل مآظر الذب ، فتتلع أعام بعصرها ، و«عصر» اليوم عارق في صمت ، يعكره في بعض الأحيان ضجيج يتأخر من بعيد ، مبثاً من عربة تدرع الطريق ، يعد أن اقتراب الليل !

وقد بكت «يما» كثيراً في الأيام لأولى لولادة أمها ، وأوصت بصنع لوحه حريم مطررة بحصلة من شعر «العقيدة» وأرسلت خطاباً إلى «برتو» مثيلاً بأفكار قاتمة عن الحياة ، طبت فيه أن تقضى - إذا ما حان أجلها - في المقبرة التي ضمت أمها وخرج أونها إذ ظلم مريضة ماهر بريارته - وأحسث «يما» في أصداقها بالرضى ، إذ رأت مصف تمغز فجأة إلى دلت اللون الباهت من الخياء المثالية النادرة ، التي لا تتطلع إليها العنوس الناهية !

وهكذا ، ألعت مصف تنلق إلى الزمان الخيال «اللاماريتية» - أي التي كانت تصود مؤلفات «لاماريتي» (\*) - تنصت إلى القيثارة على البحيرات ، وأنشد البجع المختصر ، وإلى صوت سقوط الأوراق الدابة ، ووقفه العذارى العذرات الصاعدات إلى السماء ، وإلى صوت السماء يتردد في الوديان ! وما لبثت أن علت كل هذا ، ولكنها لم تشأ في البداية أن تعترف بالمثل ، بل استمرت في هذه الخيالات - بحكم العادة - في أوان الأمر ، ثم يذاع من الزهو بعد ذلك ! - ولكنها وجدت السكينة تعمها في النهاية ، فلا العواد حزين ، ولا تجمعت في الحزين !

(\*) ألفوس دو لارلين (١٨٦٠ - ١٨٦٩) من مآهر الشعراء الفرنسيين زرعهم حركة الرومانسية

كانت «إيما» رغم ذلك بخيال أحبباً أن الأيام الغميمة ستكون أجمل أيام حياتها أيام شهر نيس ، كما يسمونه ، بيد أنها كانت ترى لوماً - لكني تتدفق حلاوة ذلك العسل - كدفة أن نرحل إلى البلاد ذات الأسماء الرمان ، التي تسم فيها فترة ما بعد الزواج بدنة الدهة والاشترخاء ، ولتي يصعد ائره فيها - على مهل - طرقاً وهرة ، في غريبات ذات ستائر زرقاء ، وهو يبحث إلى أشودة السانس مردها فسم الجبال ، ويحتض بها رين الأجواس المدعة حول أحاق ناعمر ، وحرير لاء السافط - ومع غروب الشمس ، يتسم المرء - عند حراف الخديجان - عبر أشجار الليمون ، حتى إذا أرحي الليل صدوله غلا العروسان إلى أنفسهما في الشرفة يحقدان في الحوم وقد اشتبكت أصابعهما ، وأحبا يرسمان الخطط للمستقبل !

بل لقد حيل إليهم أن في الدنيا بقاءاً تبت السعادة ، كما لو كانت السعادة شجرة لا تبت إلا في مرة معة لا لمو بها في غيرها ؟ ولطال ما دنت نغها نادا لم يقدم لها أن تنكي على حافة شرفة من غشي فوق جبال سويسر ، أو أن تحبس شحوبها في كوح باستكنندا ، مع روح يرتدي حنة من لقمس الأسود ذات ذيل سانغ ، وحذاءين حلزون ، وجهه مديبة ، وأكاماً مشاة ؟ . . .  
نكتم تحت لو نعضي لأحد يهده خطوات جميعاً ولكن ، كيف السبيل إلى الإنصاح عن ذلك نصن الذي يتعذر التعبير عنه ، والذي تبتد صورته كالسحاب ، ويصعب بعسها كالرياح ؟ وهكذا ، كانت تعورها الألفاظ ، كما أعورتها المرعة والجرأة !

ومع ذلك آه ، لو أراد «شارل» لو خطر بباله لو التفت بمطراته مرة بحواطرها ، إناء لتعتج عليها - ليم تظن - عن يرض مع جوى ، كما تتقاط الشمار الناصجة من لأشجار مجرود أن نغها الأيدي ! بيد أن لأمر كان يجري على النعير من ذلك فكلمت اودات الألفة يهتف كلهم ازداد شعورها بانطواء روعي ، واتسعت الهرة التي تفضله عبي !

وكانت دحشة الرهانات - اللاتي أحسن لظن ماسحاده - لعله - إذ لاحظ أن لأتمة «روو» قد أخذت تملت من رهايتهن . . . والواقع أنهن كن قد أكشرن عليها بالطفروس والخلوات والمواعظ ، وأسرخن في تقيتها التبحر الوادع بحو القديسين والشهداء ، وفي لجزء النصائح التي تشهده إحصاع الجسد و خلاص الروح ، حتى أصبحت الفتاة كالمرس التي تحب بالعدس ثم قدّر بها أن تقف وأن يخرج العنان من بين أسنن !

وما ذلك إلا لأن تلك الروح الإبداعية التي نمت في جوانحها وسط عد الشاط الديني . . . تلك الروح التي أحبت التكيسة من أجل رهورها ، والأعاني بسبب كمناتها العاطفية ، والأدب من أجل متيراته ، حبة - هذه الروح لم تبت أن تمردت على أسرار الإيمان ، كما تمردت على ذلك النظام الذي كان يتعارض مع مراجها - حتى إن أحداً لم يأسف لرحيها حين سحبتها أبوها من الديار . بل إن الرئيسة شككت من أنها عدت في الأيام الأخيرة فليده الاحترام للرهبان الديار !

ووجدت «إيما» - في الفترة الأولى التي بت عودتها إلى البيت - لذة في أن تصدر الأوامر إلى الخدم بيد أنها لم تلت أن أبعثت الريف ، وحشت إلى المدير مرة أخرى !

وعندما وفد «شارل» إلى «بروي» لأول مرة ، أحس بحجة أمل ، إذ سم يسر ظهوره عن جليل تملنمه أو تحس به ! بيد أن شوقها المدهوف إلى شيء جديد ، والفتن الذي ساورها لتعير ظروفها - أو لعله الاضطراب الذي بعث ظهور هذا الرجل - كان كافيين لكي يحملا على أن توقن بأنها قد أصبحت أخيراً تلك العاطفة الخارقة ، التي كانت تسمى لها - حتى ذلك الحين - كمصفور كبير ذي ريش وردي ، يحلق بيده في سموات الشعر عاطفة الحب ! وما استطاعت حبسها أن تصور أن تلك أنكيبة النعمة التي كانت تعيش فيها هي . . . السعادة التي كانت تحلم بها من قبل !

كان حديث «شاول» سطحياً - كسطح إفيرير الطريق - تمر عليه آراء الناس في بنائها العادي ، فلا تشير فيه اهتماماً ، أو ضحكاً ، أو خيالاً ! فهو لم يحس بحسب الأسطلاح - كما كان يقول - يذمعه لأن يذهب إلى المسرح لمشاهدة المشايخ الباريسيين ، أيام كانوا يقيم في (روان) - ولا كان يعرف السباحة ، ولا استخدام السلاح ، ولا إطلاق الرصاص - وعجز موه عن أن يمس لها عبارة من مصطلحات الفروسيّة ، صاغتها في إحدى الروايات التي قرأها !

ألم يكن من الواجب أن يسير الأمر على العكس من ذلك ، فيعرف الرجل كل شيء - أن يكون مبرراً في كثير من بوحى المشاهد ليدوب روحته عليها أن يبصر امرأة بحايا العواصف ومنع الحياة - ويكن الأسرار ؟ ! لقد كان «شاول» على العكس من هذا كله ، فلا هو عرّفها شيء ، ولا كان يعرف شيئاً ، بل إنه لم يكن يطمح إلى شيء !

كان يظنها سعيدة ، وهي في الواقع تنغم فيه هذا السكون الخامل ، وذلك الركود المظلم - بل تنغم فيه أن حظي تلك السعادة التي أنحت به !

وكان يحلو لها أحياناً أن ترسم ، فكان «شاول» يجد نسيئة معة في أن يقف جامداً يتأملها وهي عاكفة على لوحة على لوحته ، أو وهي تنعم النظر إلى الرسم وقد ضاقت حديثها إيماناً في الدقة ، أو هي تعبت بقطعة من لباب الخبز تكوّنوها بين أصابعها - أما إذا عرفت على «البيانو» فكان يعجبه يردد كلما ازدادت حركات أناملها صرعه ! - كانت ترفع الحماة في ثقبه ، وتجرى أصابعها على المفاتيح من أعلى إلى أسفل دون توقف ، فتقر أوتار آلة القديمة ، حتى ليصل صوتها إلى أقصى القرية إذا كانت اللادة مشوشة وكثيراً ما يحدث أن يكون محضر القرية ماراً في الطريق ، فيتوقف عن السير ، ويأخذ في الإصغاء وهو حاري الرأس ، ولوراقه تحت إبطه !

\*

وكانت «إي» - من ناحية أخرى - تحس بتدبير المنزل ، وتكتب للمرضى رسائل لينة تذكرهم فيها بألعاب الانتشارات الطبية ، دون أن يشتتوا منها رائحة المطالبة ! وعندما يصادف وجود ضيف من الجيران على مائدة العشاء - في أيام الأحد - كانت تنهر الفرصة لتعرض لبعض ملامح الأثام في تنجيم أصناف الطعام - كأن ترصد الحرامات من البرقوق على ورق اللعب ، أو تصوع الحصى في قراتل تصف على الأطباق ، بل إنها أدخلت ثعوب من غيبتها في شواء أنه غلابه ، تنمصر فيها الأصابع بعد تناول الحصى ! وكان كل حد مدعاه إلى رفع شأن أسرة «بولاري» في أنظار الناس !

واشهى الأمر بشاول إلى أن ازداد تقديره لعه ، إذ وفق إلى مثل هذه الروجة ! وكان يطعم زائره مرهواً على بوحى صمغين رسمهما «إي» بالقمح ، وصنع بهما إطارين عريضين ، وعقدتهما إلى الحائط بشرطين أحضريين - وكثيراً ما أصبح يرى واقفاً أمام باب منزله - بعد مبارحة الكنيسة - وفي قديمه خفاه يدهما التعرّيز يختال بهما فخوراً !

وكان يعود إلى المنزل في بعض الأحيان متأخراً - في الساعة العاشرة ، وربما في منتصف الليل - فيطلب الطعام ، يمسك يكون الخدم قد أوتت إلى فراشها ، وبعد ذلك كانت «إي» تنوي إعداد عائلته ، فبعدد سترته لكي يتناول عشاءه في راحة ، ويخطق في صرد أسف - جميع من قابل من الناس ، وبما يرام من قري ، وما وصف مرضاه من عفاقر - ثم يأتي - وهو راغر عن نفسه - على ما يبقى أمامه من «الحساء» ، ويعقب بقطعة من الجبن ، ثم يأخذ في ضمغ تصاح ، وفي إفراز إفريق السبيد في جوفه - ولا يبيت أنه يدعب إلى السرير فيطرح فيه ، وغضي في نوم عميق يزفر وشيق !

وكان قد عدل عن القلوسة القطنية التي اعتاد لبسها في السرير ، وألف أن يلبس حول رأسه وشاحاً لا يكاد يستقر على أذنيه ، فيصحو في الصباح وشعره مهمل ، مبعثر على وجهه ، ولده عنق به بعض حشو الوسادة التي تكون أشرطها قد اتحلّت في أثناء نومه .

كذلك كان يرتدي في النهار ملابس كبيرين ، لكن معها رغبة عالية ، تملأ سطحها نيشان سيكتان تحفران نحو كعبي القدمين . أم وجهه اخذه مكان دائماً سترياً في خط مشيم ، وكأنه مشغود على خشب . وكان يردد دائماً هذا هو النوع المناسب للمرأة !

وكانت أمه تؤيده في هذا الاقتصاد ، إذ ما جاءت بزيارته - كلما وقعت في خلافه مع زوجها - كما كانت تعمل أيام الروحة الأولى ! وكانت تدر بركة بالروحة الجديدة ألبساً ، إذ كانت ترى أساليبها مدعاة لإسراف يعوق مستوى ثوابهم . فخشيب والسكر والشعير كانت تكدس تعدد ما يستهيك في البيوت الكبيرة . وكسبة اخضر التي كانت تحرق في المطبخ كعبي يطهو عشرون صنفاً من الطعام ! . وكانت تعتمد إلى ترتيب فاصصات ووجه امها في الصوان ، وتعلمها كيف يحسب الحرور إذا ما أحضر اللحم ، فكانت «إي» تتقبل بصبر ما تجود به الأم من دروس ! . وكانت كلمتا «إي» و«أمي» تبدلان طوال النهار ، مصحوبتين برعشه في السماء ، إذ كانت السيدتان ناعظان أهدب كنهين ، بلهجة تهتر بالغضب ! !

كانت الأم المحجور تشعر في عهد حمام «دويت» الراحلة بأنها ما زالت الأثيرة المفضلة لدى ابها . أما الآن ، فقد بدا لها حب «شارل» لإي يشبه فرار من حياتها ، أو انتفاص لما كان لها . فأخذت ترقب سعادة ابها في صمت كخشيب . كإنسان أمس فراح ينظر حلال وجناح الواحد إلى أعراب احبوا دونه اندمجة . وكانت تروي له مشقاتها وتضحياتها - على سبيل الذكرى - وتقاربها بلهمال «إي» على أن يستجيب أن ليس من الحكمة أن يتعلق باليدة الثابتة على هذا الحو الذي يملك فيه كل عواطفه !

ولم يكن «شارل» يدري كيف يتصرف . فهو يحترم أمه ، كما يحب زوجته حباً لا حد له . وكان يعتبر أمه معصومة من الخطأ ، ولكنه - مع ذلك - لم يكن يرى في مثلث زوجته مدعاة لغوم والتخفي ! . وكان يستجمع حراته - بعد أن ترحل مدمم بوفاري - فيردد في استنحياء - بالفاظ أمه نفسها -

بعضاً من أهدب المآخذ التي يكون قد سمعها منها . . ولكن «إي» كانت - بكلمة واحدة - تقعه بأنه على خطأ ، وترسه إلى مرضاه ! . ومع ذلك فقد صحت تحاول أن تقنع نفسها بأنها تحه وفقاً لمنظريات التي كانت تؤمن بها ! كانت ترمذ عن سمعه - في أخديقة ، وفي ضوء العمر - ما كانت تحفظه من ظهر قلب من الشجر المسهب ، وتضي له - وهي تسهد - بعض الألسان الشجة . غير أنها كانت تمهد نفسها بعد ذلك ساكنة للعواطف ، كما أن «شارل» لم يكن يملأ أكثر حباً ولا انفعالاً كما كان عليه قبل الشعر والعناء ! وهكذا لم تلبث - بعد أن قدحت ربات قلبه فلم تبحث معه شراكة - أن انسالت إلى إقناع نفسها بأن حب «شارل» خال من الحرارة ! . بعد أصبحت أوقات انطلاقه وتحلله منتظمة . وهو يقبلها في «مواعيد» معينة ، وكأنه يدرس حادة من العادات ! . . لو كأنه يتناول حلوى مرقية بعد عشاء رتيب !

وفي يوم حدث أن عالج الطبيب أحد الحراس من التهاب رئوي ، فاهدى الحارس زوجته كعبة إيطالية صغيرة أحدثت بصحبها في برحاتها ، إذ كانت تخرج أحياناً كي تحنو إلى نفسها ، وحتى تريح بصرها بفقر الشيء من النظر إلى تلك الخديقة العتيقة ، والطريق الثرية ! . كانت تمضي حتى غابة الزاين صند (نطيل) ، على مقربة من الباء المهجور الذي تؤلف حدوده راوية عدد معطف الغريو المفضية إلى المحول . وهناك وسط الأعشاب الدامية في الخندق ، وأعواد الوص ذات الأبراق خادئة ، كانت تأمل ما حولها بنين ما إذ . كان قد ألم بالمكان أي مغير عما كان عليه في آخر مرة وعنفته . فكانت ترى رهور «الريحتيلا» والقرنفل في مانتها نفسها ، والياتات اشوكية تحيط بالأحجار الكبيرة ، والطحالب على طون البراقب الثلاث - في الميس المهجور - التي كانت مصاريعها مصفحة باستمرار ، يسرب عيوبه للتراب ليشركم على فضيلاتها الخديقة التي جعلها المصدا .

وكانت أفكارها لا تنعم أن تهيم بلا عايم ، مثل كبتها التي كانت تجري في



وكان صوت الهزار يمتد خلال أرواق الشجر ، مستعيراً لونها الأخضر ،  
 فيمكن على العشب القصير الذي ين في وفرة تحت قدميه - ولا تلتفت  
 الشمس أن تجرح إلى «تقييد» ، فتعمر السماء ، وتبدو جلوج الأشجار الناعمة  
 بانتظام في خط مستقيم ، كأنها أعمدة قائمة على صفحة من العشب  
 ونسري الزهرة إلى بعض «إي» تنادي كليتها «جالي» ونسرع إلى «نوست»  
 ثم نلتقي على مقعد صريح ، ونظن صلابة ليلة الليل !

وعد اعترض حياتها - في أواخر أيلول / سبتمبر - حادث غير عادي ، إذ  
 ذهب إلى (مويسار) لزيارة مربي «أنديلي» - وبنت كان المربي قد تولى  
 الزواجر من قبل - عند صوده الملكية - فإنه أخذ يتطلع للعودة إلى الحياة  
 السياسية ، ويكر بالحميد لترشيح نفسه لمجلس النواب - فكان في الشتاء بورع  
 لحطب ، وكان في مجلس المقاطعة يطالب متحمساً بإصلاح الطرق في  
 دائرته - فلما جاء الصيف بحرر اللافح ، أصب بدمل في قدمه ، استطاع  
 لشاول أن يريحه منه - بما يشبه «مسجرة» - بحركة من يده عن وجهه في  
 سوت لمصيب !

وعندما عاد القندوب الذي أرسله المربي إلى «نوست» ليدفع أتعاب  
 «طبيب» ، ذكر ليد أنه في حديقة الطبيب نوعاً مختراً من «الكريز» الذي كان  
 هو بدوره متعلماً في حدائق (مويسار) - فطلب المربي بعض «العقل»  
 وعي بأن يذهب معه إلى الطبيب ليذكره - وهلاً وقع بصره على «إيما» ،  
 فلاحظ هوانها الأليف ، واستمرى انتباهه أنها لا تحي بالتحية كالملاحات  
 ولم ير أي محاولة في التواضع ، أو أي خرق لنتفاليده ، في دعوة الزوجين  
 انشأين إلى قصره !

وفي الساعة الثالثة من أحد أيام الأربعاء ، رحل السيد والسيدة «يوفاري»  
 إلى (مويسار) في عربة شئت إلى سطحها حمية كبيرة - ووضع أمام  
 مقعدها صديق للقبعات ، فضلاً عن أن «شاور» حمل على فحديه صندوقاً  
 من الورق المقوى

حفقات خلال الحقل ، وترسل بجانب خلف العراشات الصغيرة ، وتطارد  
 «الجردان» أو تمضغض الخشخاش اسمي على حافة حقل القمح ثم تأخذ  
 أفكرها في التركيز شيئاً فشيئاً ، فردة نفسها وهي تعرش الحشائش التي  
 كانت تميت بها بطرفه مظلتها - يا إلهي ! لماذا تزوجت ؟ !

وكانت تائل نفسها أيضاً «أرسم نجد لمصادفات طريفاً آخر تدعمها فيه  
 لتتلفي برحس آخر» - ثم غص في تحليل لأحداث التي كانت تترب على  
 دنث - الأحداث التي لم تقع ، والحياة التي تعبر حياتها مخالية ، والروح الذي  
 لم تعرفه - فلا مراء هي أن الأزواج ليسوا جميعاً مثل زوجها - كما من  
 الممكن أن يكون زوجها جميلاً ، مرحاً ، أنيقاً ، جذاباً ، مثل أولئك الأزواج  
 الذين ولا بد قد حظيت بهم وميلاتها في المديرا - ترى ماذا يفعل أولئك  
 الرميلاات لأن في مدينته ، وسط ضجيج الشوارع ، وأغواء المسارح ، وصحب  
 «الراقص» - إيهن ولا ريب يحطون بحياة يتعشع بها العشب ، وتتعشع  
 الحواس - أما هي ، وإن حياتها باردة كحرن الرطب الذي أوتي بامدة شتالية !  
 والمثلث ! - دنث العيكوت الصامت الذي كان يعزل سيجته في الظلال ،  
 في كل ركن من أولئك فليها !

وقد كرت أيام توزيع الحواتو - في أثناء الدراسة - حين كانت بعيدة إلى  
 المصحة لتتسلم نصيبها من التيجان الصغيرة ، وقد بدت بديعة شعرها المبول ،  
 وثوبها لأسود - وكان السادة ينحرون ليسمعوه عبارات التهته ، إذا ما  
 صادت إلى مكانهم - ويطلون من نوادم العربات التي تملأ صحن المدير  
 ليودعوها عند انصرافها ؟ - كما كان مدرس الموسيقى يحبيها إذ يمر بها  
 حاملاً قيثارته الواه ! لكم أصبح كل هذا بعيداً آه ، لشد ما بعيداً !

وكانت تنادي كدتها «جالي» تمضغضها على ركبتيها ، ولحمر بأصابعها لحرق  
 رأسها الصغير ، وتمس لها «أيه» قلبي سيدنت ! قلبها يا من لا تنقل  
 الهموم قلبها !

ووجلا عند هبوط الليل ، عندما كانت مصابيح الحدائق نضاء لتثير الطريق  
للحريبات الرعدة

- ٨ -

كان قصر المركيز ميبأ على الطراز الإيطالي الحديث ، يمتد منه جناحان ،  
وبه ثلاثة مدخل تعصي إلى شرفات ذات درجات وأمام السهم الأوسط  
وقب عربه «شارل» مظهر الخدم . وبمعد المركيز فأعاد ووجه الطبيب ذراعهم  
وقادهم إلى البهو ، الذي رصعت أرضه ببلاد من الرخام ، وارتفع سقفه إلى  
على شاطئ ، فكان يردد بوقع الأقدام والأصوات فيه صدى كالذي يردد في  
الكنايس وفي أقصى البهو كان يوجد سلم مستقيم وإلى اليسار كانت  
ثمة شرفة تطل على الحديقة ، وتؤدي إلى قاعة «البلياردو» التي كانت أصوات  
الارتداد الكرات المعلقة تهتج خلال بابها .

وبمما كان «إيد» في طريقه إلى داعة الاستقبال ، وقع بصرها على رجال  
ينبو عليهم سيما بوقار والنعمة ، وقد استقرب دقوبهم فوق لربطة رفاهم  
العانية . وكانوا جميعاً يجمعون لأوسمه ، ويسمون في صحت وهم مكتوب  
على مائدة «البلياردو» . وهوى الخشب الداكن الذي يكو وحدران ، كانت  
ثمة إطارات مدهبة ، نقش على حوافها السمل أسماء بحروف سوداء ،  
فراحت «إيدا» منها لجان أنطوان دو أندجيه دي إيفرونيل ، كوست دي  
فوييسار ، وبارون دي فريناي ، الذي قتل في موقعة (كوترا) في ٢٠ تشرين  
الثاني / أكتوبر سنة ١٥٨٧ . وقرأت تحت إطار آخر جان أنطوان هري غي  
دو أندجيه دي فوييسار ، أميرال فرنسا ، وحامل وسام فروسية القديس  
ميشيل ، الذي جرح في موقعة (هوج سان فاست) في ٢٩ أيار / مايو سنة  
١٦٩٢ ، ومات في (فوييسار) في ٢٣ كانون الثاني / يناير سنة ١٦٩٣ . أما  
بقية الأسماء ، فلم يسهل على «إيد» تبسها ، إذ كانت أسماء مصابيح المعككة  
من مائدة «البلياردو» مختصراً تلقى ظلالاً قائمة حول القاعة ، وعلى اللوحات  
الأنفية ، فتصهر الشفقات التي كنت تتحس سطحها كحطوط دقيقة ومن

حلال هذه الممرات الكبيرة السوداء ، أهاطه بإطارات من ذهب ، كانت تبدو  
هذه وهائلة أجراء أكثر وضوحاً في اللوحة جبهة شاحبه ، أو عيان حادناك ،  
أو شعر مستعار يتهدل على الكتفين فوق ملابس حمراء .

وفتح المركيز باب الصالون ، فهبطت إحدى السيدات - وهي المركيزة  
عصها واستقلت «إيد» وأجلسها في مقعد إلى حوارها ، ثم أهدت تثررها  
بحديث ودي ، كما لو كانت تعرفها منذ زمن بعيد . كانت سيدة في نحو  
الأربعين ، أوتيت كنعين يديتين ، وأثفا حاداً ، وصوتاً لياً . وكانت تخرج  
فوق شعرها الكستاني - في ذلك لسان - شالاً من «الفانتيل» ، يمدد على  
ظهرها في شكل مثنت وإلى جورها ، كانت تجس شابة ، في مقعد عالي  
الظهر ، ورجال حلّت عوى شتراتهم بورود صغيرة ، وقد أخذوا في الحديث  
مع السيدات حول المائدة

\*

أعد طعام العشاء في الساعة السابعة ، فجلس الرجال - وكانو أكثر عدداً  
من السيدات - حول المائدة الأولى في قاعة الطعام ، بينما جلست السيدات  
حول المائدة الثانية التي كان يرأسها المركيز والمركيزة

وجلس في أقصى المائدة - وحيداً بين السيدات - شيخ انحنى على طبقه  
الذي ، وقد ربط مشعبته إلى صدره كالطفل ، وأحدث قطراب «الصلصة»  
تصاعد من فمه وهو يأكل . وكانت عينا محنتين بدوى الدم ، قال كان  
والد روجة المركيز «دوق مرديير» المس ، الذي كان د حظوة لدى «كرمت  
دروغو» فيم مضى ، أيام مرحلت الصيد في (مورهي) عند المركيز «دي  
كوبيدان» والذي قيل إنه كان عشقاً للملكة «ماري أنطوانيت» إلى جانبه  
عشيقها الآخرين «دي كوبي» و«دي لوزون» !

وكان الدوق قد عاش حياة عريضة صاحبة ، سعت بديارواب والمراهقات ،  
وبالنساء اللواتي كان يغويهن . وقد بدد ثروته ، وأرجع أسرته كلها  
وكانت الكؤوس تنزع بالشبابية المنجة ، التي كانت ترسل في حسد «إيدا»

كده رعدة ، كلما صب شعيبا ١١ لم تكن قد رأيت الزمان في حياتها من قبل ،  
ولا أكلت الأناناس ! بل إن مسحوق السكر الداعم سادها أنهج يانغاً  
وأكثر بعمرة منه في أي مكان آخر !

وما لبثت السيدات أن صمدن إلى حجراتهن ليتحدثن أهيمنهن للخدمة  
الرائعة . فحيث إيماناً برتبتها في دقة المشقة التي تشهد ليلة ظهورها  
الأول ، وسبق شعورها وفقاً لمتالح المزين ، وأحدثت توتنفي ثوبها الصوفي  
الحصيف الذي كان مسوفاً على السرير ، سما كان «شارب» يشد بطنونه إلى  
وسطه . .

ومض «شارب» الصمت قليلاً : «سوف يصيقي السير الخدي - الذي يشد  
أقدامنا إلى البطلون - في أثناء الرقص» .

هتعت في استكار . «الرقص؟» .

ولم أجاب «نعم» ، قالت «هل فاش عقلك؟» : «سوف يسحرون  
منك ! انرم مضعدك !» ثم أردفت : «إن هذا أليق بمكانك كطبيب !»  
ولزم «شارب» الصمت ، وراح يسرع الغرفة جيئة وذهاباً ريثم نزع «إيمان»  
من ارتداء ثيابها . كان يراف من الخلف - على صفحة المرأة - بين شعدين ،  
وقد لاحظ عيناها أشد سواداً من عهدهما . وخصلات شعرها التمدت في  
شوح على أذنيها تنمخ ببيتق لزرق ، وقد ثبتت في عانة شعرها المكور في  
مؤخر رأسها وردة صاعية على ساق متأرجحه ، تانرت على أوراقها فطرات  
من الماء ! أما ثوبها ، فكان ذا لون أصفر شاحب ، تحيه ثلاث باقات من ورد  
صناعي أحيط بالفضرة

وتقدم «شارب» مطيع على كمنها قبلة فما كان إلا أن هضت «ابعد عي  
تلا ثلث الساق صلابي !»

وسمعت «إيمان» أنعام قبارة ، ودوي برق ، فهبطت السلم وهي تمسك نفسها  
بعاء عن الحزري . وكانت حذفت الرقص الرباعي قد سادت ، وأخذ  
البدعوي يتداعون ، هجست في مقعد متطيل إلى جوار الباب - حتى إذا

استهت انرقصة ، خلت الحصة إلا من رجال أهدوا يتحدثون وهم وكوف ،  
والخدم يروحون ويصعدون في ريمهم الرسمي وقد حملوا الصحاف الكبيرة  
وحمل طول الصف الذي هم الساء كانت المروح نهت ، وباقت الورد تحجب  
جانباً من الوجوه الباسمة ، وفيتات العطر ذات الأهمية الذهبية تدار في  
الأيدي التي شعت قدراتها البيضاء عن أناملها ، وضطت على معاصمها .

وحمل قلب «إيمان» قليلاً عنيد تقدمت لتحير لعمها سكاناً في الصف ،  
انتظراً لحركة قوس عازف القيثارة ، إبدأت بدء الرقص ، وقد أمسك رميلها  
بأنظراف أناملها . وم إن انسابت الأنعام حتى ربيها الاتعمال ، فحركت إلى  
الأنعام على إيقاع الموسيقى وهي مهر ربتها هراً حقيماً . وأخذت ترتسم على  
شفتيها ابتسامة ، تردده اتساعاً كلف أبدي عازف القيثارة ، حين يعرد بالحرف  
أحياناً وتكلم الآلات الأخرى عن مشاركته . . كانت بصفاته رفيقه ، هادئة ،  
حتى ليتمكن معها سمح وبين الجبهات الذهبية على الخوخ الأخضر ، لوف  
موائد المسر في الغرفة المأهولة . ثم لا تبث العزفة الموسيقية أن تعود إلى  
العزف «شترك فجاء ، ويرسل البرق أنعامه الرنابة» فتدق لأقدام في إيقاع ،  
وتوهم أطراف «الثوب الوسيعة وتلاصق ، يسما تشدك الأيدي ثم تفرق  
والعيون التي تعض عت لا تليث أنه يعود إلى التحدث في هينك !

كان ثمة خمسة عشر رجلاً تقريباً ، تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعشرين  
والأربعين ، يتشرون بين رافصين ، أو يتدولون الأحاديث عند الأبواب ، وقد  
اعتادوا عن العاقين - على تبين أعمارهم وزياتهم وأشكال وجوههم - سيما  
عزافة الأصل ! ويصم كانت أسارات الشباب تبدي على من يهرهم  
الشيخوخة ، كانت وجوه الشباب منهم تنم بمحنة من صوج . لما نظراتهم  
غير المكترثة ، فكانت تطلق بهود حدة الشهوت التي مجد كل يوم ربا  
وشبعا ! ومن حلال حركاتهم الرشيفة ، كان يبق ذلك الأعداد الذي  
يولد اعتياد السيطرة على ما في اليد من أشياء ، كب هو الحال في رياضة  
الحيل الأصيلة . وعصاها الموائى !

وعني بعد ثلاث خطوات من «إيما» ، أخذ أحد فرسان حلبة الرقص - وكان في ثياب روقاء - يتحدث عن إيطالي ، إلى شبه شاحبة اللون تتحلى بالذكاء - وراحا يصبران عن إصغابهم بصحبة أعمدة كبة القديس بطرس ، والنشيدقولي ، ويوكاك ليروف ، والكاستلاماري ، والكاسين ، وورود جنوا ، والكوتيزيوم في ضوء القمر ؟

وبالأدب الثانية ، أحدث «إيما» ثلثت إلى حديث زاخر بالمصايط لم تكن تفقهها ، إذ أحاطت جماعة بشاب يافع كان حواذه قد فاز في سباق لأسيوع الماضي ، وكسب ألفي جنيه في مباراة للفهر فوق حفرة في إنكلترا وكان بعض أفراد الجماعة يشكون من ازدياد أوران بعض حيويهم ، فيما كان فريق آخر يشكو من أعطاه معدنية حرق أسماء جيادهم في الصفوف !

•

وهذا صعب المرقص ، وأحدثه أضواء المصابيح تحفت ، والجمع يصرف إلى قاعة «البلياردو» وصعد خادم فوق مقعد مكسر لوحين من بروجاج ود أدارت مدام «بولاري» رأسها نحو الصوت ، لفت خلال النافذة وجوه اللاعبين في الحديقة تنصع إلى ما يجري بداخل القصر ، فذكرت (برثو) ، وعادت إلى محلها صبور المزرعة ، والبحيرة ، وأبيها تحب أشجار التفاح مودياً حميصه ! ، بل إنها رأت نفسها - كما كانت في الماضي - تنزع الفتحة بأصابعها من يدور النبي ! غير أن حياتها ، خاصة - التي كانت واضحة ، بصالم حتى تلك اللحظة - سرعان ما تلاشت عن آخرها في بريق ساحتها الراحة ، حتى كادت ترتاب في أنها عاشتها يوماً ! - ولم تعد تعيش إلا في حلبة الرقص ، بيما كانت الظلال تلعب ما عدها - وأحدثت تمايل المندجات في كأس مطعمه بالذهب أمكنها بيسرها ، وراحت سبل أجنادها وهي برع الملطفة إلى نفسها !

وكانت إلى جوارها سيدة تركت مروحتها تنفط ، ثم نالت لأحد الراقصين وهو يمر بها ، فمن لث يا سيدي أن تفضل التقاط مروحتي التي سقطت وراء

هذه الأريكة - وانحنى السيد - وعيم كاد يلتقط المروحة ، لفت «إيما» السيدة تلقى في قبعتها شيء أسف مغوي على شكل مثلث - وما لبث السيد أن قدم المروحة باحترام إلى السيدة ، فشكرته بهزة من رأسها ، ونحويت تشق غير باقة من الزهور كانت تحملها !

وبعد وجبة العشاء تأحدث العربات ترحل تباعاً ، وأضواء مصابيحها تمدو - من حلق لستائر الحرير - مشرحة في جوف الظلام وتنبأ المصاعد بحبو غير أن بعض المقاصرين تخسروا - وراح الموسيقيون يمدقون أطراف أصابعهم ليربطوها - وشمم «شارل» إلى شه إعمدة وقد أسد ظهره إلى أحد الأبواب

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، بدأ رقص «الكوتيون» ، ولم تكن «إيما» على دراية برقصة «الغالب» ، بيما رحت بنية المصاحرات - حتى لأنة دو أندفيليه و«ركيرة بعص» - يرتقصها - ولم يكن قد بقي غير اثني عشر شخصاً تقريباً هم بولاء القصر على أن أحد راقصي «الغالب» - وكان شاباً يرندي صندراً واسع الفتحة يتنصص يصدره كالفالب ، ويدعوهم القوم بلقب «الليكوت» - تقدم من مدام «بولاري» يدعوها لمراقصته ، مؤكداً لها أنه سيرشدنها فلا تلبث أن تنق الرقصة !

وشرع يرتقص في عدة ، ثم «دابات السرعة» ، وأحد يدوران فيدور معهم كل ما حولهما من مصابيح ولآلات وجدران ، وأرض ! وعندما مر على مقبرة من الباب ، التفت ذيل ثوبه حوس بصفوه ، فشاحت أرجلها ، وخفض بصرة نحوه ، ورفعت في بصرف نحوه ، وعلى الفور أحست بتهيب مخدر يسري في أعصابها ! وتوقف عن الرقص لحظة ثم استأنفها ، وإذا «الليكوت» يقود «إيما» بحركة رشيق إلى نهاية السهر ، حيث احتفى معها وكانت قد أوشكت أن تنفط لاهة الإقناس ، فأسندت رأسها غيبها إلى صدره - ثم حاولت الدوران في حركة أهدأ من ذي قبل ، حتى عاد



«الفيكوت» بها إلى مكانهما لأول ، منها لكت على مقعد بجوار الحائط ،  
وغطت عينيها براحتها !

وعندما فتحت عينيها من جديد ، رأت سيدة تجلس على مقعد في مصف  
الصلابون ، وقد انحى أمامها ثلاثة من الرافضين يتنافسون على الصور بها  
شريكة في الرقص ، ولم نلت السيدة أن اختارت «الفيكوت» وحددت القيظوة  
إلى العرق . واتجهت الأنظار إلى الرافضين اللذين أحلا يروحان ويحيثان ،  
وجسم السيدة ثابت في استقامته ، وقفاً ممكنة إلى أسفل ، كذلك كان  
«الفيكوت» مشدود القامة ، مقوس الفراخ ، وغد رفع رأسه . ولم يكن ثمة  
شك في أن السيدة تجيد «الغالب» . وقد استمر في الرقص وقتاً طويلاً حتى  
أنهماك الموصيقين وبقيّة الرافضين !

انتهى الرقص . ودلر الحديث للضح دفاق . ثم تبادل القوم تحيات  
الوداع ، أو بالأحرى - تحيات الصباح - ثم انصرف تروا القصر إلى  
مصادعهم . .

وصعد «شارن» المسب وهو يجر معه جراً ، وقد كادت ساقاه تعجزان عن  
حمله ، بعد أن ظل وانعاً خمس ساعات متوالية يشاهد لعب الورق دون أن  
يفقه منه شيئاً . . وتخص الصلابة حين حرر قديمه من نعليه !  
أما «إيما» ، فقد غطت كتفها بالثال ، وتحت الثالفة على حافتها

كان الليل حالكاً ، وأظهر تقاطع رتافاً . وأخذت «إيما» تسبق - في  
بهم - الهواء الرطب الذي يث في كانه انتعاشاً . وكانت موسيقى الرقص  
لا تزال تطن في أذنيها . وجهدت لتظن ساهرة ، كي تمكن حبالها من أن  
ينعم ، أطول وقت يمكن ، بالحياة المشرقة التي لم يكن بد من معادرتها مما  
ليل !

وبرخ العجز ، مرغت بواحد القصر بطرات طويته ، محاولة أن تصور ما  
كان يجري في مصادع أولئك الذين لقنوا نظرها في الليلة الماضية ، وكأنها تود

لو عرفت حياتهم ، وتحدث إليهم ! ثم صلت إلى أنها كانت ترتعش من  
البرد ، فحسنت ثيابها ، واتدمت تحت لأغصيه إلى جوار «شارن» الذي كان  
قد استغرق في النوم !

وفي اليوم التالي ، حضر الغداء عدد كبير ، ولكن جنوسهم إلى المائدة لم  
ينجاوز عشر دقائق . وأدهش الطبيب أن لم تقدم خلال الوجبة أية عطور  
وما بثت الأتة ذو أندعسه ، أن جمعت قطعاً من الخبز في سلة تجعلها إلى  
الرجوع في بركة لده . يسا انصرف انقوم ملتزمة في الميوت الرجحة التي  
أعدت لإكفاء نيكات المساطق الحارة ! .

وماد المركيز روجه الطبيب الشاب إلى حظائر الخيل ، على سبيل التسلية  
وتخصية الوقت . وكانت ثمة لافتات من الخرف ، عرق المداود الشبيهة  
بالسلاسل ، تحمل أسماء الخيول بحروف سوداء . وكانت كل دابة تتحرك في  
ملوحيها ، وتقمقع بمسائها ، صدم يمر أحد على معربة منها . وبدت أحشاب  
أرض الحظائر لامعة كأنها أرضية صالون . وكانت أطقم العربات مصفوفة  
في الوسط عرق عمودين ملتفين ، يسا وثبت الأتة ونسباط والسلاسل في  
خط مستقيم على طول الحائط .

ولم تلك الأتة ، ذهب «شارن» يرجو غواصاً أن يعد عرته التي كانت قد  
اقبضت إلى المدخل حتى إذ حمت إليها الحفائط ، هدم الروحان  
أبوابها ، غياتهما إلى المركيز ومركيزه ، ثم استعلا العربة عائدين إلى (توست)

وحدث «إيما» ترقب في صمت المجلات وهي تدور ، يسا كان «شارن»  
يقود العربة وقد جلس على حافة المقعد متسرح الساقين ، والحواد الصغير  
يخت بين درعي العربة الخشبيتين ، والعصا المربعي يمسك بحجر الحصان  
فيتن بالارد ، يسا كان صندوق سدي ربط خلف العربة يرتطم بجدارها في  
صراوات متلطمه .

وعند وصولها إلى مريدعات (تيسورفيل) ، مر أمامها حجة عدد من

العروسان يغصن بحكوك ولعادات السجار في أفواههم . . . ويحين لإيما أنها تعرق  
سهم على «الليكويت» فالعنت ، غير أنها لم تر في الأفق سوى رؤوس  
تتحرك في ارتفاع وانخفاض ، مع حركات الخيل في عدوها وخيها  
وما إن قطعنا نصف المسافة حتى اضطر إلى التوقف ، كما يصل باحبال ما  
«يقطع من «السيرة» الذي يربط الجود في العربة . . . وعيما كان اشار إلى يلقى  
نظرة أخيرة على الطاعم بعد أن أصدره ، مع بين فواتم لحواد . . . على الأرض . .  
حافضه سيجار من الخيزر لأخضر المعطر ، يتوسطها شعار يتم عن أنها لتحص  
من ذوي الألقاب فقال «إنها سيجارين سادحين بعد العشاء «بيده»  
فناكته «إيما» : «إدا فأنت قدخس !» .

قال «أحيانا عندما مسح بي فرصه»  
ووضع «عبته» في جيبه ، ثم هوى مسوطه على ظهر الخرد الذي اندفع  
بالعربة .

ولم يجدا العشاء معداً حين بلغا دارهما ، فاحتدت «إي» . . . ولست أجاسها  
أخذام «نناري» في قفحة . . . صاحته بها :

«حرحي من هنا هذه وقاحة مشيئة ! أنت مطرودة من هنا»  
وتحولت بعد العشاء بعصها . . . وكان يتكون من حبـ بالبصل ، وقطعة من  
لحم العجول . . . وجلس شارل أمام إيما يبرد بيده ويقون في عبطه . . .  
أمتع أن يعود المرء إلى داره !»

وناهى إليهما صوب «نناري» وهي تبكي . . . وكان «شارل» يزل العـ  
المسكية من يده مرله طيبة ، إذ شاعرتي لألمسيات العريولة التي مرت به أيام  
حره ، كما كانت أول من عرفه من أهل المنطقة ، حين بدأ يمارس مهنته  
فيها . . . فلم يلبث أن سأل زوجته : «أحقاً طردتها؟» .

وردت «إيما» في حلق : «أجل . . . من يعتبي من ذلك ؟ !»  
وبعد العشاء ، التمس لهما في المطبخ ، حيث أخذ «شارل» يدخن وهو  
يمط شعنتيه ويسحق في كل لحظة ، ويضمجج في ستمراء عند كل منة

دخان ! . . . فبعد لبثت «إيما» أن دالت له هي استهجان السوف ، يؤدي  
بذلك ! . . . ومن ثم وضع السجار جانباً ، ثم جرى إلى المنضخة يشد كواب  
من ماء الرد . . . وإدراك تدولت «إيما» حافظة السجار لقدت بها في قبح  
الصوان

وبدأ لها اليوم التالي طويلاً ، فأخذت تمشي في حديقة الصغيرة حيث  
ودهاياً ، متوقفة من حين إلى آخر أمام الأحواض أو عرائش الكروم أو قشال  
الشر المصنوع من حصص ، تتأمل في ذهنه هذه لأشياء القديمة التي ألفتها  
وعرفت من قبل . . . لكم لاحت لها سلة الرقص بعيدة ! . . . ترى من د الذي  
أقام هذا الحاجر الكبير بين صباح أسبها ومساء يومها ؟ . . . لقد تركت رحلتها  
إلى «فوبان» ثمرة في حياتها كتلت الشرعات الواسعة التي تحفها العاصفة  
في الحبال أحياناً ، في ليلة واحدة !

على أنها تقبلت الواقع في استسلام ، وطوت في وجوه ثباتها لجمعية  
داخل الصوان ، وبها حياءها الخريزان ، وقد اصغر علاها من أثر الشمع  
الذي كانت تنرق عليه فوق أرض حب الرقص ! . . . تماماً كما اطمع في قلبه  
بعد احتكاكه بالثر . . . أثر لا يبرول !

وهكذا غدت ذكرى تلك الليلة الراقصة شعلها الشاعل ، فكانت . . . حين  
تسقط في صباح الأربعاء من كل أسبوع . . . تهمس لنفسها «آه ! لقد  
انقضى عليها أسبوع . . . مضى أسبوعان . . . موت ثلاثة أسابيع . . . مد كنت  
هناك !» . . . وشيئاً بشيئاً ، أخذت معالم الحفلة محتدة وتتداخل في ذكرتها ،  
فتبث الحان الرقص ، ومن تعد تذكر الخلاس والحجرات في وضوح . . . فقد  
ذهب بعض التفاصيل . . . وبقيت لها الحسرات !

كثُر ما كانت «إيما» تسعى إلى الصوان . . . إذا حد عادر «شارل» المرل . . .  
فتخرج حافظة «سجار الخريزة الخضراء» من ثياب الثياب التي دستها بيده ،

وتروح تأملها ، وتفتحها . بل إنها كانت تشق رائحة بعداتها التي جمعت بين العطر والتبغ ! ترى لمن كانت تلك الحافظة ؟ أتراها كانت للفليكوت ؟ ! لديها عذبة من عشيقته سحبت وطهرتها له على إطار من خشب الورد ، لتكون تحفة صميرة يحتفظ بها بعيداً عن أمهين الفضوليين جميعاً ! ولعل الحافظة الجميلة شغلت يدها ساعات طوالاً ، كانت غصن من شعرها تهدل خلالها على التبغ . ولا بد أن مسه من اسحب سرت بين خيوط الرقعة ، والقناة تثبت مع كل غمرة من إهتها أملاً أو ذكرى ! كان الخيوط الحرفية في امتدادها وتقاطعها ، مسكاس ما كان في فؤاده من هيام صامت ! حتى إذ فرغت منها في النهاية ، حملها «الفليكوت» ! ترى فيم كان يدور الحديث حين كان يضع هذه الحافظة فوق المدواة ذات الأضار المبرقشة ، بين أصص الزهور وساعات «بيادور» البدولية ؟ !

وكانت «إيما» ترند من هذا الحلم إلى التفكير في عهد . ها هي دي في (نوست) و«الفليكوت» في باريس بعيداً ترى كيف هي باريس ؟ يا دلاسم العظيم ! وراح تردده لصها هامة وهي تستشعر منعة في تكراره ! كان يرى في أديمها دبور ماقوس نكية . بل بدا كما لو كان يبحث شعاعاً شامساً حتى يصل إلى السطوح المصعرة بنصبه على عذب الدهان والمصق !

وكان صبادو السمك يمررون في الليل تحت نواد الدار ، وهم يرددون أناشيدهم . فكانت تستيقظ من نومها ، وتصغي إلى قرعة العجلات الحديدية حتى يتلاشى ضجيجها في السهية ، بعد أن سارح العزيمات البلدة . وعندئذ تحدث معها قائلة «لوغ يصلون إليها غداً»

وبانتعت خريطة باريس ، فكانت تتابع بأصبعها معالمها ، وتقوم بجولات وهمية في أحيائها تسير في الشوارع الكبيرة ، وتقف عند الأماكن التي تقاطع عندها خطوط الشوارع أمد المرمعات البيضاء التي تمثل لاندول . حتى إذ تعب عيناها ، أقدمت أجعتهما . وإذ ذاك ، كانت ترى على صفحة

الظلام صور لشاعر والرياح تعث بالستف ، وأبواب العزيمات تفتح في صخب أمام أبهاء المسارح !

والسمركت في صحيفة «الكوري» - التورية - وصجلة «سيف» (٥) لاجتماعية ، وأحدث تلتهم ما كان يشر فيه ، دون أن تفعل كلمة من ألبه حقلان العرض لأول للمرحيات ، وحملات الباق والبهرات . وكانت تهتم بظهور معية جديدة ، أو بالفتاح متجرا . وأخطت بمعرف كذلك على الأرياء الحديثة ، وتخطت عروس لمهر الحافكين والحافكات ، والأيام التي اعتاد المجتمع نهدي أي يحور فيها لمرهة في العانة ، أو يسهر في الأوبرا ! وقرأت بطرارك (٥٥) وجورج صناد (٥٥٥) وهي تشد إلهافاً وعمياً لمطامير الشخصية ! وبلغ من شعبه هذا أن كان يحمل كتابها معها إلى الدائرة وتقلب صفحاته . يدا يكون «شارل» متعمكاً في لأكل واحدث . - وكانت ذكرى «الفليكوت» لا تغتأ تعاودها في أثناء قراءتها ، فتقارن بينها وبين شخصيات التي تصادفها في الروايات . على أنه الدائرة التي كانت تحيط بشخصيته راحت تتسع شيئاً فشيئاً . وأحدث حالة الرواء ، التي أسلمته بها ، تعارفه رونداً وريداً لتتعد إلى مسافات أبعد ، حيث تضيء أحلاماً أخرى ! وهكذا ماتت «إيما» ترى باريس أكثر انشاعاً من المحيط ، وقد راحت تتلقت أمام عبيدها في سو قرمري !

لكن الكوان الحياة المصطنعة في هذا شخص ، كدت - عند «إيما» - مقسمة إلى أجزاء ، ومرتبعة في لوحات منسابة . ولم تكن «إيما» تسكن من العوالم التي تضمها باريس سوى اثنين أو ثلاثة تغطي على ما حدها ، كما لو كانت لسانيه مرمتها تمثل فيها وحدها . دب السراء ، يخطرون فيها فوق أرض لا معة ، في صالونات كسيت جدرانها بدراب ، ويجلسون حول موائد يسفوية

(٥) Diderot وتسمى المحورة ، أو الجلب

(٥٥) أوبويه دو بانك ، قصي فرسي (١٧٩٩ - ١٨٥٠)

(٥٥٥) جورج صناد اسم عرفت به الأديبة الفرنسية أورو جوي (١٨٠٤ - ١٨٧٦)

القش ترميها في المذود كلما اتفق

وكانت «ستري» المقرودة قد خدوت (نوح) أخيراً ، وهي تدرك الدمع صريراً ، فاستغاثت «إي» ههه بفتاة في الرابعة عشرة ، يسميها «سبيحة» القسمات ، حظرت عليها بس «الطايه» العظيمة ، وعلمها كيف يحاط بها في الحرام ، ودرستها على أن تحمل كروب الماء في صق ، وأن تطرق الماء قبل الدحور ، وأن تكوي الثياب وتكسرها بالشاة ، وأن تساعد على ارتداء ثيابها . . كل ذلك لأنها أرادت أن تجعل منها وصيفة لها

واعتادت الخدام الجديدة أن يطبخ في غير نمر حتى لا تطرد . وإذا كانت السيدة قد ألح أن تترك مفتاح في خزانة المطبخ ، فإن «سبيحة» الخدام - كانت في كل مساء تأخذ قطعة صغيرة من السكر لأكلها ، حين تحبلى بمسك في فراشه ، بعد أن يزدي الصلاة . . أما في المتواتر التي كانت السيدة ترمم فيها مذهبها في المطبخ العموي . . بعد ظهر كل يوم - فكانت الفتاة تسمى أحياناً إلى نسيان الموجودين في المساء موجه لعمرو بجاذبهم أطراف الحديث

وإتاحت «إي» أوراقاً لكتبة ، وأوراق شاف ، وريشة ، ومطاريق وورقاً للرصاص ، وإن لم يكن ثمة من تكتبه إليه . . وكانت تعض الخيال عن الزم ، وتطلع في مرة ، ثم تشاول كتباً فلا تلبث أن تراودها الأحلام بين سموره مشتمل عنه ويسعد بن ركبتها ، وأخذت تنشق إلى القيام برحلات ، أو إلى العودة للدير كي تعيش فيه . . كانت تسمى للتأففات في أد واحد أن تحب وأن تعيش في باريس !

أما «شارل» فكان ينفق على جواده حلال الطرق الفرمية - انصية إلى المزارع والقرى تحب للطر والخليل ، يأكل «العجة» على موائد الربيع ، ويوسد يديه في الأسر البرلية التي يرقف فيها «برفي» ، ويظف على وجهه وشاش القدم الدافئ ، يسبق من المعاهد ، ويسمع «ختر حان» ، ويحفص البطون ، ويرفع النيام القاسم عن أجساد المظولين ! لكنه كان يحد في كل مساء ذراً

معطاه بمشارش من الخجل المروكشي بالقصب . . وفي هذا العالم أثوب ذات «بول جبرار» ، وأسرار حطيرة ، ومأس تحشمي ورء لاتسمات . . وفي ذلك ، عالم الدوقات - حيث تكسي الوجود شحوباً ، ويمتقظ الرجال في الساعة الرابعة . . ويرتدي الماء أثراً وثت ديولها بالتموش المنطرة . . أما ما هذا من هولاء ، فقد كان في نظر «إي» مغيباً ، قائماً ، لا مكان له ولا وجود !

وكانت «إي» من أولئك اللاتي يرهلن في أقرب لأشباه اليهن فكما قربت الأشياء منها ، ازدادت بعدها هي دوراً . . فكل ما يحيط بها مباشرة من زعم عمل ، وبورجوازية صتيلة حمقاء ، وحياة ررية . . كل هذه كانت تلوح لها أشياء شاذة ، ومصادفات خاصة «تورطت» فيها . . بينما كان يمتد خلفها جميعاً . . وإلى ما لا نهاية - عالم اللذات والافتدات !

واختلط في أحاسيسها من ثم لبت السح مائدة بمسرات القديس ، ورقى العادات بركة للشاعر أفلا يحتاج الحب - كما تحتاج بيات بالهند إلى تربة خصبة ودرجة حرارة معينة ؟ والرفرات في ضوء القمر ، والعاى العوي ، وألموع التي تهمر على الأيدي مستعمة ، وحى الحسد ، ورقة الحنان . . كل هذه أمور لا انفصال لها عن شرف القصور الكبيرة المليئة بأرفات الصراع ، ولا عن القواعد ذات الشائر الحورية ، والطامس الضميمة ، وأصغر الزهور ، والأسره المقامة على منصات مرتفعة عن امسطح لأرض ، وبريق الأحجار الكريمة .

\*

كان السائس يقدر كل صباح لبعى الفروس ، فيعبر للاح في حذائه الخشبيين الكبيرين وسترته التي تجعلها النمر ، وسرواله القصير الذي لم تكن ثمة حينه سوى الاكتفاء به . . فإذا انتهى من عمله ، انصرف إلى حيث لا رجعه له بقية النهار ، إذ إن «شارل» كان يتولى بعضه . . عند عودته - إيوام الفرس في الحظيرة ، ورفع سرجها عنها ، ينم تحمل إلى الخدام حزمه من



مسفرة ، ومائدة محددة ، وثلاثاً مريضاً ، وروحة في أبداع ربة ، تنضوع بأريج  
عطر كان يحار في النكهة بمكانه أهر قبحها ، أم يشترها ؟

وكانت بعته بمتكراتها ، التي كانت تتمثل حيناً في مظاهرات جديدة من  
الورق نصمها لتصمها فوق الشمعدانات ، وتمثل حيناً آخر في لنية تغير  
موصفها في ثوب ، أو في اسم مشترك لكون سيدة من العمام أعمقت الخادم  
في صمتها ، فلا يصعد إخطافها إشارته عن التهام العصف حتى يأتي عيبه  
كده !

ورأت «بهاء» في (روان) سيدات يحطن مساعتهن معمود من الحبي انرافعة ،  
فابتاعت حيناً زائفة ! ، ورأت أن مربي رف مدافنها يأتيه رهو كيريين من  
الرجدح لأزرق ، لم تدبث أن ضمت إليهم صدوقاً من العجج لأدوات  
الحياكة ، و«كشسانا» من العقيق ! . وكان «شارل» كتب ارتداد عجزاً عن فهم  
كنه أسباب تلك الألفاظ كلف لزداد «بهاء» لسحرها ، إذ كانت تصمي على  
حواصيه لده ، وعلى خار رواه . وكانها عمار ذهبي يتشر على طول طريق  
حياته الضيق !

وعدت صحته طيبة ، ووجهه مشرقاً ، وشهرته مستقرة مبعقة ! كان  
الرعيوب يحسونه لأنه لم يكن متعطراً ، بل كان يداعب أفعالهم ! . ولم  
يكن يحشى الحساد . وكان في خلعة - فوق ذلك - ما يوحي بالشفقة  
والعذائية . . وقد نجح - بوجه خاص - في علاج برلات البرد والأمراض  
الصدرية ! . والواقع أن «شارل» كان يحشى دائماً أن يقل مرضاه ، وبذلك  
لم يكن يوصي لهم إلا بالعقاقير الهندية للألم ! . وكان يوصي - بين حين  
 وآخر - شراب متقى ، وبحمام القدم ، وباستخدام المعنى (النفود) الذي يمنح  
الدم الفاسد ، وكان يرف في قصدهم بالعلق في سحبه ، وكانهم جيد  
أما في اقتلاع الأضرار ، فقد كانت له قصة حبيدية !

\*

ورأى كي يظن على دراية بما يستحدث في الطب ، أن يشترك في محبة

«الحنية الطيبة» بعد أن تسلّم علاناً عنها . وكان يراها فيها بعض الوقت عيب  
الغشاء ، ولكن دواء العرف ، ولاسترخاء الذي يذب في الجسم في أثناء  
عصبة الهضم ، كما يسلمانه إلى النوم بعد خمس دقائق فيظل مسترخياً ،  
ودقه مصممة على يديه . وشعره متهدل - كالعرف - حتى أسفل المصباح ،  
و«بهاء» ترقبه ، ثم لهر كتفها ! . ناداً لم تحظ بروج ولو من أولئك الذين  
يقصودون الذين بين الكتب ، ويحبسون في النهاية - إذا ما دعوا السنين ، من  
«الروماتيزم» - وساماً على شكل الصبغة ، فوق جرائهم السوداء ؟ . لكن  
كانت تشتهي أن يعبو اسم «بوفاري» ذائعاً ، وأن يراه معروضاً عند مداعة  
الكتب . ترد «الصحافة» ، ويعرفه فرمت بأسرها !

بيد أن «شارل» لم يكن يعرف الطموح أبداً  
ولقد حدث أن أهانه يوماً طبيب من (إيف بو) . «اجتمع معه للتشاور - أمام  
مراض مريض ، وعلى مسامح من أناربه المحطين بهما ، صمّ روى أحداث لذي  
في مساء ، نادت في حق على ذلك الرسيل إلى درجة جعل «شارل» يتأثر  
بالعمل ، ويقلّب في حبيبها وهو دافع العيبين . ولكنها كانت تعني لفرط  
حساسه بخبري ما ماله ، حتى قد ودت لو تقتصره ! . ونكهة لم تملك إلا  
أن تير إلى الردهة لتدفع الدافدة لتعب الهواء العليل حتى تهدأ سورتها .  
وأعجب بعض شعثها ويردد في صوت خمبش . «يا له من رجل مسكين ! . .  
يا له من رجل مسكين !»

والواقع أن ثورتها كانت ضد زوجها بالذات . فقد أخذت حركاته  
ونصراته تعبط تشقنم السن . كان يهجو - عند نواب الخلو - بتفطيع  
مدادات الرحاجات المارعة . وكان يلحق أسنانه بلسانه بعد الأكل . كتب  
كان يرشع الحساء بصوب منكر . وما كانت البداية قد أصابته ، فإن وجهه  
متفتحين دعت بعسه الصفريين إلى أعنى نحو الصدعين !

وكان مع هذا كله لاني تشطر في أعماق نفسها حدثاً ! . كانت  
كل للاح ناته ، بسرح يهره القاط في وحشه حيانها ، بعناً على شراع أبيض

في حساب لألفي البعد ! ومكان مدي كنه ذلك الحدث ، ولا أي ربح  
 سنسوقه إليها ، ولا إلى أي شاطئ سيدعها - وهل هو روري ، أو معية ذات  
 ثلاثة طوابير - وهل يكون معصماً بالأسى ، أو طامحاً بالهبة ! . ولكنها  
 كانت إذا استيقظت في كل صباح تحت أو بواقب في يومها

وجاء الربيع مرة أخرى ، فعمشتها انصاعات من موجات آخر الأوبى التي  
 تهب حين نزهة أشجار الكمثرى - حتى إذا بدا شهر محو / يوليو ، أخذت  
 تعد لأسابيع على أصابعها في ارتقاف شهر تشرين الأول / أكتوبر ، على أمل  
 أن يقيم «مركزير دو أنديلييه» حلاً رائعاً آخر في (فويسار) . . بيد أن شهر  
 أيلول / سبتمبر انصرف دون خطابات أو دعوات !



وشعرت مرة ثانية - بعد ستة أعوام التي خلقتها حبه الرجاء - بهراع في  
 فؤادها - وبدأت من جديد سلسلة الأيام الزينة الرهبة ، التي لا تتميز ، ولا  
 تأتي بجديد ! بعد كان يصادف حياة سواها - مهم تكن هذه الحياة حاوية  
 ثمة - حدث من الأحداث يتيج لها درعه المبروح عن المألوف - ولقد تؤدي  
 معاصرة وحده - أحياناً - إلى سلسلة لا تنتهي من الأحداث التي تغير نمط  
 الحياة - أم هي - فلم يكن يصادفها شيء - كما لو كانت تلك هي إرادة  
 الله ! كان المنفيل يمتد أمامها كردات مظلم ينتهي باب محكم الإغلاق !  
 وكان أن أهدمت الموسيقى - فلماذا معرف ، ومن ذا الذي يسمعه ؟

ثم يكن ثمة م يدعو إلى بذل الجهد في المراء ، م دات من تستشعر حسن  
 الشوء يتصاعد حولها كالسيم وهي تس بأنفسها الرقيقة مصابيح «اليامو»  
 العاجية في حوض عام ، وقد ارتدت نوباً من شغل قصير الكثير ! كذلك  
 أبقت لوحات الرسم وقطع التعليل في الصوت - فما جدوها ؟ وأي نفع  
 منها ؟ أما الحفاكة ، فقد أصبحت تثير أعصابها ! . حتى القراءة ! انصرفت  
 عنها عاتلة لنفسها . ولقد قرأت كل شيء . . كل شيء ! .



وأفيل الشبه قاسياً ، وأخذ الجعيد يكسو رجاء الوافد في كل صباح ،  
 فيبدو - حين يختبره الضوء - كالرجح المصنوع - وفي ذلك الجو المتجمد ،  
 كان لابد من إضاءة الصباح منذ الساعة الرابعة بعد الظهر

وكانت «إيما» تهبط إلى الحديقة في الأيام الرائقة ، وإذا البدى قد حثف فوق  
 الكرب وشياً من العضة ، تحلفه خيوط غزيلة شمافة تمتد من كربة إلى  
 أخرى - ولم تكن رقرة العصافير ترمد ، بل كان كل شيء يبدو محطاً إلى  
 النوم ، وحده ثقال القس ذي القلسوة كان باضياً في مرارة كتاب الصوت ،  
 وقد نعت قدمه اليمنى ، يمد عبث الصغيع بظلاله فحلب على وجهه فروحاً  
 يضاء !

ولا نمت «إيما» أن تصعد إلى مدهجها فتعلو الباب ، وتسط الوعود ، حتى  
 ترسل المداة حوارة تعدها ، وتبعث في مصب ملأ نخاله ثقلاً قادحاً يحتم  
 على صبرها ، فتود لو هبطت بتأتس باحدث مع الحادام ، لولا أن يحجب  
 الحجاب !

وكان صبرها يبدو أقرب م يكون إلى العناد والانهيار في أوقات الوحبات ،  
 في تلك المعزة الصغيرة بانطاق الأرضي ، حيث الوعد الذي لا يملك من  
 إرسال الدخان ، والباب الذي يبعث صريراً ، وأبجدران ملأ ، والأرضية  
 الرطبة - كان يحيل لها إذ ذاك أن مرارة الحياة بأسرها تعالط طعامها !

وقع بحار احساء ، كانت تتصاعد من أعصاق روحها نغبات من الإحياء  
 والضيء ! - راسماً كان «شارب» طلياً في الأكل ، فقد كانت تنفق الوقت في  
 قرض سدة ، أو تعتمد بر فحبها على المائدة وتتسوى برسم خطوط بس  
 مكسها على غطائها !

وراحت تهمل كل شيء في دارها - فمما أنيب مقام «فولدي» لأم إلى  
 (توس) لتعطي بضمه أيام في أثناء الصوم ، راعها هذا التعبير ، لأن «إيما» التي  
 كانت فيما مضى شديدة العناية بصحتها ، حريصة على أناقتها ، أصبحت تكتك  
 أياماً بطونها دون أن ترتدي ملابس ربتها ، وهي تروح وتعود في جوربين

وماديين من القطي - كما أصبحت تقتصر على استخدام الشموع في إضاءة البيت ، مردده أن لا بد من الاقتصاد لأنهم ليسوا من أهل الثراء ! وكانت تصنيف إلى هذا أنها سعيدة كل السعادة ، راضية كل الرضى ، وأن (توست) يروو لها - وأمثال هذه العبارات الخفيفة التي كانت تعلق فم حمايتها من اللوم !

على أن (إي) أصبحت - إلى جانب ذلك - يدي عدم استعداد لتقبل إرشادات حمايتها ! وقد حدث مرة أن بدا للمدم فولاري (الأم أن تشير إلى أن من واجب المدعوين أن يصور بمراقبة احترام الخدم بشعائر الدين ، فأجابتها «إنما بظرة تنقد غضباً ، واستماعة بعض يروو» ما حدا بالسيدة إلى أن تكعب بعد ذلك هي كل ، احتكاك بها وأصبحت (إي) حادة المزاج ، كثيرة الرواب ، حرية الأطوار - فهي تطلب ألواناً معينة من الطعام ثم لا تقربها . وقد صر يوماً على أن لا تناووس سوى الدين العصامي ، ثم تعمل في اليوم التالي على شرب عشرات من ألتناج الشاي ! وكانت تقرر أحياناً عدم الخروج فتضيق أنفسها وتفتح التوافد ثم ترتدي ثوباً جميلاً ! وكانت تعنف مع الخادم ، ثم لا تلت أن تسرحها بالهدايا ، أو يرسلها لمرافقة ندى الجيران ! كذلك كانت أحياناً تقدم للمقرء بجميع ما في كيسها من مودة نصية ، رغم أنها لم تكن يوماً رفيقة القلب ولا سهلة التأثر بانفعالات المعربين !

\*

وفي نهاية شهر شباط / فبراير تقريباً ، حمل الأب يروو - نفسه - إلى صهره ديكاً رومياً صغيراً ، رمزاً لذكري شغلته ، وأقام في (توست) ثلاثة أيام ، وليست كان «شار» في تلك الأثناء مشغولاً بمصره ، فقد بات على «إي» وحدها عبء مصاحبة ، فأضيق منه أنه كان يدخل في العرفة ، ويصق في الهدنة ، ويتحدث عن البراعة والمحمود والأفقار والدجاج والجنس اللذي حتى لقد عجزت من نفسها إذ أحست بشعور من الارتياح يداخنها حين أقبلت الباب حوله عقب رحيه ! والواقع أنها لم تعد تسرع من أن يدي

احتقار لشيء ، أو يرددها لأحد . وكانت يصور عنها أحياناً آراء غريبة ، فتتقد ما يرضاه الناس ، وتعيد أموراً لا يستقيم مع الأخلاق ، لأمر الذي كان يرك روحها مذهولاً !

وكانت لا تتأتمان نفسها أيلزمها هذا اليأس أم السر ؟ أوليس هذا من محرج ؟ ! إنها لا تمن عن أوبتك اللاتي يمشن في سعادة بين لقد رأسه في (فويسر) دوقات أسوأ منها قوماً ، وأثل رقة وتهدياً ! وأخذت تسحط على ظلم الأقدار - وتشد رأسها إلى الجدار بشكي ! كانت عند أولئك الذي يجعلون بحياة صاحبه ، ويقضون التالي في حلات بركية ، ويعمون ثلاث الدفات العجبة التي يثير سماعها في بعضها مشاعر لا تدرك كلها !

رمال يروو إلى الشحوب ، واضطربت دقات قلبه ، فأعطاه «شار» دواء يهدئ أعصابها ، ووصف لها حمامات الكافور - ولكن محاولاته لم تردها (ألا حاشاً ! - وكانت في بعض الأيام تترنن في بعض محبوم ، ثم لا يلبث أن يعقب هذا الاطلاق ركود محرج - لا تنطق خلاله بلفظ ، ولا تأتي بحركة - ولم يكن يعيش في تلك اللحظة سوى رجاحة من ماء «الكوبون» تسكبها على ذراعها !

وإذ أخذت تشكو من جرد (توست) بلا انقطاع ، فقد حشد «شار» أن مرضها ناشى عن سبب مبعلي ، وروح هي معه هذا الرأي ، حتى أنه أخذ يهكر جدياً في أن يبحث عن بلد آخر يقيم فيه

ومن ثم عمدت إلى شرب الخمر لشدائد محادة ، فأصبحت بحال بسيط جاف ، وفقدت شهيتها إلى الطعام تماماً ! - وكان يعز على «شار» أن يرسل عن (توست) يعد أن أقام بها أربع سوات توفد خلالها مركرة - ولكنه مع ذلك لم يلبث أن خصص لأحكام الضرورة ، عندما صبحها إلى أمثاله القديم في (روان) ، فسبيل له - بعد أن فحصه - أنها تعاني من مرض عصبي ، لا بد لمعالجه من أن يبدل البحر الذي تعيش فيه !

## القسم الثاني

- ١ -

سم يكن في مطعة «سو شاتل» حتى سنة ١٨٣٥ - طريق مهد يفضي إلى (أيونيل) بيد أن طريقاً ريفياً فرعاً أنشئ في ذلك العام ، فوصل بين طريقي (أفييل) و(أميان) ، وأصبحت تجري عليه أحياناً عربات النقل الداهية من (روان) إلى (انفاندر) - .

حتى أن (أيونيل - الدير) ظلت على حاله ، بالرغم من الإصلاحات الحديثة ، فبدلاً من أن يشط أهلها تحيى الرباعه بها ، ظلوا متشبثين بأمرهم على إحسان دخلها وبجنتها ، وتحدثت القرية الكسول بعض الطلعة عن السهل ، وشح في اتساعها مجرى النهر ، حتى أن الرائي يسمحها من بعد راقدة على طول النهر ، كقطع من القير يقل على حافة الماء !

وهذه نهاية جسر مقدم على النهر - في أسفل الهضبة - بمد طريق ناعم بجانبه أشجار الحور الصغيرة ، بعضه لك مباشرة إلى طلعه مدرج القرية وهي بيوت تحيط بها أسوار ، وقد أقيمت وسط ساحات نازلت بها المعاصر ومحارح العربات ومعامل القبطير ، تحت الأشجار المتشابكة التي تستند إليها سلالهم متقله ، أو تعزّز بأعصانها (الحطاطيف) ولما جل

وكانت الأسقف المصنوعة من العشب تشبه طيات الجوارح المرفقة على عيون لا يسيبها ، إذ كانت تكاد تحمي ثلث الوافد المجمعضة ، التي كان رجاءهم السمك المردود ينجمع عند وسطه في عقده كقلاع الرجاءه ، وعلى حدران الشبده من الحصن ، والتي تمتد بين روابها المتقاطعة أصمغة خشبية سوداء ، كتب ترى أحياناً شجرة من شجيرات الكثرى الهريسة ، وعند الباب الخارجي بكل دار كان ثمة حائريه باب صخري لمعد الدجاج الذي يتألف إلى حبة انتت لانتقاط صاب الحشر المصنوع في بلد النعاج - وكلما تقدمت في السبيل نحو القرية كلما صغرعت أكمة الدور ، وتقدمت للسبي واحسنت الخواجر بينها ، وقد ترى هنا حرمه من بياب «السوحس» تهرق في نهاية عصا

وراح «شار» تحريها هناك ، حتى عم أن في مقاطعة (بيوشاتل) قرية كبيرة تسمى (أيونيل - الدير) حادها عبيها - وكان من البولنديين اللاجئين - مد أسبوع ، مكتب إلى صيني القرية يسأله عن عدد سكانها ، وعن المساحة التي تعصمها عن أقرب قرية بها حبيب ، وعن الدخل الذي كان يصبه سلفه في العام إلى ما هنالك مما يهته - ووجد في الرد - حين جاءه ما أرحاه ، فقرر أن يتنقل إلى تلك القرية في الربيع الذي - إذا طلب صحة الخيال ذوق أي تحس !

وفيما كانت «ريما» تستعد للسفر ، أصيب أحد أصابعها بوحدة من صيد ماقه وواجها ، وهي برسم أحد لأذراج ذات يوم كانت براهم البرتقال - في الباقه - قد أصغرت لمرط براكم العبار عبيها ، وأحدث لأشعره أخريه ذات الخواص العنقية نزل - ولم تحجم «ريما» من إلقاء البلقه في نار مبدأة ، فودا بها تشعل بأسرع ما يشعل القش الجفاف - وما شئت انيرون أن السهمته ، فراحت تنقلص بيده وقد تعجرت حبسات الورق المفوى ، والتوب لأسلالك ، والصهرت لأشعره المعدنية ، وتيمست أوزاق الزهر الصاصي - ثم أحللت أشلاؤها تراقص فوق الذهب كاهراش لأسود - وما لبثت أن تهايرت خلال المدفلة !

وعندما عادوا الزوجان (توس) في شهر آذار مارس ، كانت مدام «بولاري» حاملاً !



مكتبة تحت إحدى الرفوف وهناك حانوت بيطار، أو محل نجار سدت الطريق أمامه هربان أو ثلاث هربان حديدية وغير مسافة من الفضاء يلوح بيت أيضا تحت أعمامه رقعة معشوشة بزينها تمال «كوييد» وإحدى أصابعه على شعبه وإلى جانيه قبة الدرجات الأمامية أنبأ من المحاس وعين الساب نلمع لافسان تمال عن أن هذا بيت موش العود أجمل بيوت البلدة

وعلى الجانب الآخر من الشارع وعلى بعد عشرين خطوة، بموم الكنيسة عند مدخل الميدان، تحيط بها مقبرة صغيرة، يحصنها سياج في ارتفاع صدر الإنسان، وقد اكتظ بالقبور حتى أصبحت الأحجار القديمة في مستوى الأرض، تؤلف فيه بين رصيفاً طويلاً، أحدثت أحشاش حلاله تقسمه إلى مريمات وكان من الكنيسة مد جد في عهد شارل العاشر، فأخذ سقفا الخشب يبنى على قبة وفي مكان المخصص للأرض - فوق الباب - أقيمت شرفة للرجال، يؤدي إليها سلم حجري يهتر تحت وقع الأقدام في مجالها الخشبية

وكان الضوء الذي يمتد خلال الزجاج غير ملون يسقط في انكسار على المنحدر المصنوعة بطون الحدران التي ريت - هنا وهناك - بمصائر من لفتش كتب عليها بحروف ضخمة «معد السيد فلان» وعلى مسافة قليلة، يغيب دهمير الكنيسة، لم يقوم كرمي الاعراف إلى أحد الجانيين، وإلى الجانب الآخر تمال بعداء في ثوب من خوير، وعلى رأسها نقاب من التول مرصع بجوهر نقيه، وقد طيب وجهها باللون الأحمر كما لو كانت وثناً عن أوتان حمر «ميدونيش» ١١ وأخيراً، نطل على مذبح المرتفع صورة «الأسرة المقدسة» مهداة في وزير الداخلية، بين أربعة شمعدانات أب مقاعد المربين المصنوعة من خشب الصنوبر، فقد ظلت ياغت دون طلاء

وكانت السوق - أو بالأحرى السقف المصروع من الأجر والمقام على

عشرين عموداً تقريباً - شمل حوالى نصف الميدان العام في «أونفيل» أما دار البنية - التي شيدت وفقاً لرسم أحد مهندسين باريس - فكانت تشبه ممعداً إغريقياً وترسم مع حانوت الصيدي شكل راوية وكانت في الطابق للأرضي ثلاثة أعمدة يونانية وفي الطابق الأول بهو نصف دائري تعلوه قبة يشعلها شمائل «ديك المال»، وقد اعتمد على قافلة استقرت حتى وثيقة الفستور، بينما أسك يقالته الأخرى ميزان الصلابة

على أن أكثر ما كان يشرعي الانتباه هو صليبة السيد «هرية» التي تقع في مواجهة فندق «الأسد الذهبي» - ولا سيما في المساء حين يضاء المصباح ويرسل أنبعت خلال القوارير الكبيرة الحمراء والمخضوءة، ثم يهت عبر الشارع جداول من الضوء «فلور» وخلال هذا الضوء كان طيف الصيغني وهو يتكوى إلى مكته يبدو كما لو كان غارقاً في أضواء القوارير وكانت داره مكتوبة بعلاقات كتبت بخط اليد أو بالحروف الكبيرة بحروف الطباعة

ولم يكن ثمة ما يشاهد في «أونفيل» عند ذلك، فإن الشارع الوحيد - الذي لم يكن طوله يتجاوز سرمى المصروف الساري والذي تقوم الحوانات على جانبيه - كان لا يلبث أن ينهي عند سطح الطريق الزراعي - فلا تركه لمرء وانحرف إلى البحر في صحافة معدر هضبة (سان جان)، وهن إلى المصاير وكان أقصوم، هنما نهشت «الكوليرا» قد هدموا جانباً من جداره، وخسروا إليها بضعة أمدنة لتوسيعها، بيد أن القطعة الحديدية بقيت شبه خالية، وظلت القبور تتكس على مقربة من الباب، كما كانت الحال من قبل

وسم يتغير شيء في «أونفيل» عند ذلك الوقت عما رال العلم دو لاگران الثلاثة والمصروع من الصفيح، يدور فوق الكنيسة وما زالت تعرف على متجر الأحفشة رايتان من البعثة والأجئة التي يحتفظ بها الكيميائي محطة محرم الصوفان الأبيض أمدنة في التحنن يوماً بعد يوم في كحولها المعكر وما رال تمال الأسد الذهبي داخل الدوق يقعي على الباب الأمامي للهدق،

\*

وفي مساء اليوم الذي كان مقبلاً أن يصل فيه «بوفاري» وروجه إلى «أبوليل» ، كانت الأرملة «لو فرانسوا» - صاحبة الفندق - كثيرة المشاغل إلى حد أن العرق أخذ يضح منها في قطرات كبيرة وهي تزوح وتعدو بأنينة انطخ ! كان اليوم التالي هو يوم السرقة ، ولا يد من أن تقطع اللحم مقدماً ، وتطبخ الدجاج ، وتعد الحساء والعجوة كما كان عليها - فوق ذلك - أن تجهز لفرلاء عداهم ، وأن يعد ناهيب وروجه وخادمتهما العشاء وكانت ترد في قنعه «البيلاردو» صحبكات صاخبة ، وهي عرفة الجلوس ، كان ثمة ثلاثة من الضعافين يصيحون في طلب الخمر ! وكانت النار تتأجج في عشب المرقد ، والآنية الحامية تتر هومها بعد أن بدأت محسوساتها في العليان وعلى مائدة المطبخ الضيقة ، وبين قطع اللحم الكبيرة البنية ، تكسرت أكوام من الأطباق كانت تهتر بهرار النوحة التي كانت أراق «السانخ» تقصع فوقها . ومن غناء المني كانت سمعت صيحات الدجاج الذي كانت الحاقم تطارده لتسكت به وتندق أحاقه !

ووهو بجوار المدفأ - يدهم ظهره - رجل على وجهه يقاب طعيفة من آثار «بوفاري» ، وقد ارتدى حبلين أحمرين ولبسوه من الخمل ذات «شرارات» ذهبية . ولم يكن وجهه يسم عن شيء ألهم ، لا الرضى عن نفسه ، وقد بدا أنه مطمئن إلى الحياة طمأنينة طائر الشرشر الصداح حين يدمر رأسه بين قضبان قصه . كان ذلك الرجل هو «البييلي» !

وعلى حين عرة ، صاحت السيدة صاحبة الفندق «أزفير» شقفي بعض الخشب ، ولما لقي الدورق ، وأحضر في بعض الخمر ، وأعطى حواسك آه ، لشدة ما أنا حائرة في اختار حلوى أقدمها بعد العشاء للضيوف الذين يرتقبهم يا مسيو هوميه ! يا للسيدة الرحيمة ! . ه هم الحمالون يستأنسون ضوئهم في عرفة «البيلاردو» بعد أن تركوا عرينهم أمام الباب ! إن

«المصمورة» - (اسم عرة) - قد تصطدم بها إذ ما جاءت ، فادعوا بوليت لتقودها إلى «الحظيرة» - تصور يا مسيو هوميه أنهم لمبوا نحو خمسة عشر دوراً منذ الصباح ، وشربوا ثمانين زجاجات من نبيذ الصباح ! - إنهم يوشكون أن يرقوا كسب مضلة «البيلاردو» !

وأحدث تأملهم عن كسب ، بينف اجاب العبد هوميه «لن يكون الضور كبيراً ، فإنني متفاد حتى إلى شراء خيرة» !

ههنت الأرملة مائترة «مضلة أخرى ببيلاردو» !

- أجل ، إذ إن هذه أوشكت أن تتعاطي يا صدام «لو فرانسوا» - إني أكرر ما سمعت من من ، فإنني تودين مصك أبعج إيداء ! ثم إن اللاعين يهبطون لأن جيوباً صبيغة وعصياً تقينة ببيلاردو ، لأن الهواة لم يعودوا يقبلون على البيلاردو الفرنسي الآن . لقد تعمور كل شيء ! يجب أن يجاري دمر الرمن ! ألا فانظري إلى «تليه» !» .

تقطعت عليه صاحبة الدرة حديثه فائقة ، وهي تهر كنمها السبعين ! «إن الصعاليث أمثاله لا يرفعون عني رسلك يا مسيو هوميه ! لو يقد الناس على فندق «الأمم الذهبية» طانا حل عني قيد الوجود ! ليس لييد ما يدعو إلى الصلق ، في حين أنك لن تبث أن ترى فندق «القهى الفرنسي» يوماً معلقاً ، وقد سموت أبوه» ! . «و«مناقت و كأنها تحدث نفسها » «أغير «بيلاردو» ! - «المائدة التي أتمد عليها في طير العليل ، والتي هيأت فوقها فراشاً لثة لفرلاء في موسم الصيف . ولكن ذلك المسكح «هيمير» لم يصل بعد .»

- هل ترجين العشاء لتراكك حتى وصوله ؟

- وهل أمك هه ؟ ماذا يفعل السيد بهه ؟ ما إن تبدأ الساعة في إعلان الندبة حتى يراه مقبلاً ، فليس له شئ تحت الشمس في دقة الوعيد ! . ولا يد من أن يكون مقعده مدياً في قاعة الجلوس الصغيرة ، إنه يؤثر اللوب على أن يشرب العشاء في أي مكان آخر . وهو حين يص على

الدقة ، شديد العناية باختيار شرابه فهو يربى مثل السيد «ليون» الذي يعد أحداً في السابعة ، من وحي السابعة والصف ، ولا يكاد يأبه لما يقدم إليه من طعام . . . ما أطرفه ! . فإنه لم ي تلفظ مصفاً بكلمة ثانية !  
 . لا أشك في أنك تدري أن نساء فارماً ناسعاً بين الرجل المثقف وبين جندي متقاعد أصبح اليوم محصلاً !



وقد أتت السابعة بجدية السادسة ، فدخل «ييه» . كان يرتدي سروة طويلة يرتد تنوي على جسده الناحلي في استقامة ، وقلمسوة جلدية ثبت إلى رقبته برباط ، وقد بنا تحت حافته المروعة جيبي عريض ، خدمت كثرة ارتداء الخوذات أثره عليه ! وكان يرتدي كفت صدراً أسود ويأخذ من العرو وسروداً ومادياً . ثم حدامين يألني النظافة ، يشغل بهما طواب المعام ، وقد يرب في جانبيهما توهان شياش بموقعي لصحي قدميه الكبيرتين ! . ولم تكن ثمة شعرة واحدة في سوائله تشد من النظام ! . وقد كانت هذه السوالف تسليل إلى فكاهة على ثعلب اللعب الذي يحيط بالحديقة ، محتفظة وجهه الخدماء البطول ، دي العيين الصغيرتين ولأشع المعروف . وكان بارعاً في جميع الألعاب ، ماهرأ في الصيد ، ذا خط جميل ، كما كان يملك محرطة يصنع عندها حلفاء متحجب المذهب التي كان يحتفظ بها في خيرة العنان وأندية الثري ، الحديث الثراء ، حتى صلاها بيتا !

وأخيه نحو قاضية الخموس الصغيرة ، ولكن كان لا يد من حراج الطعنات الثلاثة من أولاً ! . وحل «ييه» صامناً في مقعدته المقرب من اندقاء صبة الوقت الذي استغرقه إعداد «مائدة» حتى إذا تم له ذلك ، أعان الباب وخضع قلمسوته جراً على عاتقه !

وما إن خلا الصبيدي إلى صاحبة الرول ثانية ، حتى ابتدأها قائلاً : «ما كان إلغاء النجبة ليقتصر شيئاً من لائقه» .

فأجابته : «إنه لا يتكلم قط أكثر مما تدعو إليه الحاجة . فقد كان لدينا في

الأسبوع الماضي بريلا من نجر ، لأقمشة . وكانا مرحين ، خلا يرويان ك مي ابتداء من الفكاهات ما جيمي ليكني من كثرة الضحكت . سيما كان هو قابلاً كالسمكة ، فلم ينس قط بكلمة !» .

قال الصبيدي «أجل لا خيال ، ولا فكاهة ، ولا شيء مما يكون راحل الجميع»

فقلت محتجة : «ومع ذلك ، فإنهم يقولون إن به أصدقاء ومجالس !»

«مجالس ! . . مجالس ! . من المحتمل أن تكون على شاكلته !»

وما كنت أن استعبد قائلاً «لني أدرك أن النجود الصلات الواسعة ، والاصصل ، والطبيب ، والصبيدي ، يجدون من أعمالهم ما يشغلهم ويهيمهم ، حتى يبدو الواحد منهم غريب الأطوار ، أو جافاً . إن التانيخ حافل بقصص هؤلاء . ولكن لهم أن عذرهم في هذا راجع إلى أن لديهم ما يشغل تفكيرهم . فإن مثلاً كثير م أتيت عن قصي على المكتب لأدون تذكره ، فلا ألبث أن أتيت في النهاية لثني وضعته خلف أدتي ! . .» .

وفي تلك اللحظة ، صارت مدام «الفرانسوا» إلى الباب لتري إذ كانت العربية «مرفقيه» - «المصمومة» مقبلة . ولكنها أحضلت إذ ربح لمطبخ وجاءه وجل في ثياب سوداء . . وكان في وسع المرء أن يتبين على ضوء آخر حيوط الفسق ، إن له وجهاً عتوراً ، وجسماً رياضياً

وسألت ربه الرول وهي تسود من قوى الممعة أحد التسمعاتات الحاسبه التي كانت مصعوفة وقد ثبت فيها التشموع «آيه خدمة أمك أن أؤديها لك يا سيدي «لقس» هل لك في تناول شراب ما؟» جرعه من بيد «كاسي» الأسود . . أو راحة من اليد الأحمر؟ !

وهو رجل الدين رأسه في آدب بالغ ، وقال إنه حاء من أجل مظهره التي سبها من أيام في دير «إيرمو» . وبعد أن سأل مدام «الفرانسوا» أن تعمل على إرساله إليه في دار «الحوري» في المساء ، انصرف إلى الكبة التي كان حاقوسها يثق مؤدناً بصلاته المساء

وما إن اطمان الصيدلي إلى أنه لم يعد يسمع وقع عصي القس في الميدان ، حتى أبدى رأييه في ملكته فوصفه بأنه باب - فقد بدا رفضه - في رأي الصيدلي أن بعض هؤلاء الزبائن ، إذ إن كل القساوسة يحتسبون الخمر في الخفاء ، ويحاولون أن يستعيدوا الأيام التي كانت الكلبة تنفص في بها الصرايب من رعيها !

وابتدت صاحبه الرد تدافع عن القس قائلة : « به رغم قولك يستطيع أن يطوي أربعة من أمثالك على ركبيه ! » فقد ساعد رجاله على تحرير العشب الجاف في العدم الماضي ، فبلغ من قوته أنه كان يحمل شاة من الحرم في آذ واحد ! فهلك الصيدلي « مرحى ! أرسلوا بأنكم بدأ بعصرق أمام رجال من هذا الصنف ! لو أنسي كب في مركز الحكم لأمرت بأن يهدم دم القساوسة مرة في كل شهر أجل يا مدام للفرانسوا » في كل شهر .. وفضداً جيداً ، في سبيل مصلحة الشرطة والأخلاق !

« كفة عن هذا يا مسيو هوميه ، فأنت كافر ، لا دين لك !

فأجاب الصيدلي « بل لي دين ديني الخاص وإن لدي من التقوى ما يعوق عا لذي هؤلاء الآخرين جميعاً ، وهم يعاقهم ودينهم إنني على العكس أعبد الله ، أؤمن بالكنائس الأعلى ، أؤمن بوجود خالق ، كعصا يكن كفه - ومهم يكن هذا الخالق الذي أوجدنا هنا نودى وحيات كمواطنين وأرباب أسر - ولكني في غير حاجة إلى أن أذهب إلى الكنيسة لأنني ألتحقاً فعية ، ولأنني من مالي رجالاً لا يصعدون شيء ولا مع منهم ، ويحطون بمعية أنهم مما تعطي !

وامسك الصيدلي من الكلام ، وأجال بصره فيما حوله وكأنه يأس جهوراً يحيط به . فقد ظل في ثورة انفعاله أنه في قاعة المجلس البلدي ا هي أن رية المنزل لم تكن تنصت إليه ، بل أصاحت سمعها بخارج أن تسيير صوتاً يبعث من بعد ، اختلط فيه غرغراء « عجالات » سلك حديدية تصرب الأرض - وب لبث (المعمورة) أن توقفت أمام باب الفندق أخيراً !

\*

كانت (المعمورة) تتكون من صدوق أصغر يعوم على هجنتين كبيرتين يصل محيطهما إلى مستوى سمعه ، فيحاولان بين المسافرين ورؤية الطريق ، ويلطحيان أكتافهم بالقادورات - وكان أنبل على الميدان عدد من أهالي (أونيفيل) ، أحذوا يتكلمون معاً في آن واحد يتسألون عن الأخبار ، ويستعرضون عن سلال الهنديا ولم يكن (خيمر) - السائق - يدري أيهم يجب أولاً ، فقد كان هو المنوط بقضاه حوارات القرية من (روان) ، وكان يطوف بالخوانيت لجلب لمبات اخذ لصباح لأحدية ، والحديد سيطار ، وبرصلي (الرشيد) هدمته - ربه المنزل - والفتحات من صانعه ، والشعور المستعارة من «خلاق» وكان يورع الحرم على طول الطريق وهو عاكف ، فيقف على مقعده ويقذف به من فوق الأسوار صانعاً بله فيه ، والخيال ماضيه بالمره !

وكان تأخره في العودة راحماً إلى حادث بسيط ، فقد هربت كذبة مدام (بولفاري) في الحقل ، فقتضوا ربع الساعة يصمرون لها - بل إن (هيمير) رجع صافرة طويلة أصلاً في العثور عليها ، متوهماً في كل لحظة أنه قد هبها ! ويكب (إيد) ، وسحطت ، واتهمت (شارل) بأنه كان البب وقد حاول السيد (بيريه) - تاجر الأنثى الذي كان يرافعهما في العرية - أن يواسيها ، فضرب لها أمشة بكلمات صاعب ثم (اعتذرت) إلى أصحابها بعد ستون حيلة ! بل لقد روى لها ما سمعه عن كلب عاد إلى باريس من القسطنطينية ! وعن كلب آخر قطع خمسين ميلاً في خط مستقيم ، وسبح عبر أربعة أنهار ! وتلادى مذكر لها أن أبه كان يملك كلباً فقدته اثني عشر عاماً ، ثم فوجئ به يقف على ظهره ذات مساء ، وهو في طريقه لتناول العشاء في المدينة !

- ٢ -

توقفت العربة إذ - وكانت ذئابة أول من هبط من العربة ، وبعثتها «عيليه» - فاليد «البريه» ، فصرع واضطروا إلى أن يوقفوا «شارل» الذي كان قد استطاع في ركنه لوم عيب ، مد رأسه لليل سلونه !

وقدم «هومييه» معه ، مرجياً احراماته للبدنة ، ونجياته للسيد ، معرباً عن شدة اعتياده إذ أتبع به أن يؤدي لهما بعض الخدمات وأنصفه في لهجة الصديق أنه قد تمزحاً فدا ، نكس لتناول العشاء معهما ، إذ إن زوجته غائبة عن البلد !

وعندما دخلت مدام «بولاري» إلى المطبخ ، اقتربت من الموقد ، وأمسكت بثوبها عند الركبتين بأطراف أتاها ، فرفعت حتى حادى خيله عرقوبيه ، ثم مدت قدميها بعليلها الأسودين بحر اللهب ، فوق «الصخرة» التي كانت تتر ، فودا اللهب يضئ كل كيانها ، ويتجمل بوره في سيج لوبها ، ومسام جلد البصر الأمس ، بل وفي جفون عييه التي أخذت تعمصهما من وقت إلى آخر ! ودفعت الريح المشتدة من الباب المخرج وهجاً دافئاً غب عييه وكان ثمة شاب أشقر يرثيه في صمت من الجانب الآخر للمدفأة .

كان السيد «ليون ديوي» - الشاب لأشقر - ثاني الرلاء الدائمون في ملق «لأسد الذهبي» ، وقد اعتاد أن يبحر تناول عشاءه في كل مساء على أمل أن يرون بالصدق صامو يستطيع أن يحاكيه الحديث ، إذ كان قد اشتد به انسام في «أيوغيل» حيث كان يعمل كاتباً لدى «الاستاد جويوسان» مؤثق بعقود غير أنه لم يكن يملك - إذا ما قرع من عمله - سوى أن يعود إلى الفندق ، ومن ثم يقصر إلى مصاحبة «بييه» طوال العشاء ، لهذا رجب معتبطاً في ثمة البنية باقتراح وية الفندق أن يتناول عشاءه في صحبة القذمين في الفاعة الكبرى ، حيث أبدعت مدام «لومراسوا» في إعداد اللأمة لأربعة أشخاص !

وأبدى «هومييه» وجده في أن يسمحوا له بأن يظل مرتدياً طابيه الإفريقية خشية «الاشموس» ، لم التعت إلى جازبه قائلاً «لا ريب في أن السيدة متعبة فإن «صصورتنا» ترجع المره رجاً» .

وأجابت «يما» «هنا صصح ، بيد أن السعر يلد لي ، ماذا أحب التثقل من مكان إلى آخر !

وتنهت «ليون» قائلاً «من أسس ما يقم العس أن يظل المره مرتبطاً بمكان

وحد : ؟ فسأله «شارن» «وماذا كنت تفعل لو أنت مضطر مثلي إلى المنطه جودك دائماً؟» فأجاب «ليون» وهو يتجه بحديثه إلى مدام «بولاري» «ونكي لا أرى شيئاً أكثر إسهاماً من هذا ، لو كان في إمكان المره .

وهن قال السيدني «على أن محرمه الطب ليس بالغة المشقة في حد اجبرء من العالم ، إذ إن طرقاً تسمع باسمحمام العبرات - ولما كان «فرارغوت» في حالة من اليسر ، فإنهم يسبقون سحب «علاقة» ومن الباحية عليه ليدن - فضلاً عن الحالات العادية كالتهاب الأعصاب والثرلات الشعية والأمراض الشنة عن الصغرة - إلح - بعض الحمامات المتعلقة التي تظهر من وقت إلى آخر في موسم الحصاد وعلى العموم ليس لديها من الحالات الخطره سوى القليل ، وليس ثمة حالات ملعبة تستدعي الانتباه إلى كثرة الأمراض الشنة عن حدد الرقية ، وهي كثرة مرجعها بلا شك إلى سوء الحالة الصحية في منازل الفلاحين - اه ، لسوف تضطر يا سيد «بولاري» إلى مكافحة كثير من اعتقادات الفاسدة والعادات المتأصلة التي تصطدم بها مجهوداتك العلمية في كل يوم - فهم ما زالوا يجأرون إلى الرمي والتعائم ، وإلى الفس ، بدلاً من أن يسلكوا الطريق الصحيحه فيأتوا إلى الطبيب أو الصيدلني ! - عني أن نطقس ليس رديناً عند في الحق ، حتى إنك تسجد في المقاطعة الفرأ في العقد التاسع من أعمارهم ! . .

وفي ذلك الوقت كانت «أما» تواصل حديثها مع «ليون» قائلة «على أنك ولا يد تجد مجالاً للزومة في البقع الجورة على الأكل»

وأجاب الشاب «إنها جد مبيدة - هناك مكان يسمحوه «للاتير» - أي المرمي - على قمة التل عند حفلة الضيعة - . - وإلى أسس أحياناً ، في أيام الأاحاد ، فأمكنك في صحبه كتاب حتى أشهد مقبب الشمس»

فجالت له عقيقه «ما أحبب أن هناك ما هو أبعد من غروب الشمس ، خصوصاً عند شاطئ البحر»



ديت ليون : «آه - . إني أحسك الحر»

ثم - ألا ترى أن الدفن يكون أكثر صفاءً وحرراً في الغشاء الذي لا حد له - والذي يسمو بأمنه بالنفس - ويوحى بأفكار عن اللانهاية - والخيال المثالي ؟  
- كذلك حال المناظر الجبلية - فإن لي من هم سافر إلى سويسرا في العام الماضي ، وحينئذ قال لي إن المرء لا يستطيع أن يتصور ما في الحيوانات من شاعرية ، وما في مناسط المياه من سحر ، وما بلائها من أثر هائل في النفس - مدرة برى هذا أشجار الصوبر ، التي لا يتصور العقل حجمها ، عر الحمرات التي حصرها البول - ولأفكار معقدة على حواف الزهاد ونحت قديم المرء بالكف قدم ، تبدو - إذا ما انقضت السحب - وديان مسيحة - مثل هذه المناظر ولا رب تحرك اندعر ، وتبعث الشوق في النفس إلى العبادة والبالابل السامية - ومن ثم لم أحد أصحاب من ذلك الموسيقي أمير الذي عند أن يوقف إلهامه بأن يجلس لوضع موسيقاه أمام منظر رائع يسطر على المشاهير

سألته : هل تعرف شيئاً من الموسيقى ؟

- لا ، ولكنني جدد مشعوف بها .

وقطع «هرمه» الحديث إذ قال وهو يضحى على طبق «آه - لا تلقي إليه سمعاً يا مدام دولاري» هذا مجرد تواضع كيفة يا عزيزي وقد كتب مد أنهم تعني «الملاك خادس» في إبداع يمدك لحراس ؟ فقد سمعك من المعمل ، فإذا بك توجيها كما لو كنت معنياً محرفاً ؟ .

وبالفعل كان «ليون» يسكن حجرة صغيرة في الطابق الثاني من منزل الصيدلي تطل على الميدان - ويضرح وجهه لشاء صاحب البيت ، الذي كان قد تحول إلى الطبيب وأخذ يحصى له أهم سكان «أيوطين» ، واحداً واحداً ويروي له تفاصيل - وروايات - ومشكلات - فمثلاً لم يكن نعمة من يعرفه على وجه التحديد ثروة موشق العقود ، كما كان - فأك توماش - بصهور في أفهم مطهر ؟  
وعادت «لينا» تقول - «وأي موسيقى تقرأ ؟» .

- آه ، «موسيقى الأناثية» تلك التي تسدك إلى عالم الأحلام !

- وهل ذهبت إلى الأوبرا ؟

- لم أذهب بعد ، ولكني سأفعل في العام التالي ، حين أسافر إلى باريس لأتم دراسة القانون . .

وقطع الصبي الحديث مرة أخرى قائلاً : «إنكما مشجكان - بفضل هوار ذلك المسكين «يانود» ومفضل جماعاته - أن يوسعك ، كما تشرفت بشرح الأمر للسند ووجك ، أن تستمتع بيت من أفضل بيوت «أيوطين» - وأدع ميراثه بالنسبة إلى حبيب هي أن له باباً يعطي إلى الحارة ، يستطيع المرء أن يبع وأد يخرج من طريقه دون أن يراه أحد ، كما أنه مستوف لجميع الاحتياجات اسرله - وإذا كانت الليلة تهوى فلاحه البساتين ، معي وسعها »

وإذ دنا فان «شارل» - ابن روجني لا يحمل بهذه الأعمال - ومع أنه أشير عليها بالرياضة والحركة ، إلا أنه يؤثر أن تقضي الوقت في غرفتها تقراً الكتب .

فقال «ليون» : إنه مثلي - «أي شيء أجمل في الواقع من أن يقضي المرء ساعات المساء مع كتاب إلى جوار أدهاء ، والريح تلتقي رجاج الباهة ، والمصباح يشتعل ؟

قالت «لينا» : وهي تحدث فيه بعينها السود وير لو سعتيه «أليس كذلك ؟»

ومضى يقول : «إن المرء لا يفكر في شيء حبيدك . ، والمساكنات عمر متلاحقة ونحن نشغل - دون أن نحرك من مكان - بين يدينا مجال أننا نراها - وأفكارك تختلط بالخيال ترسم الذائق ، والوضع مث معالم المعمرات - إنها تسمح في الشخصيات حتى لتحال أن قسك هو الذي يفس تحت ثيابه !» .

قالت : «هذه حق - . هذا صحيح !» .

وإسألته «ليون» : «حديث قائلاً - «أولم يحدث لك قط أن عثرت في كتاب

على فكرة مبهمة كانت قد وردت أو على صورة معتمدة تعود إليك من أمان بعيدة وكأنها تعبر من أدق أحاسيسك<sup>١٩</sup> فأحابت «قد شعرت بهذا فعلاً».

قال «هذا هو السر في أنني أحب الشعراء» فإني أجد الشعر أكثر رقة من النثر، إنه يشعني المرء بسهولة حتى ليكنه له.

قالت «إي» «عني أن الشعر لا يثبت مع طول الوقت أن يثير السأم..»  
زنى آلأ أقيم - على العكس - بالقصص التي تبهر لأفاسي، وتثير الخوف وأكثره الأنطال العاديين، وأشاعر معدلة، على نحو ما برى في الطبيعة<sup>٢٠</sup>

قال «ليون» «الواقع أنني أرى أن عهد الكتب - التي لا تمس القلب - تنحرف عن الحياة الحقيقية ليعمل مع شخصيات بيضاء، وعواطف خالصة، وصور للصفاء، لينة - إذ أقيم لها بمأى من الدن - أجد في هذا منهائي الوحيدة - بيد أن (أونيل) لا ينجح ليعصر سوى موارد قليلة من هذا القليل»<sup>٢١</sup>

فردت «إي» قائلة «إنها ولا بد مثل (توست)، ولذلك اشتركت في مكتبة تعبر الكتب»

وسمع الصيديل كلماتها الأخيرة فقال «هل للسيدة أن تشرفي بالإفادة من مكتبتي الخاصة إن لدي - تحت تصرفها - مكتبة تضم حيرة مؤلفين، مثل فولتير، وروسو، وفوليس، وولتر سكوت، وصحيفة «صدي الأدب» كما أنني أتلقى صحفاً كثيرة، بينها «مار راي» اليومية، إذ أنني مرستها في مطلق يوشي، وفورج، وبيوتان، وأيونيل وحونها».

\*

ومضت عليهم وهم حول المائدة ساعتان ونصف الساعة، إذ كانت الخفادم «أوتمبر» تحضر طبقاً بعد آخر في بطة، وهي تغير خصيها في كسل فوق البلاط، وقد غصت عن كل شيء، وأخذت في كل مرة تنسى إغلاق باب حجرة البلياردو، فيرتطم بالجدار

وكان «ليون» قد وضع قدمه على أحد قضايا مقعد منام «بولاري» - في أثناء الحديث - دون أن يشعر - وكانت «إي» تلف حول عنقها وشاحاً حريراً أزرق صغيراً، يشد ياقة «مكشكشة» مجمعة من «الباتية» وكان الجرد الأسفل من وجهها يقوِّض برفق في ذلك الوشاح أو يرتفع عنه، تبعاً حركات رأسها - ربما كان «شارل» والصيديل يثرثران، اندمج الشابان - اللذان تجاور مقعدهما - في أحد تلك الأحاديث المبهمة التي تقومك العبارات خلالها دائماً إلى مركز ثابت تلقى عنه المبول والمشاير - فتحدث عن مسرح ياريس، وعواصير القصص، وأنوع الرفص الحديثة، ولجميع الذي لم يكون يعرفاته، و«لويست» التي كانت «إي» تقيم فيها، و«أونيل» حيث كانا في ذلك الحين - وتنازع حتى نهاية العشاء في كل موضوع خطر في يديهما<sup>٢٢</sup>

وبعد أن تناولوا القهوة، ذهبت «فيليسيتيه» لتعد الخدع في «بون الجعيد» وما يث الضيوف أن يهضوا بعد قليل «هذا منام «لو فرانسوا» قد أمنت على سفرة من لار المختصرة، فيما كان الناس في انتظار السيد «بولاري» وزوجته، وهو يحمل معها أيرشدهما إلى مرلهما، وشرعوا في الانصراف عندما حمل يدهم لأخرى مطيعة القس

كانت السدة قد هجعت، وأعمدة السوق تلقى ظلالاً كبيرة على الأرض الرمادية، كما كانت تدعو ليالي الصيف - ولما كان بيت الطبيب لا يبعد عن العمدة بأكثر من خمسين خطوة، فإنه اليوم سرعان ما تبادلوا تحية الوداع، ثم تفرقوا -

وما إن رجت «إي» الرعدة حتى أحست برطوبة «خص تهبط على كتفيها كقطعة مبتلة من فماش - وكانت الجدران جديدة، والمدرجات الخشبية صرير - وفي الخدع - بالطابق الأول - كان ثمة ضوء يميل إلى البياض، ينفذ خلال النوافذ التي لم تمنعها ستائر - ولاحت لها رؤوس الأشجار ومن حولها الحقول فكانت تتواري في أحضان الضباب الذي انتشر في ضوء القصر على طول مجرى الهر - وفي وسط الحجارة، تناثرت في حير نظام أدراج

الخراش ، والرجاجات ، وقصائد السائر ، وعصي من المعدن المطلي . وعلى المقاعد كانت ثمة حشيش ، وعلى الأرض ألوان وأوعية . فقد ترك الرجال العذائ حمالاً الأثاث كل شيء في غير ترتيب

تلك كانت المرة الرابعة التي نام إليها في مكان لم تكلفه كانت المرة الأولى يوم التحقت بالدير ، والثانية يوم انتقلت إلى (فوستا) بعد زفافها ، والثالثة في (مويسار) . زها هي ذي الزائفة ! وكانت كل مرة بداية لمحنة جديدة . ولم تكن تعتمد أن الأمور تجري على ويرة واحدة في كل مكان . ربما كان الشطر الذي عاشته من حياتها سيئاً ، فقد قرأ في سبب أن الشطر الباقي سيكون أفضل

- ٣ -

عندما استيقظت «إينا» في اليوم التالي ، همت «بيرو» يسير في «مستقل» وكانت في ثوب المزل ساعد ، ورفع الشاب رأسه إليها محيئاً ، هزمت بإشارة سريعة ، وأعلنت النافذة ! وقضى اليوم ، بهزاه كله في ارتعاب الساعة السادسة . ولكنه حين وضح العشق لم يجد سوى السيد «بييه» يحسن إلى «إدلة»

كان عتـ اليه الماصية مناسبة هامة في نظره ، إذ لم يُنح له قبل ذلك أبداً أن يعضي ساعتين عتتالين في الحديث مع «سيدة» ، فكيف إذا وسمه أنه يكتمها بمثل تلك النعمة ، وهي كل تلك الأمور التي لم يكن - من قبل - يجيد التمييز عنها على حد السحر ، وهو الذي كان في العادة حجولاً ، يشرم ذلك التحفظ الذي يجمع بين الحبيب ، وانتكس في أن واحد ؟ لقد كان أهل (أبونيل) يعتبرونه حسن التربية ، إذ كان يحب لتكلمون حين يتكلمون ، ولم يكن يبدو مصيأ بالهوس السياسي ، وهذه حلة هامة بالنسبة إلى أي شاب ! فضلاً عن أنه كان موهوباً ، برسم بالألوان المائية ، وعلى نظام ميادى «موسيقى» ، ويستطيع حديثه في الأدب بعد العشاء ، وإذا لم يحب الورق . وكان السيد «هوميه» يحترمه ثقافته ، وهدام «هوميه» محبة طيبة ، إذ كثيراً ما كان يصحب

أيامهما إلى الحديقة؟ .

وأثبت «هوميه» أنه خير جار ، إذ كان يرشد مدام (بولاري) إلى الساعة ، ويستخدم لها تاجر شراب النعنع ، ويدوق بنفسه الشراب ثم يستوفى من أن الثقوير وصفت كما ينبغي في قبر البيت ! كما كان يرشدها إلى طرق الحصول على كميات من الزبد بضع رهيد ، ويتفق مع «البيبودوا» الذي كان - إلى جانب مهامه البكسية والإحصائية - يتصعد حدائق القصور الكبرى في (أبونيل) مقابل أجر يحسب بالساعة أو بالعام

ولم تكن الرعة في مساعدة الأخير هي الحافز الوحيد الذي دفع الصيدلي إلى كل هذا التودد والمروءة ، بل به كان يحفي قصصاً خمر ، إذ كان قد خرق أكادة الأولى من كانون ١٩ (عشرون) من العام الحادي عشر بشورة - وهي المادة التي تحضر على كل من لا يعمل شهاده أو يراون مهنة الطب - حتى إنه استدعي إلى (روان) بناء على بلاغات قدمت ضده من مجهولين ، فمثل أمام وكيل النيابة في مكتبه الخاص . وقد استقبله النائب بوشحه واقفاً ، وعلى كعبه شريط العصاة ، وعلى رأسه قلنسوته . وكان ذلك في الصباح ، قبل أن تمتنع المحكمة ألوانها . وكان يسمح وقع أحداثه رجال الشرطة الشعبية في الردهة ، وهدوناً يبحث هن بعد لأعمال ضخمة تمتع ونعلق . . وأحسن الصيدلي بطيخ في أدنيه كذاك الذي يسبق بره الشلل . وراقى يمين الخيال أصملاق الزنزانات ، وأسبرته في دموهها ، والصيدلية وقد بيعت وتأثرت رجاجاتها . حتى لقد اصطر إلى أن يلجأ إلى مقهى تاون فيه كلساً من (المزوم) المخرج عماء (سلر) ليتنالك جاشه !

غير أن ذكرى هذا الإنداد ما دبشت أن أحدث في الاصمحلل ، وعاد إلى ما كان يحاوسه من قبل من تقسيم المشورات الطبية لم يطلبها في العرقه الخلعية بالصيدلية . غير أن العمدة كان يحقد عليه ، ولملاقه يمارون منه ، فكان لابد به من أن يحب حباً بكل شيء ، ومن ثم رأى أن السيد (بولاري) سيقد ولا زب ما يعمره به من مجاملات ، وسيحسم الاعتراق بالحميل على أن

يمك لديه إذ ما لمح شيئاً . ومن ثم اعتاد أن يحمل إليه الصحبة في كل صباح ، وأن يروح الصيدلية بعد الظهر ليقضي فترة في الحديث مع الطبيب . وكان «شارل» مكتئباً لأن العمل لم يقبوا عليه . وكان يجلس ساعات طويلة دون أن يمس ست شعة ، أو يلجأ إلى مكتبته ليقرأ ، أو يتأمل زوجته وهي مستغرقة في الحياكة . ثم أخذ يعمل في البيت كالأجير ليثقل من أفكاره . بل إنه حاول أن يطلي حديقته معزول القيعم ببقعة من دهان تركه النفاثون . . بيد أن الشؤون المالية كانت تشغل باله ، فقد أنفق الكثير في الإصلاحات التي أدخلها على دبريه في (توست) ، وفي توفير أدوات الريه لزوجته ، وفي عمل الأثاث ، حتى إن البائنة - التي بالها عند رواجه - تسربت كدها حلال عامين ، وكانت تنجاور ثلاثة آلاف مرنك . وكم من أشياء تلفت أو ضاعه في أثناء نقبها من (توست) إلى (أبونفيل) . ما هيك يتمثال القسي الذي هوى من العربة إثر حادثة عيعة ، فتحطم على طريق (كوبينكاسوا) شذر مذر .

ثم جاءته مهمة مفرحة تشغله عن أفكاره . تلك هي حمل زوجته ! وكان كلما اقترب موعد الوضع كلما ازداد حدياً عليها . وهذه رابطة أخرى - من لحم - تمرر صيتهما وتقوي مهمب إحساساً مسمرأ بالرباط المشوك . وكان إذا رآها من بعد غشي مثاقفه ، وقوامها يلف في طراوة فوق رديها ، بعد أن تحرر من الحرام الذي كان يشده ، أطال النظر إليها . فإذا جذب متعابين ، رح بانديهم في محض وهي تتمتع من متقلبة ذات اليمين وذات الشمال في مقعدها ، فتعقب به السعادة ، فيعقب فيقبلها ، ويحج وجهها بيده ، ويناديها بالألم الصميرة ، يسعى لحسها على الرفص ، ويروي لها - بين الضحك والكاء - جميع الكائنات الطليعة التي تشبذ إلى ذهده ! كانت نظره فكرة إعجاب طفل . ومن ثم لم يعد يعود شيء آخر ، فقد أصبح يعرف أحياء البشرية من بدايتها إلى نهايتها ، فكان يتدبرها في خاطره مطبئاً ساكن العس !

ويذب «إيماء» في دهشة مألوفة - في البداية - لم أصبحت تنوق إلى أن تضع حملها لتصرف كيف تكون الأمومة ! . ولما لم تكن تلك أن تنفق عن سعة تشغل لطفل مهماً متأرجحاً - على شكل ورق - د . ستتر من الحرير الوردي ، وطاقيات مطررة ، فقد علقت - والمرارة قضها - عن كل هذه ، وعهدت إلى امرأة تستعمل بالتهليل في إحدى القرى بإعداد ما يلزم ، دون أن تحتار بعسها شيئاً ! وهكذا لم تستمتع بهذه الاستعدادات التي تدرك أختها في الأمهات ، حتى لقد بد أن حبها للصغير قد فتر - بعض الشيء - عما كان عليه في البداية ! على أنها لم تلبث أن أخذت تفكر فيه باستمرار متواصل ، إذ كان «شارل» لا يمتأ يحدث عنه مع كل وجية !

وعمت أن مرقق بوند ، قوي ، أسمر ، سميه «جورج» ! . وكانت تحبب الفكرة كما لو كان إعجاب الذكر «تقدماً مأمولاً من كن ما أصبها في الماضي من مصور واستصناف فالرجل حر - يستطيع على الأقل أن يجتاز جميع الانعكالات ، وأن يحسب الأقطار ، وأن يتحصى لمقاصد ، وأن يتدرب أبعد انكادات مثالاً ! . في حين أن المرأة تتعثر قائماً في «شبهات» فإذا شملت وقد رعت بالهرونة ، لا تلبث أن تحب ضعف جسدها ولحياة التي فرصتها حليها الشرائع تكون حادة على سواها ، عوامل تقعد بها . وما أشبه عريحتها يتقاب قبعتها لملق بيخط ، وهو يرفرف في الهواء !

وفاحاًها الخاص في نحو الساعة السادسة من صباح يوم من أيام الأحد ، والشمس تشرق . وما لبث «شارل» أن هتف (إنها بت ! ) فأشاح برأسها ، ورحل في شبه إهمدة ! وأقبلت عذام «هومييه» و«مدام» «الوفرائسوا» - صاحبة نزل الأسد الذهبي - سرعتين لتقبلاها ، فودى سعادتهما ألم - أما الصيغلي ، فقد اكتس - كرجل مهذب ، حين ! - بل أن أزوجي إليها بعض التهنسي خلال «باب المنرج» ، ثم رغب في رؤية الوليدة ، وأحرب عن لوتياحه إلى حسب تكوينها !

وشعلت «إيماء» كثيراً - خلال فترة العاهة - باختصار اسم لأسفها - فأنجحت في أول الأمر إلى لأسماء التي تنتهي بمقطع معنة ، على الطريقة الإيطالية ، مثل كلارا ، وبويرا ، وأماندا ، وأنلا - ومالت كثيراً إلى اسم «جبالسويلا» وكتاب أكثر ميلاً إلى «ليرونه» أو «ليوكادي» ورغب «شارن» في أنه تحمل الطعمة اسم أمه ، ولكن «إيماء» عارضته - ثم ربحا يستمرصان كل ما ضمنه التعويم من أسماء القديسات ، وأخذت يستثيران الأصداء والأعراب فقال الصيادلة كنت أتحدث منذ أيام مع السيد «ليون» فأبدي عجبه لأنكم لا تتعارون اسم «ماديين» الذي يقلل أجميع عليه في هذه العترة !

ولكن مدام «بولاري» الأم ، عارضت بصوت مرتفع هذا الاسم الذي كانت تحمله إحدى الحفلات - أما السيد «هوميه» ، فكان بعض الأسماء التي تبعث إلى الدهن ذكرى عظيم ، أو رافعه بهيجة ، أو فكرة كريئة - وعلى هذا النحو سمى أباه الأربعة ، فكان «اباليون» يمثل العبد ، و«فرانكلين» رمزاً للحرية ، وربما كان اسم «إيماء» مظهرًا لنائره بالخيال القصصي المعطفي . . أما اسم «أنالي» فكان تحية لأعظم تحفة شهدتها المسارح العصرية !

وتذكرت «إيماء» أخيراً أنها سمعت أوركيزة في قصر «فويسار» نادي شامة باسم «بيرت» - وقد تلكت اللحظة وقع الاختيار على هذا الاسم ! ولما لم يستطع السيد «رور» الحضور ، فقد سئل السيد «هوميه» أن يكون بديلاً للعطفة - وكانت كل عناياء من اللجات التي تحويها صيدليته - سه عذب من ثمار العناب المحمورة ، وفيه ممدرة بإكثير مقو ، وثلاث أنابيب من معجون الشيوخ ، فضلاً عن سب أصابع من سكر البت عثر عليها في أحد الصرب - وفي أسية لأخذال ، أقيمت مادة هشاء كبيرة حصرها القس ، وتحفظها هرج ومرج . . . وعندما حان موعد الشراب ، أخذ السيد «هوميه» بشد «الله رب العالمين» ، وفي السيد «ليون» إحدى أغاني الجندول ، وغت مدام «بولاري» الكبيرة - وكانت تشببه الطعنة - إحدى أغاني العصر الأميري الماطفية . . . وأخيراً ، أسر مسو «بولاري» - الكبير - على

بحضار الوليدة ، وشرع يصعد بأد سكب على رأسها كوباً من الشبانيا وأثار هذه السحرة من أقدس الشعائر الأدبية حسب «البوريريان» ، فرد عليه «بولاري» الشيخ بعمره من كتاب (حرب الأكله) ! - وهم القس بالخروج ، فتضرعت إليه النسوة ، وتدخل السيد «هوميه» ، حتى ألقوا في حمل القس على الخلوس ، ومن ثم هاد يسألف احتشاده ما بقي في قلع القهرة بهدوء !

ويبقى مسو «بولاري» الكسر شهراً في (أونفيل) مهر خلاله أهدا بحودة فحمة من خردات الشرطة ، يتدلى منها زر فضي ، كذلك يرتديها في الصباح وهو يدخل عيونه في أيدان ! - ولما كانت من عادته الإفراط في الشراب ، فكثيراً ما كان يعود الخادم إلى صق للأسد الذهبي) ترفيه برجاجة على حساب إبه - واسمد - ليحطر ماديته - كل ما كان لدى روجه إبه من ماء (الكولونيا) ، بيد أن هذه الأخيرة لم تكن تصبغ بصعته (إحلاقاً ، إذ كان قد حاب الأقطار ، فكان يحدثها عن بولن ولب وستراسبورج ، وعن أيام اخصيه ، وعن العشقات الثلاثي أحسه ، والولائم السخافة التي أقامها ! . . ثم إنه كان لطيفاً - بل لقد كان في بعض الأحيان بطوق حصرها بلراجه - على السم أو في الحديقة - ويصبح (شارن - . . احتس لتسلك !)

إذ دافعت خشيت السيدة «بولاري» - الأم - على صغاره إبنها ، وحاجت أن ينتهي روحها مع مرور الوقت إلى أن يترك أثرًا غير خلقي في ما للمرأة من آراء وأفكار ، فصمت على التعميل بالرحيل - ولمبها كانت تكتم أسباً أخطر من ذلك بقلتها ، إذ إن السيد «بولاري» لم يكن بالرجل الذي يحترم شيئاً ! !

وأحب «إيماء» يوماً برغبة معاشة في أن ترى ابتها - التي كانت قد أسلمت لروحة الشجر لشئى بها وترصعها - ودون أن ترجع للتعويم (تشي) ما إذا كانت أسابيع العذراء الستة قد «نقضت» ، انطلقت إلى بيت «رويه» - الجار - في الطرف الأقصى من القرية ، بين الطريق الرسمية وحقول - وكان الوقت



ظهراً ، وقد أوصدت أبواب الدور وبودها ، وتلفتت السقوف لأردوازية تحت ضوء السماء الياهر حتى كانت قدح شرراً من أبراجها . وكانت الريح تهب شدة ، وما بدت «إيما» أن شعرت خلال سيرها بومس ، وأخذت أحجار الأرضة تزلّم قسبها ، وتردده بين ال تعود إلى البيت ثانية ، لو أن تلوذ بأي مكان . وفي هذه اللحظة ، يور السيد «ليون» من منزل مجاور ، وقد تأبط حزمة من الورق ، فحعب لتعبتها ، ووقف تحت المظلة الرمادية الممتدة أمام حانوت «روليه» .

أعلمته مدام «بولفاري» أنها في طريقها لرؤية «بستها» بيد أن سمع أحق يشتد به ، فقال «ليون» «هل لك ؟» ثم أمسكت لا يحرق على أن يتم عبارته ، فسأته «هل سميت أي عمل يشعلك الآن؟» ولحاً أجابها بالنعي ، رجته أن يصحبها فلم يحس المساء حتى كانت «أبولفيل» يأسرها قد عرفت السأ . وصرحت مدام «توفاش» - روجة العمدة - أمام خدمتها بأن «مدم بولفاري» أوقعت نفسها في ووطلة !

■

كان لا بد «إيما» كي تصل إلى بيت «المرضع» من أن تعرج إلى اليسار بعد نهاية الشارع وكأنها تسمى إلى المقابر ، ثم تلتك - بين الدور والأكنية - طريقاً خيفة محفوفة بأشجار اللبج والهيرونك والسرير وبنات الباز المردهرة ، وبالعومج المبيت من الأخرج - وحلال ثغرات في الأسيجة - كاتب الأبقار تلوح في الخرائب وهي تحك ثروبها في جذوع الأشجار - وسار في هودة ، جياً إلى جنب ، وقد استندت «إيما» إلى رميلها الذي كان يضيئ من خطاه كي تلائم خطها ؟ وكان يهوم أصابعه سرب من الدياب يرض في الهواء الدافئ ..

وتعرقاً على اعزق بفضل شجرة بلنق قديمة كانت تظله ، وكان يسأ مسحطاً ، معطى بقرميد بي اللون ، وعلى سموت صرير باب السياج خرجت المرضع يحمل على ذراعها طفلاً برصع ، وتسحب باليد الأخرى طفلاً منلاً

مكبياً كنت وجهه البثور ، وكان ابن صانع بيعات في (رواد) ، تركه أبواه في الزيف نمرود انصراقهما إلى تحيراتهما ومالت المرضع «تعضلي» إن طعلت ثائمة هناك .

كانت المعرفة - في الطابق الأرضي - هي المعرفة الوحيدة بالمسكن ، وقد أقيم بصق الجندو - في أنفسها - سرير واسع دون سقار ، يثبت شعر حوض العجوز حدار الذي يغلثه السادة ، وقد ألق في مكان الرجراج المكسور فيها ورق أزرق . . وفي المركب القنائم حبيب المساب رصب أحذية ذات مسامر لامة ، تحت حافة المنسل ، بجوار رجاءه صمت في فرتها ريشة . وكانت طفلة «إيما» ترقد في سرير من العاب ، فحملتها في العطف الذي كان يدها وأخذت تعمي لها يرفق وهي تهرف - ومضى «ليون» يدرع الصرعه ، وقد بدا له من الغروب أن يرى سيدة جميلة في ثوب أبيض وسط كل هذا البؤس والقائه . وتصرجت وبت مدام «بولفاري» ، فاشاح بعصره إذ خطر له أن نظرة فضولية ست في حبه - وما بدت الأثم أن ردت الطمة إلى مهدده بعد أن تلتأت على صدر مروتها ، فأقبلت المرضع لمسح انقي «فوراً» مؤكدة أنه لن يحلف أنراً . . وقالت «كم من أعمال لها تسعلني» ، فبني أحرم على نظيفها باستمرار ، وبو أنك تعضبت مأمرت «كيس» البدال بأن يعطبي بعض المصابون ، لكن هذا ادعي لراحته ، لأنني لن أضطر إلى إزعاجه !

فقال «إيما» : «حسناً ، ليكن . . . طاب يومك يا سيدة روليه» .

وخرجت وهي تمسح بعليلها عبد المتبة - ونعتها «مرضع حتى نهاية الحديقة» ، وهي تحذنها طمة الوقت من العناء الذي تلاقبه طيلة الليل . قاتله «إلى الصبي يبيع في أحياناً أن استغرق في النعاس وأنا جالسة في مقعدي ، واعتقد أنه يخلق بك أن تمحيي رطلاً على الأقل من البن المبروش ، يكعبي شهراً ، لأتناول منه قذفاً مع احليب في كل صباح» .

وانصرفت مدام «بولفاري» بعد أن استمتعت مكرهة لعبازات الشكر على أنها لم تكده تبعد بضع خطوات حتى انتهت إلى وقع حذاءين خشين

وإذا بالمرصع ، فسألته «ماذا هناك؟» وإذ ذاك نالتحت يده العلاجة جانباً خبط إحسنى أشجار المودار ، وراحب تحدتها من روجها للذي أوتى حرفة ، لا تدر عليه غير التزر الصئيل وقاطعتها إلى ، قاللة «أسرعى» ، فاستأنفت وهي تشهد بين كل كلمة وأخرى «آه» أخشى أن يعصم إذا رأيته أتناول المهور وحدي . عانت تمرين الرجل .

فالت «إيما» لوفه تحصلين على ابن ساعديك إيما ، إنك تصايقي!

- أواه يا سيدي المبررة المسكية! إنه يعاني - بسبب جراحة - من انقباضات مزعجة في الصدر . ويقول إن شراب التماح يضعفه .

- عجلني أينها الأم فلوليه!

فاستطردت المرصع وهي تحسب استمراساً «إيما» ، بهذا لم تأخر قد تماديت . ، وانحنت مرة أخرى «أفكر تكومت» . وبنت في حبيبها غرابة ، ثم أقفست بماتتها أخيراً : « . بقية براندي! وسوف أدلك منها فدي طمعتك » فهما رقيتان كالسنان!

وب إن تخلصت «إيما» من المرصع ، حتى أمكنت سراع «ليون» وسارت مسرعة بعض الوقت ، ثم تاحطت وفيما كانت ضطلع إلى الأمام ، وقع بصرها على كعب الشاب الذي كانت لمسرتة ياقة من الخصل الأسود ، يتدلى فوقه شعره الكشمياتي الذي يسق في عليه ، ولاحظت أن أظفاره كانت أطول من اعتاد الناس في «أبونيل» أن يتركوا عليه أظفارهم! وكانت العناية بها من اهتمام الرئيسة التي تشمله . ومن ثم كان يحتفظ في درج مكنه بمطواة خاصة لذلك!

وعاد إلى «أبونيل» سائرين بمحاداة صجري الماء . فلم تصعب الشامة ورميلها أي صروت وحما يسيران ، اللهم إلا وقع حظواتهما على أرض الطريق ، والكدمات التي كانا يسطقان بها ، وحفيف ثوب «إيما» .

وكانت أسوار الحدائق - التي بدت من فوقها نعل الرجراج - ساخنة كزجاج مواعد بيوت تربيته النباتات الحارة ، وقد شبب الزهور البرية بين أحجارها ، فكانت مدام «يوفاري» تنس بعض هذه الزهور الحافة بحافة مظلتها المفتحة ، وهي تمر بها ، فمسافط برأياً أصغر . كما كان يشتت بعاده المظلة أحياناً فحس من التيلاب المتدلي ، «فترأجج فوق حويوها خطية» .

كان يتحدثان عن لفرقة من الرافضين الإيبين مرتقية الوصول إلى مسرح (روان) . قالت «هن متف برزيتي» فأجاب «إذا استطعت!»

هل لم يكن لديهما ما يقال غير هذا؟! . كانت عيوبهما معمه بحديث أكثر جدية . . وكان ، إذ يجهدان أنفسهما في البعث عن عبارات نهية ، يحسان سوع واحد من الخمر يسوي فيهما . . ذاك كان همس الروح . همس حميم ، مسمر ، يلفظ على صوتيهما! . وأحدهما المعجب بهقه العذوبة الطارئة ، فلم يحطر بيالهما أن يتكلم عن هذا الإحساس لو أن يبحشا من سبه . وإن «سرات» في إقبالها تلي . كالشواطئ الاستوائية - على الغف - شامخ رخاوتها لقطرية ، وتبعث في الجو سيماً مصوحاً . فإذا هذه الشو سلمنا إلى إعداء عذب يصرف عن التكبير في لأحق الذي لنجهله!

وعندما بلغا حديقة دارها ، دلفت مدام «يوفاري» الباب ، وطوت السلالم عدواً ، واحتفت «ماد «ليون» إلى مكنه - وكان رئيسه غائلاً - فألقى على المكلمت نظره ، وشحد العنقه قلماً ، ثم تناول فبعتة أخيراً وانصرف متجهاً إلى المرح بأعلى غضبه (أرجي) - عند مدخل العاية - حيث استلقى على الأرض تحب أشجار الصوبر ، وأخذ يطلع إلى السماء من خلال أصابعه ، محدثاً نفسه «ما أشد ضجري!» .

كان يحس أنه خبيث بالراء لإقامته في هذه القرية ، حيث لا همديق سوى احمويه . ومع السيد «جويومان» رقيه . . . وكان الأخير «يمتطره دي الإطار الذهبي ولحبتة الحسراء ووسطه عنقه البيضاء» ، يكتب على عمله «ولا

بقته شيئاً من انتعاج العكرية ، وإن اتحد نفسه مظهرًا إنكليزيًا صادمًا بهر الكاتب في الأيام الأولى !

لما روجع الصيدلي ، فكانت خير زوجة في (بورمانديا) وديعة كالحمل ، تحب أولادها وأبائها وأهلها وبني عموميتها ، وتبكي لأحزاب الآخرين ، مهتمة في الوقت نفسه بكل شؤون دارها . وكانت تكره المشادات ، غير أنها كانت عطيفة للحركة ، عمدة الحديث ، مبتدلة المظهر ، صيفة الألف ، حتى ما كان أحد يتصور أنها تصلح لروحة بغير الصيدلي ، أو أنها أوتيت شيئاً من خصائص جسدها فيما عدا الثوب ! . وكانت هي في الثلاثين بينما كان هو - أي ديون - في العشرين ، وكان ممدده ملاحظاً لمدحها ، ومن ثم كان يحاطبها يرمياً ! ثم . ما كان هناك غير ذلك ! « فيسيه » ، وبعض أصحاب الحوائث ، وأذاك أو ثلاثة من أصحاب الحانات ، والقس ، وأخيراً مسيو «توقش» ، العمدة ، وأولاده وكلهم ثروة ، متعطرسون ، أعجباء ، يزرعون الأرض بأنفسهم ، وستاثرون بالولائم فيما بينهم ، مترمون ، لا تطلق صحتهم !

ولكن ماذا عن «إيما» ؟ لقد كانت تقف بمحرم من كل إضمار الحام الذي يضم هذه الوجوه الشريرة . وبهيماً عنه هو الآخر ، إذ كان يرى فيه وبها حرة غامقة ! كان قد راوحها مع الصيدلي عدة مرات في البداية ، فلم يد «شارل» مبالاً واضحاً إلى أن يراه مرة أخرى ، فلم يدر «ديون» ماذا يفعل ، إذ حار بين الخوف من أن يبدو متعللاً والرغبة في إلفه جميلة تكاد تبدو مستحبة !

- 4 -

عندما بدأ الشتاء نقلت «إيما» مدهجها إلى حجرة الجولوس . . وكانت قاعة طويلة ، منخفضة السقف ، استقرت على رف مدفاتها - أمام المرأة - حرفة كثيفة من المرجان . وكانت تجلس في مقدمها الوثير بحوز الساقدة ، حيث تشهد أهل القرية وهم يمرون على الإنريز .

وكان «فرن» يسمى بين مكتبه وفندق «أسد الذهبي» مرتين في اليوم ، فكانت «إيما» إذا سمعته عن بعد انحنت لتصيح السمع ، ينسبح بحر الشاف دون

أن يلتفت ، فتره من خدع الستائر في المظهر والمبهر معه دائماً . ولكنها عندما كانت تترك قطعة العماش التي تطورها عن ركبتها ، وتستند بذنها إلى يدها اليسرى . عند العروب . كانت تسري في جسدها رجعة لظهور هذه الشبح ومروره بالبيت ! وكانت لا تبيت أد نهض ، وتأمر بإعداد المائدة

وكان السيد «هوميه» يمس في أد العشاء ، وحافيش الإريقية في يده ، فيهدخل بعض مكنوسة الوقع كي لا يرجع أحداً ، وهو يردد العبارة نفسها دائماً - «ساء الخبر أيها الرملة» ! فإذا اتحد مجنسه إلى مائدة الروجين ، سأل الطبيب عن أداءه المرضي ، فيستشيره هذا فلما يقدر من أتعاب ، ثم يحوصل في الحديث عما جاء بالصحيحة التي يكون «هوميه» قد استظهر كل ما فيها تمرياً ! فكانه يرويه ، مع التعبيات ، كما كان يروي جميع الحكايات العردية التي وقعت في فم أو في الخارج . ولم يكن يوافق - إذ ما نصب موضوع الحديث - عن أن ينهي بعض الملاحظات عن أصناف الطعام التي يوافها . بل إنه كان يتهمس أحياناً عن مقدمه ليرشد السيدة إلى أخرى فضع اللحم ، أو يتحول إلى الخادم يوجه إليها إرشادات في صناعة اللحوم ، والقواعد الصحية لاستخدام التوابل . ويكلم عن نيهار . وأنواع العصير والهلالم (العجلاين) على نحو مدتهش ! ولما كان رأس «هوميه» يحصل بتوكيدات نفوق في كثرة ما ترخر به صديته من فوارير ، فإنه كان يحرق صبح جميع أنواع المزيات ، «واخن» ، والمشروبات الروحية الخفيفة ، كما كان ملماً بجميع اختراعات الحديثة المتعلقة بأدوات الطهو ، لاقتصاديه ، مقلداً عن أصول حيانة الجين .

وكان «جوسن» يأتي في الساعة الثامنة يستدعيه لإغلاق الصيدلية ، فيمرقه السيد «هوميه» بنظرة حيثة ، ولا سيما إذا كانت «إليسيه» واقفة ، إذ كان قد نطق إلى أن مدهجته يحيل إلى التردد على بيت الطبيب ! وكان يقول : «إن هذه «الفحل» بدأ يكره . . وبأخذه الشيطان إذ كنت مسحناً في ظني أنه يجب تخادمتكما» ! .

يبد أن أدهى عيب كان يواظف «جوستان» عليه . هو أنه كله يصمت دوماً إلى الحديث ، فلم يكن من السهل زياده عن «الصالون» في يوم الأحد مثلاً ، عندئذ ناديه مدام «هوميه» ليعمل الأطفال الذين كانوا في مفادهم ، وأجلو يسبحون بظهورهم ممدوحه عنها . . ولم يكن يحضر سهرات الصيادي أباس كثيرين ، إذ نجح ميله لتلحوس في الصنائع والأكرء السياسي في تعبر مختلف الأشخاص احترامين منه . على أن الكاتب لم يتحلف قط عن سهراته ، وكان إذا سمع حوس الباب يادر مسرعاً إلى استقبال مدام «بوفاري» فيأخذ منها شالها ، ويصع تحت صدر الصيادي الخفين الميكين «فردانين» بالشرائط ، اللذين كانت ترتديهم فوق حذائيهما . إذ كان الحليد بجلاً الشوارع

وكانوا يلعبون أوتاراً من نعية الزرق المعروفة برقم ٣٦ ، ثم يعرد السيد «هوميه» باللعب مع «إيما» ، و«ليون» من خلفها يقدم لها الصنائع ، وقد وقف معتمداً يديه على ظهر مقعده ، محدقاً في أسنان المشط التي تلمس عقصة شعرها . وكان الجانب الأيمن من ثوبه يرفع مع كل حركة تقوم بها لإلقاء الزرق ، ويصمت من شعرها لون أسود يصاب على ظهره ، ويأخذ في الشحوب تدريجياً ، حتى يتلاشى في الظلال . ثم ينهد ثوبها على جانبي المقعد ، متمسكاً ، ملتصقاً بالثديا ، وينساب حتى يبلغ الأرض . . فبدأ أحسن (ليون) بأن نعهده على طرفه منه . فترد مجعلاً وكأنها فاس شخصاً !

وعندما كان ينتهي لعب الزرق ، كان الصيادي والطبيب يلعبان (الدومينو) ، فتتقل «إيما» إلى مقعد آخر لتكن على المائدة وتكتب صفحات مجلة (الأسر سيون) . كما كانت تغضر معها محلها النسوة ، ويجلس «ليون» يتأمل النصور إلى جانيه ، ويترث أحدهم عند نهاية كل صفحة ويثا يصرخ منها الآخر . وكثيراً ما كانت مرجوه أن يشدها شعراً ، فكان «ليون» يعمل بصوت مرأخ كان يمي يحفضه عند العارات القرامية ، لتطمى عليه حبة (الدومينو) ! وكان السيد «هوميه» ناعداً في هذه اللعبة ، إلى حد أنه كان يهور على «شارل» بدورين ، حتى إذا عرف من الدور الثالث ، اضطرهما

معاً أمام اندعاه ، فلا يلتفت أن يعصوا . وغوت الدار ويحلون يريق اشاي . و«ليون» ماص في القراءة ، و«إيما» تصب إليه ، وهي تعبت بمظنة المصباح في حركة آلية ، ولتحدق في الرسوم المنقوشة عليها من عصافير في صربان ، إلى راقصين على لحبال تمكين بالعصي التي يجمعون بها موازيمهم . وكان «ليون» لا يلتفت أن يملك عن القراءة لينشير بزمادة إلى البائمين . وإذا ذلك يشجعان في الحديث بصوت ، فكان هذا الحديث يدنو نهجا أغلب من أي حديث ، لأن أحداً لم يكن يسمعه !

وهكذا ، توثقت بينهما عرى صداقة من نوع خاص ، وأخذتا يتبادلان الكتب والروايات . ولم يكن السيد «بوفاري» ليشغل ناله بهذا . فقد كان قبيل لاشياق لعميرة !

وتلقى «شارل» في عيد ميلاده صورة لرأس رسم بالون الأزرق ، ليباد الحصار العصبي ، وقد انتشرت عليه الأرقام والبيانات حتى القصص الصدي . . تلك كانت هدية من الكاتب الذي أخذ يقدم الكثير غيرها من الهدايا والهدايا ، حتى لقد كان يقضي لطيب حوانجه في (روان) . وكان أحد الروائيين قد أورد في كتاب له فصلاً عن بيات (الصبار) جمعه بدمعة نقيت رواجاً ، فانتاع «ليون» بعض بيئات من لدام بوفاري ، وقد أدمى بعض أشواكها أصابعه ، إذ حملها في (المصورة) على ركبته ! وأقامت السيدة حناج بافتتها مائدة من الخشب وضعت عليها الأصص . وبعد كانت لتكتب حديثاً صعبرة صعبة ، فقد أخذ كل منهما يشاهد الآخر وهو يصي بأزهاره عند المائدة !

ومن بين مواهب القرية ، كانت ثمة مائدة ينعت منها أكبر قدر من الشاهد فطيلة أيام الأحاد . مهارها ومساؤها . وبعد ظهر كل يوم . حين يصحو الجو ، كان الغراء يرى حلال كوة مخزون الملل منظرًا جانبياً لوجه (بييه) وقد انحنى على مخترعته فانبعثت طسها الرتيب حتى صار يسمع في لندق (الأسد السحيق)

وولج «ليون» غرفته ذات يوم ، فألقى فيها سجادة من الخمél والصوف ،  
نقش عليها أفنان على قاعدة نحاسية « فاستدعى مدمم «هوميه» والسيد  
«هوميه» و«جوسان» والأطباء والطباخة ليظهرها . وتحدث إلى رئيسه  
عنها . ورغب «المصيح» في أن يورده هذه السجادة ، وهم يائسون أنفسهم  
تري لماذا تقدم روجة العلييب للكتاب هداية ؟ إنه لأمر جده عجيب . وور  
في نفوسهم أنها لا بد حبيبته ، ولا سيما أنه كان في مسكنه ما يبرر هذا  
الظن ، إذ كان عالم الحديث عن سحره ودكانه ، حتى لقد رد عليه «ييه»  
مرة في عتب غاس «ومد» يعيبي من أمره وأنا لست من أميدقاتها ؟ !

وأحد «ليون» يجهده دمه بحثاً عن وسيلة يعنى به لها . فقد كان يتردد  
بين «خرف» من أن يثير أسبائها وبين «الحمل» من جسده . . . كان يكي من  
الرغبة وعدم الحراة ، ثم لا يلبث أن يستجمع عزمه ويعمد إلى كتابة خطابات  
يرثيها بعد أن ينتهي منها . ويرجى الأمر إلى أوقات أخرى . ثم يعود ويرجئها  
من جديد . وكثيراً ما كان يهم بتوجيه الأمر في عزم . فلا تكاد تعمر  
«إيما» حتى يتبدد هذا العزم . . . وكان إذا جاءه «شارل» إلى مرافقته في عريته  
لعباده مريض في لربة مجاورة لبي الدعوة دوراً ، فبحي السيلة ومصرف  
ولم لا ، أليس زوجها جزءاً عنها ؟

لما «إيما» ، فلم تسأل نفسها قط عما إذا كانت تحبه ، فهي تعتقد أن الحب  
يبد فجأة مصحوباً برعد ويرق ، كما لو كان عاصفة تنفخ من السماء على  
الأرض ، فتقذف كيانها ، وتترج الإزادات انزعاجها لأوراقه الشجر ، وتجرف  
القلب . ولم نطقن إلى أن انظر بحيل الشرفات بحيرات إذا كانت الميازيب  
معلقة . وهكذا ظلت مطمئة ، حتى اكتشفت فجأة صدعاً في الجدار .

جداو قمها انصدع فوقه ! !

• • •

وحدث في أصيل يوم أحد من شهر شباط / فبراير ، واجلبت يناسق  
وهم جميعاً - السيد بولاري وروجه ، وهوميه ، والسيد ليون - على يمد

نصف فوسح من «أيوبيل» ، أن خرجوا في رحمة لمشاهدة مصنع لمرل الكتان  
كان العمل جارياً لإقامته في الوادي . وكان الصيدلي قد اصطحب معه  
ولديه «بابوبون» و«أناي» لخاصة ، كما رافقهم «جوسان» حاملاً لمطلات  
على كتفه .

غير أنهم لم يجدوا بهما ذهبوا لروفته شيئاً يثير العضول . مساحة أرض  
واسعة ، خالية ، تآثرت في أرجائها بين أكادس الرمل وأخضى اللقاة في غير  
انتظام ، يضع عجلات ذات توروس يملوها الصلداً ، ووسط هذه الأرض قام  
مسى مستطيل ، يتحلل جدره عدد من التوافد الصغيرة . ولم يكن البناء قد  
اكتمل ، فكانت السماء ترى خلال هيكل السقف الذي علفت يحدى كتفه  
الخشبية حرمة من سابل القمح والقش راحب ترعوف في الهواء بألوانها  
الثلاثة . وانطق «هوميه» يشرح للمجموعة ما سوف يكون لهذه المؤسسة من  
أهمية ، وما ستكون عليه أرضها الخشبية من متانة ، وجدرانها من سبك  
وأدى أسسه إذ لم يملك حصص نقياس كمالك التي كان السيد «ييه» يفتنيها  
لأرب أخرى !

كان يتأبط ذراع «إيما» التي راحت تميل معتدلة على كتفه بعض الشيء ،  
تستطع إلى الشمس التي كان قمرها يرسل من معد - خلال الضباب - ضوءاً  
أخضر يطلع في شحوب . . . وحدث منها التعمقة ، فرائت «شارل» قد ضغط  
فلسوته حتى حاجبيه ، وراحت شعثه المصيطان ترعجمان ، ما أصعب على  
وجهه مريداً من العباءة . حتى ظهره ظهره الساكن . كان يشير  
للاشترار ، وكأما انتشرت هي سترته مظهره بمادة شخصيته ! !

وفيما كنت تأمل زوجي ، مستعرة في اشترارها برناً من التعة اشارة ،  
اقترب «ليون» خطوة ، وقد لاح أن البرد الذي أصابه بالشحوب قد أصبح على  
وجهه استرحاء واد بهاء . وكانت يافة النخيمس واسعة بعض الشيء ،  
تكشف - بين الرقبة ورباطها - عن بشرته . وبرز طرف أذنه من خلال خضفة  
من الشعر . وخيل لي أن عييه الواسعتين الرعاصين - اللتين تطعدان إلى



السحب - أكثر صعداً وحماً من السحيرات - طمية التي يعكس لون السماء -  
على مياهها ؟

وحسب الصيدلي فجأة : « يا للشقي ! » ثم علماً بحرق إينه الذي تعز إلى  
كثومة من الجير ليطلي حذاءيه بلون أبيض . . . وراح « ثابوليون » يصرخ إذ جهل  
عليه توبيخ آية ، بينما أسرع « جوستان » يطلب له حذاءيه بعزيمة من الفش ،  
سد أنه احتاح إلى صكون ، فقصم إليه « شارل » واحدة . . . وعندئذ حدثت « إينا »  
عنها فأنه : « آه ! إنه يحمل سكباً في جيبه كالملاحين ! »

وتساقط المنتج « فنادوا إلى « ثابوليون » . ولم يذهب مدام « بولاري » لزيارة  
جيرانها في ذلك المساء . ولما غادرها « شارل » دخلت إلى معبها ، عادت  
إليها المفارقة يوضح الإحساس المباشر الذي يكاد يكون واقعاً ، وبالعمق الذي  
يخدمه الذاكرة على الأشياء . . . وغث لحيها . وهي تتأمل من صبرها النار  
وهي تسهر صافية في المصفاة - المنظر الذي رآه هناك ، وكأنه لا يزال أمام  
عينيها . « اليوم » وقد وقع يثني صعباً - يحدس يديه ، ويمسك « الثاني » باليد  
الأخرى ، وهي تستحلب في صدره قطعة من المنتج . . . ويدانها فأتا . . . وسما  
ثم تستطع أن تترج معبها ، أحدث تشديد موقف آخرى له في أيام غير  
ذلك اليوم ، وكلمات صدرت عنه ، وجرح من صوته ، وكل كنهانه . وضمت  
تردد وهي تمس شعبيها ، كأنها تقبل أحداً - أحسن - فانس ! ألا تراه  
قد أحب ؟ . . . ومن عباده أحب ؟ . . . أنا ؟ ! »

وأخذت الأدلة تتوحد أمامها ، فتعبر قلبها . وألقى وهج النار على  
السف ضراً - راح يتراجع في مرج ، وانقبت على ظهرها بأسطة دراعها  
وإذا فاك بدا الرئاء الأبدى « آواه » لب السماء تدفعه إلى حيي . ولم  
لا . ما الذي يعول دون ذلك ؟ ! »

وبدلت - حين عاد « شارل » في منتصف الليل - وكأنها استبقت نواها  
وشكك من صدام ، إذ أخذ يطعن يديه في حليه ، ثم سألت عرساً عما حدث  
في السهرة فقال : « لم تغدرب السيد « ثيوف » مبكراً وأرؤى إلى عرفت ؟ »

ولم تتمالك أن اتسمت ، ونامت ، وبهها معمة بلون من القبضة حديد  
عرا عديها !

وردها السيد « ثيوف » ناخر الأقمشة عند غروب شمس اليوم التالي ، وكان  
بانماً ماغراً ، يجمع بين لباقة أهل الجوار وبين دغاء أهل (كو) . وبعد أن ترك  
لدى الباب فيعته الحلاء بالديناج ، ووضع على المائدة صندوقاً أخضر من  
الورق المقوى ، شرع يشكو نفسه - في أدب حم - من أنه لم يحظ بعد  
بشقتها . فأتلا إن من الصحيح أن حانوته الفقير لم يكن أهلاً لأن يجتذب  
« سيدته أنيعة » - وضغط على هاتف الكنتمين - مثلها ، ومع ذلك فليس لها  
سوى أن تأمر وهو عيسى بأن يورثها بأي شيء - تبعه من المفردات أو الشيا  
الداخية أو القصات أو الكماليات ، لأنه يتردد على المدينة بانتظام أربع مرات  
في الشهر ، ويتعامل مع حبير متاجرها . وتستطيع أن تسأل عنه في  
« البرودير » و« البار دور » و« الحان سواف » فإن أصحاب هذه المتاجر جميعاً  
يعرفونه معرفتهم غا في حيويهم ! ومن ثم فهو قد جاء اليوم يعرض على  
السيدة - إذ من سارها - بضع سلع صدر له أن يحصل عليها محض المصادفة  
الحدرة . ثم أخرج من الصندوق ستة ياقات مطررة ، فحسنتها مدام « بولاري » ثم  
قالت : « لسه في حاجة إلى شيء ! » . وعندها عرض في وفق ثلاثة من  
شالات الجرائز ، وعنده مجموعات من « الإبر الإنكليزية » ، وورجاً من العمال  
الفش ، وأخيراً ، أربع كزوزس للبيض صنعت من لحاء جور الهند وقد رانها  
برلاء « سجون بنقوش محمودة » مفرعة . ثم اتحد على المائدة بيده وانترأب  
بعضه ، وراح يرقب « إينا » - التي كانت تجول بين سمعه مترددة - . وقد اتحنى  
إلى الأمام ومفر هاد . وسألته أخيراً : « ما ثمنها ؟ » . فأجاب : « لا شيء » في  
الواقع . . . فمن ضئيل لا يذكر . . . ولا داعي للمجالة - بل ادعني حين يحبو  
لك . . . فلستأ يهوداً ! »

وفكرت لبضع لحظات ، ثم اتهمت إلى بعض صرض السيد « ثيوف » من

جديد ، فأجاب بحير أنه لم يصب ، أحبا سيهم كل ما الآخر شيئا  
فشيئا . فقد اعتدب دائما أن أوقى إلى إرضاء السيدات ، وإن لم ألق في  
إرضاء زوجتي ! .

وانتسبت «إلى» ، يتما استطرد قائلا في حبيبه قلب ، بعد المكنة ، «إلى»  
أحببت أن أنتك بأن «يعود ليست بالشيء الذي يفتني ، بل إنني صمى استعداد  
لأن أقدم لك عنها ما قد تكبرين به حاجة إليه ! .

وبدرت منها حركة تم عن دعه ، فبادر قائلا بصوت خفيض - «آه» لن  
أضطر إلى أن أذهب بعيدا للحصول على ما تريدين ، بقي بي ! .

وتحسب يسأل عن الأب «تيتيه» - صاحب «المقهى العربي» الذي كان  
السيد «بولقاري» يحاوجه - ومضى يتحدث عن مرضى الطبيب ، وهو يربط  
صنوعه ، ثم أردف وهو يتأمل الأرض حائبا : «لن أبق ولا ريب هو سبب  
هذه الأمراض فانا الآخر أشعر بضعفك» وما أراني إلا مضطرا إلى أن أستشير  
الطبيب يوماً ما بشأن ألم بظفري . حبا يا مدام «بولقاري» . أستودعك  
الله . إنني حادمتك لخاضع في خدمتك ! . وأهتق الباب حلقه في رفق

وطلعت «إلى» أن يحمل إليها العشاء لتتولاه إلى جوار المدفأة في  
مخدها . وقضت وقتاً طويلاً في الأكل ، إذ كانت رغبة عن كل شيء .  
وقالت لنفسها وهي تفكر في الشلالات : «ما كان أحكم بصري !»

ومجيئة سمعت حطى على السلم . فأدركت أن القادم «ليون» ،  
وبهضب متنازلت من الصوفا وأنه صف من المرافق التي لم تكن  
أطرافها بعد . فتمت وصل ، بدت حد مبهكة في العمل ودار الحديث  
بينهما متراخياً ، إذ كانت مدام «بولقاري» تنصرف عنه ، بينما بدأ الشاب نفسه  
مرتبكاً . وأخذ يقب حبة «الكشيان» العاجزة بين أصابعه ، وهو يجالس  
على مقعد صغير إلى حوار لمدة «وهي مدسة هي التطير» نظوي -  
من أن إلى آخر - حرف القماش بظفرف . دون أن تتكلم . ومن ثم لرم  
هو الآخر الصمت ، وقد أسره سكرها ، كما كان من الممكن أن يأسره

حديثها ! . وقالت تحدث معها «يا لشباب الفسكين !»

على أن «ديون» لم يبت أن قال إنه مضطر لأن يذهب إلى (روان) يوماً في  
بعض مهام عمله ، وأردف : «لقد انتهت اشتراكك في الموسيقى ، فهل أحده  
لك؟» فأجبت : «لا» . . . وسألها «لماذا؟» فقالت «لأن» .

ثم رمب شفيها وأحدث تشد الحيط الرمادي في غرزة طويلة . وكان  
عملها هذا يصيب «الورد» ، إذ بدا أنه يؤدي إلى تحسب منس أناسها !

وحطرت له عبارة رقيقة ، ولكنه لم يحس على الملحق بها . . بل قال : «إذا  
موسم تسمين عنها؟» . . . فقالت : «مادام؟» . . ثم أودعت بسرعة :  
«أوسيعي؟» . آه ! أجل ! . . . أليس لدي بيتي أرعه ، وزوجي أعني به ،  
وأنت شيء . . . وكثير من الزوجات انتي يجب أن أودعها أولاً؟» .

وطوت إلى الساعة ، فإذا «شارل» قد تأخر في العودة ، وإذا ذلك تظاهرت  
بالتلق . . بل لقد رددت مرتين أو ثلاثاً : «أنكم هو طيب !» وكان الكاتب  
يجب السيد «بولقاري» ، ولكن حان زوجته نحوه أدهشه وساءه . ومع ذلك  
فقد أخذ يمدح ويقول إن كل امرأة - ولا سيما الصيدلي - يلي عليه

تصادت «إلى» تردد آه إنه عيب ! . وأجاب الكاتب «حفا» وشرع  
يسمعه عن مدام «هومي» التي كان يسرافها في إهمال مظهرها يشير  
ضحكها ، فحاطته «إلى» مائلة «وما قيمة ذلك؟ إن ربة البيت الصالحة لا  
تعمل بمظهرها» . . ثم لومت الصمت !

وتكررت الحال في الأيام التالية . . حديثها ، ومسلكتها ، وكل شيء فيها قد  
بغير ، وأحدثت تبدي اهتماماً يشوق مرثها ، وتذهب إلى الكنيسة بانتظام ،  
وتحاسب خادمتها في مريد من الشدة . واستردت طفتها «بيروت» من المرصع  
وكاتب «فيليبس» تحسبها - إذا وعد الضيوف - فتجبع مدام «بولقاري» عنها  
ثيابها تعرض أطرافها ، وتردد أنها تعتق الأطفال وتجذب فيهم صراها ومرحبا  
وهيامها

وأصبح «شارل» يجد حقه - حين يعود إلى النار - وقد وضعه إلى جوار

المداء يكسب دفناً ! ولم يعد جلدوه يتخذ البطانة ، ولا قمصانه تعورها الأبرار . وكان يسره أن يرى الطائيات في العصور وقد انتظمت في صفوف متساوية الارتفاع . ولم تعد «إي» تكلم من المساحة في الحديقة كما كانت تفعل من قبل ، وغدت تغد ما يصحح ، وإن لم تفهم الرغبات التي كانت تصاح لها دون تامل . وكان «ليون» حين يرى الروح إلى جوار النار بعد العشاء ، ويداه على بطنه ، وقدماه على حافة المداء ، وحده منصرجان من التعبد ، وعينه يديان لفرط ههته ، وأظفانه برحمتي أبيسار ، وهذه المرأة ذات الخصر المحيل تسعى من حلف معدة الوزير لتطبع على جبينه قلة ، كان «ليون» حين يرى هذا كله ، يقول لنفسه : يا له من جيون ! وكتب السيل إليها : «

كنت بتصرفاتها هذه يبدو له حد فاضلة ومروعة الخصام ، حتى لقد فقد كل أمل ، ونكهة - بهذا التحول - أثرها مكاناً عسر عدي ، إذ أصبحت في نظره مجردة من ملامتها الذبية التي لم يس معها شيئاً ، ومن ثم أحذت تسوء في قلبه ، وتبعد عن متناوله كروح سماوية تحق غالباً . وداخله شعور من تلك المشاعر الطاهرة التي لا تم إلى الحياة النبوية ، والتي يتعدها المرء في نفسه لأنها نادرة ، ويحلف فقدها من لحون أكثر مما يصعب من الغدات !

وأخذت «ليما» تردد بحولاً ، وحدها يرددان شجراً ، ووجهها يستحيل أن تصبح بشعرها لأحود ، وعينها الواسعين ، وأنها الأمل ، ومشيتها التي تشبه حجل الطير ، والكور الذي أصبح تحتها إلى ألم مكن يبدو - بهذا كله - وكأنها مجتازة الحياة ولا تكذب نفسها ، وتحمّل على جبينها ميسم صغير فني ١٩ . كانت جد حريصة وهادئة ، وقد غدت فحاة جد رفيقة ومتعظّة ، حتى ليشر المرء إلى جوارده بأن فتنة جسدية استولت عليه - حتى لقد نال الصيدبي «إي» امرأة عظمه أنوار - ما كان يسعى أن تعش في بلدة صميرة ! .

وكانت ربات البيوت يحجن باقصدادهن ، وخرصى بمجنون بأدبها ،

والعقراء يبرهن - ولكنها كانت تحترق بالشهوات ، والعبيط ، والبعضاء ! كان حد الثوب المستقيم لثياب ، يحكي قلباً حادراً ، لا تفرج تكلم الشفتان المفيقتان عن شيء من عذابه - كانت تحب «ليون» ومشد العروة تسعد بطيفه في طمأنينة ! وكانت رؤية شحمه يحرك عليها مشعة مجراها ! كانت تهتر طرباً لوقع خطواته ، ثم يحمد الانفعال في حضوره ، ولا يتبقى لها بعد ذلك سوى دهشة غامرة تنتهي إلى أسى طليخ !

\*

على أن «ليون» لم يكن يحسم أنها كانت - إذا عادوها صفاً - تبهض بعد انصرافه لتفرقه في الطريق . . . وأنها كانت تشعل بتشبع روحاته وعذوانه . بل إنها لعقت قصة محبوبته لتجد حديقاً يسوغ لها فيه عرفت - وبدد لها روحه الصديقي سعيدة لأنها نام تحت السقف الذي يأويه ! وأخذت أفكارها محوم دائماً حول ذلك البيت ، كحصانهم فوق «الأسد الذهبي» التي كانت تأتي لتعصر قوائمه الرودية وأجبعها النساء في مياه ميديريه . ولكن «إي» كانت تزداد كيباً حين كلبت إردادت إدراكاً له ، حتى لا يشحن واصحاً ، وحتى تستطيع أن تعجبه ! . . كانت تود أن يحده «ليون» من تلقاء نفسه ، وتصور ما يمكن أن يسر ذلك من مصداقات وكوارث . وبما كان مانعها من الإيمان بالخطوة الأولى سوى الكسل ، والخوف ، وشعور بالخيانة أيضاً ! وحين إليها أنها قد تقارب في صده حتى هزنت الفرصه وضبت كل شيء - وإذ ذلك ، كانت تجد في الكبرياء ، وفي اليهجه التي تراودها إذ غمك أو يعول نفسها ، وأن امرأه ماضية ، وأن تأمل نفسها في نواة متخذه أوضاع لإدخاله والاستكانة . كانت تجد في كل هذا عراء بعض العراء عن التضمحية التي اعتقدت أنها كانت تقوم بها !

ثم راحت شهوات الحسد ، وجشع المال ، وأشجان العاطفة ، تحتشط جميعاً في بوح واحد من العداوات ، كانت تزداد اسكانة إليه - بدلاً من أن تشغل نفسها به - مشحت نفسها على الشعور بالألم ، باحثة في كل مكان عن

فرصة بذلك فكانت تتعمد إذا أسيء تقديم صنف من الطعام ، أو إذا رأت  
بأدباً مفرجاً ، وتدب من لا تملكه من محفل ، وما يقصدها من سعادة ، وما  
يسعد عن متولها من أحلام ، وما كان عليه يتها من حقيق !

ومن ثم أعاطها أن تشاركه لم يبد أي انتهاء إلى عداها ، وبدا بها اعتضده  
بأنه حقق لها كل سعادة إهانة وقحة ، واحتشانه إلى هذا الاعتقاد جعجراً  
فمن أجل من إذا كانت عمتها وهليلها ؟ أولم تكن من أجنه هرة ؟ هو  
الذي كان حجر العثرة في سبيل كل سعادة ، والسبب في كل تعاسة

والذي كان كالحبس المدب يحكم إحقاق ذلك اقطوع المعدد للمعبر الذي  
يطبق عليها من جميع النواحي ! لذلك صبت عليه وحده كل تلك الأحقاد  
العديدة التي تجمعت من فيقها ، وكان كل مجهود للتخفيف من هذه  
الأحقاد إنما يقصدها ، إذ كان المجهود الضائع بصيف سباً جديداً إلى خيبة  
الأمس ، ويريد الهوة يهيم عمقاً ! وكان تنطعم مع نفسها بردها فرداً عن  
روحها ، وضعة حياتها غزلية تدفعها إلى أحلام ملوثة البسخ ، كما كانت  
مخاطبات الروحية تلعبها إلى شهوات داهرة ! ولكنم ودت لو أن تشاركه  
ضربها حتى تجد مسوفاً لأن تكرمه وتعمل على الانتقام من لعبها !

وكانت تدفن أحياناً للحبالات العظيمة التي كانت تراود خاطرها ومع ذلك  
لم يكن هناك من أن تستمر في الانسجام ، وأن تسمع الأدياء بأنها سعيدة  
يردد على مسامعها في كل الأوقات ، وأن تتظاهر بالسعادة . وتذع سواها  
يعتقد أنها سعيدة !

على أنها كانت تشعر بانتمزج مع هذا النفاق ، وتمتدحها ، هراء راح يرين لها  
الصرار إلى مكان ما ، مع فيرون ، لتبدأ حياة جديدة . ولكن هوة غامضة  
مصعقة بالظلام ، كانت لا تلبث أن تشق في أعماقها ، فتذهب تردد لنفسها  
فثم إنه - إلى جانب هذا - لم يعد يحسب ، لماذا يصيبي ؟ أي هرون  
يرحمي أي عره - أية تسرية ؟ .. وتخرج من هذا كله محطمة  
الأعصاب ، لاهثة ، عاجزة ، لتتحنن في صوت خفيض ، ثم تتساقط دموعها  
متواردة !

وكانت الحلام تسألها إذا أثبت عليها خلال هذه الأزمات ، فلم لا تخبرين  
السيد بهذا ؟ فتجيبها : إنها الأعصاب ! - لا تخبرين ، حتى لا  
تتولاه العموم .

- ٦ -

في إحدى الأسابيع وبينما كانت «إيما» جالسة إلى جوار النافذة المفتوحة ،  
رأت اليمستيبودوا - الشمس - يشلب أعصاب حديقة النفس . ولم تلبث أن  
صعدت النافوس يندق معلناً صلاة المساء .

كان ذلك في أوائل نيسان / أبريل ، حين تتفتح البراعم ، وتهب ريح دافئة  
على أحواض الزهور التي تم حرقها منذ عهد قريب . وكانت الماشية تيسر  
عن بعد وهي تتحرك دون أن يسمح لها حطو ولا حوار . والنافوس ماض  
في ريشة يشار في الهواء شجلاء وحزنه الوديع !

وعلى ريش دافئة المتواردة ، هام فكر السيدة الشابة في ذكرياتها العديمة ، أيام  
الشباب والدراسة في الدير . فذكرت الشمعدانات الضخمة التي كانت تيسر  
من وراء الأواني المليئة بالأزهار فوق المذبح ، والهكل المقدس ذا الأعمدة  
الصغيرة . ولحمت لو أنها ظلت كما كانت عهد ذلك ، نالته وسط صعب  
الألوان البيضاء التي كانت تتخلله . هنا وهناك بقع سوداء متناثرة تمثل  
مخارم الزاهيات المتحبات فوق المذبح . ثم قدسات أيام الأحد ، حين كانت  
ترفع رأسها في أثناء الصلاة لملمع وجه العذراء العذب ، وسط حلالات  
اندخا مائلة إلى الزرقة ، التي كانت تصاعد من المبخرا . إذ ذاك جاشت  
حواطمها ، فأحسَّت بأنها ضعيفة ، مهجورة ، كرسية في صهب الرياح  
وسعت - دون وعي منها - إلى الكتيبة ، ثواقف إلى أية فرائض تنح لها ، كي  
تليب روحها فيها . . فيلاشي الوجود !

وهي الميخان المودتي إلى الكتيبة التفت بيمستيبودوا هاتماً . فقد كان يؤثر  
أن يوقظ عمله ثم يستأنه ، بدلاً من أن يتحيت ساعات العمل اليومية  
حتى لقد كان يندق النافوس لصلاة مساء كد يلائمه فضلاً عن أن دعه

مبكراً من مواعده كان يته الصبية إلى موعد درس الدين!

وكان بعض الصبية قد وصلوا، غداً، وراحوا يعبثون على بلاط القنبر، ويهرعون أرجلهم فيحصدون ما حديثهم رهور «بنت السار» التي تم بين السور والمقابر الخاصة له.

وسألت مدام «بولاري» صبياً كان يلهو بهر مرلاج الباب في عرونة الواسعة «أين القس؟» «فاجاب الصبي» «هنا هو ذا قادم».

وبالفعل، انعت صرير من باب مكنى الصبي «وا ليت الأب «بوريريان» أن يظهر، مفرغ لأطفال إلى الكنيسة في مخرج وتتم القس «يا لهؤلاء الأوعاء! إنهم دائماً على هذه الحال» ثم التقط نسخة مبهمة من كتاب الصلوات تعثرت فيها فدهه، وقال «إنهم لا يحترقون شيئاً»

على أنه لم يكن يلصق مدام «بولاري» حش حطب «معدرة» لم أثبتت! ودس كتاب الصلوات في جيبه، وذهب وهو يبحث بمحتاج الهيكل الثمين يحاول أن يوازن بين أصابعه. وفي ضياء عروب الشمس انصبت على وجهه، بما موجهه العصوي حائل اللون، لأمعاء عدد لرفعي، بالياً عند النس. وكانت بقع الدسم والسف تسائر على صدره العريض موزنة بصعب الأرزار الصغيرة، ثم تكاثرت عند مسحة العن التي ارتكزت عليها ثيابا من جيد دلمه الأحمر، المنهدم، الذي سائر فيه بقع صدر، توارت تحت شعر حية حشة وخطط انشيب. وكان قد فرغ لونه من تناول العشاء، مخرج يتنصص يصوت مسموع، «وعاد يقول» «كيف حالك؟»

فاجبت «أي» «يسب على م يرم إني مريضة» ورد القس قنلاً «وأننا كذلك» إذ أيام سحر الأرنى هذه تصعب المرء بدرخة عجبة ألفت كذلك! لكننا على كل حال حقاً لتعذب» كتب يقول بوس الرسول، ولكن، ما رأي السيد بولاري في مريضك؟»

صبرت منها حركة بردو، وقالت «مر» «فقال الرجل الطبيب وقد أخفته الدهشة: ماذا؟» «أولم تصعب لك دواء؟»

فقلت «أي» «آه... ليس الذي أحتاج إليه علاجاً دينياً»

ولكن القس كان ينظر من آن إلى آخر نحو الكنيسة، حيث ركع الأطفال وأخذوا يتدافعون بالمشاكيب، ويتهلجون ترقع من الورق... ومضت «أي» تقول «أريد أن اعترف...»

وهنا صاح القس في صوت غاضب «أحدار يا بودي» لسوف ألهب أديك أيها الشيطان! «ثم قال إذ تحول نحو «أي» «إنه ابن يوديه النجار، والنداء في يسر، ولدت يتركاه يضل ما فعله على أن يوسعه أن يتعلم بسرعة لو أنه أراد، فهو شديد الذكاء» وكيف حال السيد بولاري؟

ولاح أنها لم تكن تسمعه، فاستطرد قائلاً «لا ريب أنه كثير المشاغل دائماً» فهو وأن أكثر الناس عملاً في الأبرشية هو طبيب لأجسام» ثم أردف وهو يطلق ضحكة مججلة: «وأننا طبيب للأرواح»

وحذت «أي» بعين ضارعين وهي تقول «أجل إنك تحفف لأحرار!» «آه يا مدام بولاري لا تعذبني من ذلك، فقد اضطرت في هذا الصباح إلى السوجة نحو (ماديول) من أجل بفرة كانت مريضة، فظنوا أنها كانت تحت تأثير الشيطان كل أمبارهم هكيد، وإن لم أدر لهذا مسوغاً! ولكن، معلومة، ثم التفت نحو الصبية وصاح «لومقمار بودي» هلاً كمفتما من هذا؟» «وفر مسرعاً إلى داخل الكنيسة

وقال حين عاد إلى «أي» وهو يشتر مندبه القطني، ويمك بأحد أطرافه بين أسنانه «أحسن ما أجدر المزارعين بالثناء»

قال «وغيرهم أيضاً»

«بالتأكيد هناك عمال المدن مثلاً»

«لست أنصدحهم»

«عمراً! لقد عرفتهم بيهم أمهات باتصات يُعلن أسرار» وساء

مصاصات - بل أؤكد لك أنهم قديسات فعلاً - لا يحدن أخيراً!

فقلت «أي» وقد أخذ جانباً فمهم يحتجبان وهي تتكلم «ولكن أولئك



أولئك اللاتي يجدن الخبر يا سيدي القس ، لا يجدن .

قال : «النار في الشتاء؟»

— أوله . . . ما قيمة هذا؟

— ماذا؟ ما قيمته؟ يخيل إلي أنه إذا ما وجد انزاع النفس والهدوء

إد . . على كل حال . .

فتنهلت قائلة : «يا إلهي يا إلهي» .

«إنك تعطين من عسر عظم ولا ريد يجب أن تعودني إلى دارك يا مدام «بولاري» فشررت قليلاً من الشاي ، فإنه يقويك أو تنولي كوباً من لبناء البارد الممزوج بمحلول السكر المركز .

وتساءلت «إي» وقد بدت كمن يتنبه من حلم «لماذا؟» فقال «ذلك لأنك كنت تضحكي يدك على جيبتك فحين إلي أنت تشعرين بدور» ثم استدرك قائلاً «ولكنك كنت تاللي عني شيء مما هو؟ إنني لا أذكره» .

فرددت «إي» «أن؟ لا شيء؟ لا شيء؟» ووقع بعدها «حين أجاله ببطء فيس حولها» على مصوح القس . ثم عاد كل منهما يحدث في الآخر صامتين وما لبث أن قال في النهاية ، «و لاك ، معد» يا مدام «بولاري» إن الزواج قبل كل شيء ، كما تعلمين ، ولا بد من أن أتولى علاج تلاميذي هؤلاء الذين لا يصلحون لشيء ، «فإن حفلة «التوبة» الأولى قداسة عما قريب ، وأخشى أن تدمت ولا تستكمل استعداداً» وبذلك أمتطيهم ساعة بالإضافة إلى الفترة المحددة للدرس في يوم الأربعاء من كل أسبوع ، منذ عيد الصعود ، في مواظبة قاسية . يا لمساكين ! إن المرء لا يمكن أن يرشدكم بسرعة كبيرة إلى طريق الرب لك تحياتي يا سيديتي بالصحة الجيدة ، ولروحتك احتراماتي» .

ودخل إلى الكبة وهو يشي ركة احتراماً عند الباب ورأته «إي» يعجب يدي صفي المقاعد ، وهو يسير بحظي ثقيلة ، ورأت مائل على كتفه قليلاً ،

ويدها ميسرتان ، وقد أخرجهن من المرح وما لبثت أن دبرت على كعبها بكل جسمها . قدمه واحدة . كبحثال على قاعدة تدور ، وبمحت شطر يدها غير أن صوت القس انزعج ، وأصوب لأطفال مصافية ، طلب نصل إلى أديها وتلاحقها «هل أنت مسيحي؟» «نعم ، أنا مسيحي» «ومس هو المسيحي؟» . «هو ذلك الذي عهد ، عهد . . عهد»

ومعدت درجات السلم مثبتة بالخجر ، حتى إذا بلغت حجرتها ألقت بنفسها في مقعد مريح . وكان الضوء الشاحب المساب خلال زجاج البافيه يهبط في موجات خفيفة . ولاحت قطع الأثاث في أماكنها ، أكثر جموداً مما هي عادة ، وأشد برارياً في الظلال وكأنها تموص في بحر من الظلمة والنداء حفاة ، والساعة سادرة في دعامتها وساور «إي» عجب غامض بهذا الهدوء الذي يسود كل الأشياء ، ربما يحتل جوها باضطراب صاحبها ومطلب إلى أن «يرتد» الصغيرة كاتب هناك . بين النامدة ومنضدة أحيائه . ثم أخرج من حذاءها المسوجين باللد ، ومحاو أن تسمى إلى أمها سمك بأطراف أشربة مروكته فقال «وهي تسحبها يدها» «عيني وشأني»

على أن الصغيرة لم تدب أن اقربت من ركبي أمها ، فاستندت إليهما بذراعيها ، وتصلبت بيمين الرافيس الواسعتين ، وقد انساب من بين شفتيه حيط صغير من العباب أحد يشاهد على مروكته الخيرية . ففكرت الشابه في صبي «عيني وحدي» وأفرغ وجهها الطعلة ، فأخذت تصرخ ولكرتها الأم بمرفقها دائلة «هلا تركني وحيدة؟» وسقطت «فيرت» عند قاعدة الصوان ، فشق مقبس المدرج الحاسي خدها ، الذي شرع يرف دماً ورتب مدام «بولاري» لترفعها ، وشدت حين الخرس ، فهدت الخادم بأعلى صوتها . وعندما همت بأن تلعن نفسها ، ظهر «شارون» إذ كانت ساعة المشاء قد حانت ، فعاد إلى البيت . .

قالت «إي» في صوت هادئ «انظري يا عزيزي العهد وقمت الصغيرة وهي تلعب ، فخرجت نفسها» . . فطمأنها «شارون» إلى أن الأمر ليس خطيراً ،

ولم تهبط مدام «بولفاري» إلى قاعة الطعام ، إذ رعبت في أن تحلو للمساكنة بالطعنة . وحين أحدثت ثوبها ، وقد قامت ، رايها رويداً ما أحسب به من قلق ، وبدأ لها أنها كانت غيبة ومصادجة إذ صاحها كل ذلك الإنزعاج لأمر بسيط كهذا . قالوا في «بيروت» ثم تعد شفق بيته الكاء ، بل إن أنصافها أخذت ترفع في رفق المعد الطعني الذي أسبغته عليها لها . وحلفت قطرات كبيرة من الدموع بأركان أجمعها نصف الممضة التي كان الموه يلمح بين أعضائها حذق شاحتي ، فالزتين . والضمادة اللاصقة بحدتها تشد جلدها في خط مسحور . وغير خاطر سال «إي» ، فقالت لنفسها «يا عجبا !» . ما أفتح هذه الطعنة ! .

وعندما عاد «شارل» في الساعة الحادية عشرة من الصيدلية - حيث كان قد ذهب بعد العشاء ليرد ما تبقى من الضمادة اللاصقة - وجد زوجته وهي تقف إلى جوار اهدد ، فقال وهو يقبل جبينها : «قلت لك إنها إصابة بسيطة ، فلا ترعجي يا حبيبي . مسكينة ، ولأصلمت ههنا لدعرج» . وكان قد مكث طويلاً في بيت الصيدي ، إذ جهه «عوميه» في التسمية عنه وتقوية روحه المصرية . رغم أنه لم يبد كثيراً من القس والتأثر ثم أخذوا يتحدثون عن الأخطار العديدة التي يتعرض لها الأطفال ، وعن إهمال الحدم

حارون «سرس» أن يطلع الحديث أكثر من مرة ، فهمس في أذن الكاتب «أود أن أتعهد إليك في أمر» . فنقمه الكاتب صاعداً السلم وهو يسائل نفسه (أشياء قد حدثت شيئاً؟) وأخذ قلبه يخفق ، وراح يرمو دمه بالانزعاجات . . وأخيراً ، وجده «شارل» - بعد أن أغلق الباب - أن يسلك نغمة في (روان) عن ثمن صورة فوتوغرافية بديعة ، إذ كان يود أن يعد لزوجته معاجلة عاطفية لغنة رقيقة تتعلل في صورة له وهو يرتدي الحلة السوداء . ولكنه أراد أولاً أن يعرف كم تكلمه . وما كان السؤال ليضيق للسيد «ليون» في شيء ، إذ كان يذهب إلى المكتبة في كل أسبوع تقريباً .

ولكن لماذا «ليون» بالذات؟ ! . حدى السيد «عوميه» أن وراء الأكمة معامرة من معامرات الشباب أو مؤامرة ! ولكنه كان مضطراً ، إذ إن السيد «ليون» لم يكن يسعى إلى غرام . بل فإنه كان أكثر اكتئاباً عنه في أي وقت مضى ، كما لمست ذلك مدام «لوفراسوا» من كسبة الطعام التي أصبح يتركها في طبقه . وقد سألت محصل الضرائب عنه يريدها علماً وإيضاحاً ، ولكن «بييه» أجابها في جفاء بأنه «لا يعمل في الشرطة» ! .

ومع ذلك ، فقد لاح له زميله في حالة جد حريمه ، إذ كثيراً ما كان «ليون» يطرح في مقعده ، ويمد ذراعيه ، ويشكو من الحية في أسلوب خاص ! وقد قال له المحصل «إنما يرجع ذلك إلى أنك لا تعمل على نصيب كاف من الراحة والسليمة»

- أية تسليمة؟

- لو كنت في مكانك لهوت العمل في الشرطة .

قال الكاتب «ولكني لا أعرف كيف أديرها» . فرد الآخر وهو يحدق دفته في مريح من المترق والرضى : «آه ، هذا صحيح !» .

\*

كان «ليون» قد برم ياخبط الذي لا أمل منه ، ثم بدأ يشعر بذلك الضيق الذي يسببه مضى الحياة على وتيرة واحدة مكررة ، دون ما هدف يوجهها ، أو مأرب يعروها . واشتد به الملل من «ليونين» وأهلها ، حتى أصبح رؤيته بعض الأشخاص ، والبيوت ، تتبره إلى دوجة لم يعد يحتملها ! . وقد كان الصيدلي رجلاً طيباً ، إلا أنه أصبح لا يطيقه البتة . ومع ذلك فإن التعكير في نوع جديد من الحياة كان يفرغه بقدر ما كان يشهره ! . وتحوّلت هذه الهواجس بعد قليل إلى عبود حير ، وإذ ذلك أخذت باريس تناديه - على البعد - بضجيج حلاتها الراقصة الصاخبة ، وضجج حلاتها اللعريبات !

ولسناً كان لابد من أن يتم دراسته القانونية هناك ، فليد ، لا يرحل إليها لتوه ؟ . وما الذي يحميه ؟ . وشرع يعد مناعه ، ودير أعماله مقدماً ، وأثت

في خباله مكنياً يعيش فيه حياة فان قيتلقى دروسه في العرف حتى  
«المستارة» ويقتني مائة جملة، وقلوبة على قرار علكوات أهل  
(البسك)، وخفين من الخجل الأزرق! بل إنه بدأ يتصور في إعجاب  
سبعين متقاطعين فوق مدناه مسكنه وفوقهما «غيتار» تعدوها جميعاً!

إلا أن العقبة كانت تنحصر في العوز بموافقة أمه على أنه لم ير ما هو  
أحكم من هذا التدبير بل إن رئيسه نفسه يصحبه بأن يلتحق بمكتب آخر  
يستطيع فيه أن يحرر نقداً سريعاً في مرانته ودراسته وإدراكه، انتهج «ليون»  
طريقاً وسطاً، فأخذ يبحث عن مكتب في (روان) يقبله ككتاب ثان، فلم لم  
يجد، كتب إلى أمه في النهاية خطلاً طويلاً سهلاً شرح فيه أسباب مباحثته  
لترحيل إلى باريس والإقامة فيها موافقتاً على أنه لم يتحمل وظل  
«هيمير» سائق «المصورة» شهراً يأكمه يعمل معه كل يوم من (أونفيل) إلى  
(روان)، ومن (روان) إلى (أونفيل) صديق، وحفاب، وحرماً حتى إذا  
أخذ «ليون» قياه، وحده حشو مقاعده المريحة الثلاثة، واشترى عددًا من  
ربطات العنق، وقام - بالاختصار - باستعدادات تعرف ما يلزم درجة حوز  
العالم، أخذ يرجع سمره من أسبوع إلى آخر، حتى تلقى من أمه خطاباً ثانياً  
نستحيه فيه على الرحيل ما دام قد اهتم أن يتقدم بلاصحة قبل موسم  
المعطلات.

وعندما حانت ساعة الوداع، بكى مدام «هومييه»، وانتحب «جورستان»،  
وأخى «هومييه» تأثره - كرجل قوي الأعصاب - ورغب في أنه يحمل بنفسه  
معطف صديق حتى باب مكتب الموق الذي كان يسبق «ليون» في عزمه إلى  
(روان). ولم يتنق لليون سوى لحظات يودع فيها السيد «بولاري»، فلما بلغ  
قبة الصمم، توقف وقد تقابعت أنصافه لاهثة، ولحماً دلف إلى المكافأ،  
نهفت مدام «بولاري» في عجيبة، فقال بيون «ها أتد مرة أخرى»  
فقلت «كنت متأكدة من هذا» وعفت شفتيها، وأندفع بيض من الدماء  
خلال بشرتها فاصطبعت - من نابت شعرها حتى طرف ثوبها - بالحسرة

وظلت واقفة، مستمة بكنمها إلى الحشب الذي كان يكو الخدار يبع  
مضى متناً «فل الطيب هـ» فأحدث «إيه في الخواج في  
الخارج» ثم نعتها صمت وأخذ كل منهما يرمق الآخر، وقد زحمت  
أفكارهما تحت ألم واحد، متعاقبة كصديدين يمشان ثم قال «ليون» «أود  
أن أقبل بيرت».. «مهلط «إيما» يضع درجات ونادت «بيلبيتيه» وأنى  
طرية على ما حوله من جدران، ورخارف، ومدنات، وكأنه يتمد خلال  
كل شيء! وعادت الخادم تحمل «بيوت» وهي تهر طحونة هواً صغيرة  
مقلوبة رأساً على عقب ومعقاة في خيط وطبع «ليون» عدة قبلات على  
عقبتها وعمقه «هي رعاية الله أنده الطيلة للكمة!.. استودعك الله أيتها  
الصغيرة الحبية» - وداعاً! - ثم ردها إلى أمها، فقالت للخادم: «أخرجي  
بها» - وبها وحسين، وقد أوت مدام «بولاري» ظهرها، وألصقت وجهها  
برجاج الداسة - يمسك «ليون» بلسونه يضرب بها فحده برفق

وقالت «إيما»: «استعطر السماء».. فأجاب «لدي معطف» قالت.  
«آه» ثم استدارت، وقد حققت ذقتها، فبرر جنبها، وسقط عليه الضوء -  
كما يسقط على قطعة من مرمر، فانهلر حتى حاصيها، دون أن يحسك غيره  
أن يحدث ما كانت «إيما» تراه عند الأفق، ولا ما كان يحوّل في سريرتها  
وما لبث «ليون» أن شهد قائلاً: «والأول» - وداعاً! - فرددت «إيما» رأسها  
بحركة سريعة وقالت «أجل، وداعاً».. «ذهب».. «وقدم كل منهما نحو  
الآخر، ومد يده، ولكنها ترددت».. ثم قالت وهي تسلمه يدها، وتختصب  
ضحكة «عليكي على الطريقة الإنكليزية إذا» - وتحسس «ليون» راحتها بين  
أصابعه، ولاح له أن روح كيناله كنه قد انسابت إلى يدها الرطبة ثم فتح  
يده، وتلاقت أصبعهما مرة أخرى ثم احتكما - حتى إذا منع السوق -  
انصرف متوذاً خلف عمود، وتلود بظرة أعيرة من البيت الأبيض ذي  
الوافد الخصر - وخيل إليه أنه رأى طبعاً حلف مائدة حجرة «إيما» - ولكن  
الساعة اسابت على مشجيتها، وكان شخصاً أحد يترجرحها، فراح تسدل

رويدا رويدا مشيرة ثيابها الطويلة المائدة ، ثم بسطت كفيها أمام المائدة ، وظلّت مسدلة في استقامة ودون حركة ، كجدار من الخصر !

وانطلقت «ليون» يحدو روائى عن بعد عربة رئيسه على الطريق ، وإلى جوارها وجل في صوفية صميكة ، يمسك بالجلود . . وكان «هومي» والسيد «جويرمان» يتحدثان ريثما يصل ! وقال له الصيدلي والدمج ترقوي في عيبه «قلبي» هناك معطفك يا صديقي العزيز خذ حذرك من البرد ، واحترس لنفسك «عن نفسك» وقال موقن المفقود «هيا يا ليون اصعد» واتضح «هومي» على «وقوف» العرب ، ونطق بهاتين الكلماتين الحريتين بصوت يقطعه الشيخ فرجة ساره . «أحابه السيد «جويرمان» «صم ماء»

ولجرت العرب وقص «هومي» عائلا

•

في تلك الاثناء كانت صام «بولاري» قد تحت المائدة المظلة على احدىقة وأخذت ترقب السحب ، فإذا هي تجمع حول الشمس العارية في تجاه «روان» ، ثم تطوي ذيولها السوداء بسرعة ، فتندفع في حلقها حيوط الشمس الطويلة كأنها سهام من ذهب في درج معلقة ، ييسما كانت يقية السماء خالية ، يبيضه كالخريف . على أن الريح لم تلبث أن هبت فاحت حبات شجر الحور ، ثم سقط المطر فجأة ، وأخذت قصراته تربط بالورق لأحضر غي صوت مسموع . ثم عادت الشمس إلى البروج ، فانبعث شفق الدجاج ، وأخذت الطيور تنص أجبعتها وسط الأعشاب الكثيفة المغمضة ، ورحمت اياه معها وهي سحدر على المصباح وهور الدج الوردية وحذت «لدا» بها عاتيه . «آه» ما أبعد المصباح التي يكون قد قبضها الآن !

وجاء السيد «هومي» في منتصف السابعة ، في لثاء تناول العشاء - كعادته - وقال «نقد ودعنا صديقا الشاب» فقال الطبيب «عمت بذلك» .

ثم دار في مقعده وقال : «هل من أبناء عن الأسرة» ؟

- لا شيء - يسمحن الذكر ، اللهم إلا أن روجني كانت متاثرة بعد ظهر اليوم أنت تعرف النساء يتاثرن لثمة الأمور ، ولا سيما روجني ومطحي - نو أذا عذف ذلك ، إذ إن جهرهن العصبي أرك من جهازنا !

وهناك شارل «مكيون ليون» مرى كيف سيحبس في باريس ؟ وهل بالصها ؟ - فتهدت صدام «بولاري» وعطس الصيدلي بسلانه فائلا تيلصها ! حملات العشاء في الطعام ، وبمراقص التكريه والتسبانيا أؤكد لك أن كل هذا سيحبونه ! - فاعترض السيد «بولاري» قائلا «لا أظنه غير تلق إلى العشاء» فأسرع السيد «هومي» قائلا «ولأن كان سيضطر إلى أن يجاري الآخرين حشمة أنه بطونه مترنأ . وما أراك تعرف أية حبة يمارسها أولئك «الكلايد» من شباب الحلي اللاتيني مع المثلثات . . ثم إن الطلبة يحفظون نظرة طيبة في باريس ، ويكفي أن يظهروا بعض ادو هب حتى يقلهم القوم في خير المجتمعات بل إنه من سيدات الحلي في «سان جيرمان» من يتلهن في هراءهم ، فيصن لهم الفرس لوجهات طيبة جدا !

قال «شارل» «ولكنني أحشى عيبه هناك» ، فقامه الصيدلي قائلا «أصبت هذا هو الجانب الآخر لموضوع دلمه هناك مصطر إلى أن يبقى يده فوق جيبه إنك قد تكون في حديقته عامة - مثلاً - يتقدم إليك شخص حسن الهندام - وربما كان يحلي دلمه بوسام حتى ليحبسه لزم من رجال السك الديلوماسي - ويستدرجت ، وسيلعب معك ، ويقدم إليك قبضة من سحوط ، أو يمسح قبعتك إذا وقعت ، ثم يردد ودأ يصحبك إلى مقهى ، ويدعوك إلى مرده الزمعي وبين كل شيء من السيد يقدمك إلى مختلف أنواع الناس وفي ثلاث أربع الحبال لا يكون ذلك إلا ليشتل ساعتك ، أو يودعك في ملأق غيبث ! - فقال «شارل» «هذا صحيح ! على أنني كنت أفكر بوجه خاص في الأمراض - حتى التيقونيد مثلاً ، التي تعيب الطلبة الواعدين من الزم» !





هذا جمعيته - دون أن تعمل شيئاً - ثم اتخذته وقوداً لشجرها !

على أن الذهب لم يلبث أن حصد ، إنما لأن الوفود قد نفذ ، أو لأنه تراكم أكثر مما يبيع ، وشيئاً شيئاً ، أحد الحب يحدد بسبب القراء ، والدم يعتق بحكم الاعتياد ، ووجه الآخرين الذي أشع في صفاتها الضاحكة لوباً مرمياً يخبر رويداً رويداً ؟ ، وفي غلة من ضميرها ، ظنت أن شتمتازها من زوجها إن هو إلا نلعب خبيثها . بيد أن العاصفة ظلت هوجاء حتى إذا انزعت الشهوة فضاوت رماداً ، دون أن تجد هوى ، ودون أن تشرق شمس ، أظن النيل على المسكن من كل جانب ، وصلت في برد المطيح الذي كان يحترمها ثم عودتها ذكرى أيام (نوست) البنيفة ، وأصبحت ترى نفسها أكثر تعاسة ، إذ كانت قد خبرت الحزن ، فأبقت أنه حزن من ينهي !

ولعل امرأة تعرض على نفسها مثل هذه النصحيات لجسام ، خليفة بأن نصح لبعضها بعض الروايات . وبالعقل ، ابتاعت إلى مقعداً قرطياً للصلاة ، وأغضب خلال شهر واحد أربعة عشر قرناً في شراء ليون نصيب أظفارها ، وكسب إلى (روان) في طيب ثوب من الكشمير الأزرق ، واغترب شاك من أديم ثلثات «نوي» ، واعتادت أن تعبد حول حجرها على الثوب الكشمير ، ثم تغيب الوقل ، وتستلقي في هد الري على أريكة ، وفي يدها كتاب ! كثيراً ما أحدث تدن طريقة تصعب شعرها ، فأحياناً تصعب على الطريقة العسة ، أو ترسل في حصيلاب رخوة مجدها في ضمائر ، أو تفرقه على جانب الرأس مقصوفاً من أسهل كما يفعل الرجال !

وارادت أن تتعلم الإيطالية فتأتمت معاجم وكتبا في البحر ، وكعبة من الورق الأبيض وجريت الفراء الجديدة في التاريج والعصافه وككن «شارب» يستعظ مجعلاً في أثناء النيل أحياناً ، ظاناً أن أحداً يتأذى لإسعاف مريض ، ويعمم «ها أند قدم» ، ثم يملأ إلى أن ما سمع لم يكن سوى صوت هود من نقاب أشمته «لينا» تنوء المصباح ! ولكن مرأته لم تكن أسعد حقاً من نظيرتها كلها لم تحظ بأكثر من الخيط الأولي ، ثم كانت

تلقى بها في الصوان ، وتشرع في تطير غيرها ، لتلقي بها بدورها وهكذا ثم تكرر تشرع في قراءة كتاب حتى تطرحه جانباً وتتاوله سواه !

ثم كانت تتولاه رويات من السهل أنه تساق معها إلى ارتكاب أية حماقة فقد اقترع زوجها يوماً بأنها تستطيع أن تشرب كأساً كبيرة من «البراندي» ، وإذا كان «شارل» من أحقق بحيث قبل هذا التحدي ، فقد وفدت ما كان في الكأس حتى آخر قطرة ! وبالرغم من تصرفاتها الشرقة - كما كانت رويات «اليوت في (أيوستيل) يصعبها - فإن «لينا» لم تكن تجد مرحلة ، بل كان يصف بجانبها عاده ذلك التقص الجامد الذي يتأب وجوه القواس ، والرجال ذوي الطروح الخائب ! - واشتد بها الشجوب حتى عذب كالقرب لأبيض ، وأصبح جند أفعها مشدوداً عند المنحيز ، وضبت عياها رانمين ، وراحت تكثر من الحديث عن شجوعها ، بعد أن اكتشفت ثلاث شعرات يضاء في مرقها !

وكثيراً ما كانت تصاب بالإعياء ، حتى إنها بصقت دماً ذات يوم وعندما أخذ «شارل» يروح ويحيى - حولها في اهتمام يسم عن فق ، فالت له «آه» وما أهمته «ها» ؟ فأسرع «شارل» إلى مكتبه وانخرط في البكاء ، وقد اتكأ بحرقه على مكتبه وهو حائس في مقعده تحت عبور الجهر العصبي . ثم كتب إلى أمه يسألها أن تحضر ، وراحا يعمدان معاً لأحداث الطويلة ، ويتبادلان الرأي بشأن «لينا» وفيما يبيخي أنه يتجدها - وما الذي يبيخي فعله ما دامت ترفض كل علاج طبي ؟ وفالت مدام «بولاري» لأم «ألفريد» ما الذي يلزم روجش ؟ إنها تحتاج إلى أن يسهل في عمل يدوي يشغلها ولما أنها كانت مضطرة - كتكثيرات غيرها - إلى كسب عيشها ، لما رآودتها هذه لأوهام التي تشدها من كثير من الأفكار التي تحشد بها رأسها ، ومن البطالة التي تعش منها . - فقال «شارل» : «فولكنها دائماً مشغولة»

- آه ، حقاً مشغولة بماذا ؟ قرء الروايات ، والكسب الساذج ، والمصنات الموضوعة ضد الدين ، والتي يسبح مؤلفوها من القس بأقوال

مقتبسة عن «فولتير» (١٧٤٥) . كل هذه يشتت العقل يا سي المسكين ! وأي إنسان يلا دين لا يد أن ينتهي أسوأ نهاية !

وهكذا استقر الرأي على منح «إيماء» من مرة الروايات . ولم يكن الأمر هيناً ، ولكن السيدة تعهدت بالأمر ، ورأت أن تذهب بنفسها إلى متعهد الكتب . عند مرورهم بروان - فمجبيرة بأن «إيماء» أوقفت اشتركتها . ومن ثم كان الوداع بين الخصاة وروحة ابنتها فاتراً . لم تكونا خلال لأصابع الثلاثة التي قضتها معاً قد تبادلت ست كلمات ، سوى الأسئلة والعبارات التي كانت تتبادلها على المائدة ، وقبل اللجوء إلى الفراش ليلاً .

كانت «إيماء» تنكح على حافة المائدة ، على محور ما كانت تفعل في كثير من الأحيان . فبالفائدة تحمل في الربيع محل المسرح والسرعة . . وفيما هي تسلي بمنحده حشد من الأجلال ، رأت سيداً في سترة طويلة من القميص الأخضر ، وفي يده قفازان أصفران . وكان يسمى محور مترون الطبيب ، يتبعه ملاح يسير مطاطي الرأس . يادي الاستغراق في التفكير . وقال الرجل يسلل «جوستان» - الذي كان يتحدث إلى «فيليسيتيه» عند دويجات المدخل - وقد ظنه خادماً في المنزل : «هل يستطيع أن أقابل العبد» ؟ قل له إن السيد «روجرولف بولانجيه» عن (الاهلثيت) هنا . .

وأقبل «شارل» على القرفة ، فقدم إليه السيد «بولانجيه» رفيقه الذي كان يريد أن يقصده لأنه كان يحسن «بنتامين يسري» في كل جسمه . . وقال الرجل يعارض كل حجة «مسرف يطهرني هذا» . ومن ثم أمر «شارل» بضماطة روعه . سأله «جوستان» أن يسكنه له ، ثم قال للعلاج الذي شحبه لونه . «لا تخف يا بني» . فقال الآخر : «لا ، يا سيدي» هيا . وفي تظاهر باجترأ ، مد ذراعه الفصحى . وبوخرة من ابيضع ، انبثق الدم مناهضاً يديه ، هتفت «شارل» . اقرب العوام . . . شما قال للعلاج . «يا إلهي . . . إن

(٥) فرسوا لوتير (١٦٩١ - ١٧٧٨) مؤلف درسي ، رجم حركة الفلمنة الثانية ، قوم رجال السلطة الدينية والدينية وخدمهم بقلمه اللامع .

لوه لحسبها مافورة صغيرة . ما أشد حمرة دمي ! إنها دلالة طية البيت كذلك ؟ ! .

فقال الطبيب : «إنه امرء لا يشعر بشيء في البداية - أحياناً - ثم يواتيه الإغماء فيما بعد ، ولا سيما ذوي البنية القوية كهذا الرجل» . وبعد هذه الكلمات ، أفتت العلاج الكيس الذي كان يعيث به بين أصابعه . وطقق ظهر المقعد ، إذ سرت في كفيه رعدة . وسقطت صيته ، فقال «بولفاري» وهو يضبط الوريد بأصبعه . «لقد ترفعت هذا» . وأخذ برعاء بهتر بين يدي «جوستان» . «وارتجعت وكسبها» ، وشحب لونه ، فنادى «شارل» . «هيا . هيا» ، وهبطت السلم في وثبة واحدة ، فصاح «بعض الخلل يا إلهي» ! اتان في وقت واحد . . وتمنقر عليه - لفرط اتصاله - أن يضع الكمامة !

وقال السيد «بولانجيه» في هدوء وهو يسلك بدماع «جوستان» ويحمله على المائدة وظهره إلى الحائط . «ما هذا بشيء» ! . ورحلت صدم «بولفاري» تحلح عه رباط رقبته . واعتقد الشريط الذي يضم فتحة قميصه ، فثلث دقائق تحرك أصابعها الرقيقة حول عنق العنق ، ثم سكبت بعض الخل على مدينتها ووطبت صدغيه بدمسات خضرة وراحت تنعش فيه برفق . وما لبث العلاج أن أفاق ، ولكن إغماء «جوستان» طال ، واختفت حذته في يافض عييه كما تعبد الزهور الزرقاء في الدن . . فقال «شارل» : «يجب أن يسحب هذا» . فتأوت صدام «بولفاري» الروع . لتضعه تحت المائدة . ولما تحركت صبحية ، انشر حولها . على بلاط الغرفة - ثوبها . وكان ثوباً صبيحياً أصفر ، ذا أربعة «كراش» وخضمر طويل ودين واسع . وقرنحت «إيماء» قليلاً وهي مضمجة فسقطت ذراعها ، فالتفت القماش حول صدرها ، ميباً صماته . ثم ذهبت لتحضر يبرق ماء ، وفيما كانت تدببه بعض مطح السكر فيه ، وصل الصيدلي ، وكانت الخادم قد ذهبت في غمرة الارتباك لاستدعائه ، وما إن رأى عيني تلمبه تحمقاً ، حتى تكس الصدء ، ثم ذهب إليه فحلق فيه من رأسه إلى قدمه وقال . «معمل . . . معمل كبير . . . كاشي بالحمامة جميلة

خطيرة ، اليس كذلك ؟! أفهكذا يتحول الصيد الذي لا يحصى شيئاً إلى متجانب من السرح الذي يتسلق إلى ارتفاعات شاهقة بشفق بعض الينبى ؟! أي مص ، تكلم وأطرب مروها في مدرج نيك ؟! . يا لها من استعدادات طيبة لممارسة الصيدلية فيما بعد ! إنك قد تستلهم في ظروف خطيرة إلى الهالك لتسير أدهال القضاة ، وإذ ذاك يستحم عليك أن تحتفظ برباطة جأشك وقوة حجتك ، وأن تظهر بمظهر الرجل . . . ألا كنت أبه ؟!

ولم يجب «جوستاك» فاستطرد الصيدلي - «من سألك أن تخسر؟ إنك لشغل دائماً على السيد والسيدة ، فضلاً عن أنني لا أستعصي عنك في أيام الأربعاء ، هي الجنوب الآن مشروب شخصاً ، وقد تركت كل شيء وحضرت نظراً لاهتمامي بأمرك ، فهياً ، انصبر ! عجل ! انظرني هناك ، وانتبه للقوارير» وما إن انصرف «جوستاك» - بعد أن سوى ثيابه - حتى أخذوا يتحدثون بعض الوقت عن بويات لإغشاء ، فرغت مدام «بولفاري» أنها لم تفقد قط وعيها . فقال السيد «بولفاري» «هذا عجيب بالنسبة إلى سيدة ! . على أن بعض الناس شديد الحساسية ، فقد رأيت - في إحدى المباررات - شاهداً يفقد وعيه بمجرد سماعه صوت حشر المسممات !

وقال الصيدلي «إن مرأي دماء العير لا تؤثر في» - شخصياً - على الإحلاق ، ولكن مجرد التفكير في أن دمي يسيل كاف لأن يفقدني الوعي لو ناديت في التفكير ؟! . وحدث سرح السيد «بولفاري» خادمه «موصياً» به بأن يهدئ من جأشه بعد أن نتخلص من وحمه» ثم أضاف «إنه قد أناح لي مرصه التعرف بكم» ونظر نحو «إيتا» حين قال ذلك ، ثم وضع ثلاثة فرنكات على ركن من المائدة ، وانحس في غير أكثراك ، وانصرف وسرعان ما كان مطلقاً على الضفة «لأخرى للنهر» في طريقه إلى «لاهانشيت» ورأته «إيتا» يسير في المرحى تحت أشجار الحور ، وهو يتمهل بين أن وآخر كما لو كان يفكر . . .

كان يحدث معه بهذه الخواطر ، «إنها لطيفة جداً . . . بطيئة جداً . . . روجه الملبب هذه ! أسنان بنهمة ، وعينان سوداوان ، وقدمتان صغيرتان ، وقوام

تقوام الهاربيات من أين جاءت بحق الشيطان من أين حظي بها هذا الرجل البدين ؟!

كان «رودولف بولانجي» في الرابعة والثلاثين من عمره ، ذا مزاج عفيف ، وذكره نادر ، وقد غالط كثيراً من النساء حتى غدا حبيراً بهن ، ومن ثم لاحظت له هذه المرأة حميلة ، مزاج يصكر فيها وفي زوجها . ويقول لنفسه . «أعتقد أنه مخجل» ، وأنها قد ستمته ولا ريب ، فإن أظفاره قذرة ، وحيته دم تحلق عند ثلاثة أيام ، ويشتا يطبق لعبادة مرصه ، يحكف هي على رفق الحواير ، فلا تلت أن تسأم ! . ولا يد أنه تنوق لكى المدية ، رقص «البولكا» كل مساء يا للمرأة المسكينة ! كأنني بها تتعطش إلى الحب كما تتعطش السمكة إلى الماء فوق مائدة المطبخ ! وأن نلتاً من كمحات العبره لكافية لأن تجعلها تمسك الزر ، إنني واثق من ذلك ! وسوف نكون رقيقة ، فأنه أجل ، ولكن كيف السبيل إلى التخلص منه بعد ذلك ؟!

غير أن متاعب الله التي تراءت له جعلته يقلب إلى التفكير في عيشته على سبيل المقارنة كانت مثله في (رواي) ، وقد استجدها نفسه وأحد يعولها . وما إن أخذ يتأمل صورته - على صهبة ذاكرته - حتى أحس بجلوة رغبته نحمد فقال لنفسه «آه ! إن مقام بولفاري أجمل منها ، وأكثر مصرية بوجه خاص فنفد بلدان فوجييا جميل إلى المدينة بالتأكيد وهي امرأة من النسير إرضه رغبته» ثم إنها ذات ولع جنوبي بجزر البحر !

وها كانت الحفول خالية من الناس ، لم يكن رودولف يسمع حوله سوى خشخشة الأعشاب عندما تحتك بحذائه مع خطواته المنتظمة . . . وهاد يتحلق صورة «إيتا» في الحجرة ، وفي الثوب الذي راحه - ثم شرع يخلع عنها ثيابه في خياله ! وصاح وهو يعتق قطعة متداسكة من الطين بقصره من عصبه : «آه . . . لسوف أنالها» . . . وشرع لفورده يدرس الأسلوب «السيامي» للممارسة ، فسامل معه «أبي لتقي» و«أبي الوستار» ؟ لسوف تضامنا دائماً الطمعة ، والخادم ، والجيرك ، والزوج ، وكل هذه الهشوم . آه ! . إن

المرء معرض لأن يضيع كثيراً من الوقت في كل ذلك . . ثم عاد يقول : إن لها في خلق عيين تحترقان قلب المرء كالشهاب . . وبها لشعوب يشترها !  
إنني أشقى الشاحدين !

وصداً بلغ قمة تلال (الرجي) كان دعه قد استقر على امره ، فقال : «م  
يقب إلى أتعصم المعرض حساً ، وسأطلب أحجامة نفسي لو استدعى  
الأمر . . . ولن يلبث أن يغدر أصدقائه ، فأدعوهم إلى صرلي» ثم أضاف  
«صرحي» إن المعرض الزراعي عمداً قريب ، وسوف تزوره فأرأها هناك  
وليداً في جملته ، فهذه تضمن الطرق للوصول !!

- ٨ -

حان أخيراً موعد المعرض الزراعي الذي شاع ذكره . وفي صباح يوم  
الاقتراح ، وقف جميع أهل (أبونفيل) على أبواب منازلهم يتحدثون عن  
الاستعدادات . كانت واجهة مبنى البلدية قد رست بصروح بات الاندلاب ،  
وأقيم مرادق في أحد المروج للعادية . أمام الكبة - في وسط الميدان -  
نصب مدفع من النوع الذي يحدث قرعة ، للإعلان عن وصول مدير  
المقاطعة ، وتحية أسماء المرشحين القائمين بحوائز . وبعد الحرس الوطني من  
(بوشي) - إذ لم يكن في (أبونفيل) حرس - ليضم إلى فريق رجال الإطعام  
الذين كان يهيئهم يرأسهم . وقد ارتدى في ذلك اليوم ياقة أعلى من باقيه  
العادية ، وشدت الأزرار مشوته حول جسمه إلى درجة أحاط جده إلى كتلة  
منجية لا تتحرك ، فيما كما لو كان الجزء الحي من جسمه كله قد عبط إلى  
ساقيه اللتين كانتا ترتفعان في خطوات زينة على يديهما . ولما كانت  
ثمة مناسبة بين محصل الضرائب ومباطئ الحرس الوطني ، فقد أخذ كل منهما  
يقوم بمسارات مع وجاله - على حدة - ليظهر مواهبه فكان المرء يرى  
لأشطره الحمراء والشاربات السوداء تزوح وتعدو بالتناوب ، دون أن يكون لهما  
المعرض من نهاية ! . وبدا أنه لم ير في قرية (أبونفيل) عرض للألوية والعظمة  
مثل هذا من قبل !

وأحدث الجماهير تنوهد من مختلف أنحاء القرية على الشارع الكبير ،  
متدعة من الأرق والدروب والبيوت . ومن وقت إلى آخر ، كان المرء يسمع  
ارتطام الأبواب وهي تغلق وراء السموه اللاتي يخرجن من دورهن - وقد  
ارتدبن قصائرن - يسعين إلى مشاهدة الاحتفال . وكان أشد ما حاز  
الإعجاب ، حاملان طربلان وحوايا ماصييح ، وقد حُفّا بمنصة أهدت لجلوس  
دوي العود . وإلى جانب ذلك ، أقيمت حول أعمدة دار البلدية أربع موائم  
تعمل كل منها عمداً صغيراً من قماش يميل لونه إلى الخضرة ، نقشت عليه  
كلمات بحروف ذهبية . وقد كتب على العلم لأول «إلى التجارة» وعلى  
الثاني «إلى الزراعة» ، وعلى الثالث «إلى الصناعة» ، وعلى الرابع «إلى  
العلوم الجميلة»

وكان الحبور الذي أشرف به الرجوة جميعاً قد انقلب تمهلاً على وجهه  
مدام «لوفرانسو» ، صاحبه الصدق ، إذ راحت تلمس لنفسها ، وهي واقعة على  
درجات مطبخها ذياً للحفاته . يا للسحاب ! . هذا السراشق من القماش  
السميك الخشن ! هل يظنون أن منظر الإقليم سيمتط يتناول العشاء تحت  
هذه الخليعة كسهرج السيوك؟ ! هل يسمون هذا العمل المستهجن خدمة  
لصالح البلدة؟ . ومر بها الصيدي إذ ذاك ، وكان يرتدي سترة سوداء ،  
ويطربوا من الحفل القطني ، وحدايين من نسج القراء . ومن العجيب أنه  
كلان يلمس طرق هذا قبعة ذات قبة مسطحة !

وقال «مريم» صاحبة العندق «اندي لي ! معدرة ، فإني على  
عجل !» . إذ سألته الأرملة البديلة إلى أين هو ذاهب ، أجاب : «إن الأمر  
يدور لك عرباً . . . اليس كذلك؟» . أن الذي أظن حبيساً في معلمي أكثر من  
هنا الحفل في جبه ! . سألته «إي جين؟» فتابع حديثه قائلاً : «آه ، لا  
شيء ! لا شيء !» . إنما أردت أن أنشد يا مدام «لوفرانسو» يا بني أعيش في  
بيتي عادة كالسالمك ، أما اليوم ، فمن الضروري ، بحكم الظروف ،  
فقطعت في ازدياد . آه أنت ذاهب إلى هناك !» ، فأجاب الصيدي في

دهشة «أجل ، أن ذاهب .. أولست عضواً في اللجنة الاستشارية»

وحدثت فيه «الأم» «الفرنسوا» يصعب لحظات ، لم قالت في النهاية وهي تنسم «هذا وضع آخر ولكن ، يوم تهلك الزوادة؟ أنهم بها شيئاً؟»

- بالتأكيد - . إنني أنفهمها ما حدثت صيدلاً . أي كيميائياً

ولم تحرك صاحبة الصنف عينيها عن «القفى المرسي» ، بينما مضى الصيدلي قائلاً إنني لأدعو الله أن يكون كل المشتغلين بالزراعة عبداً كيميائين ، أو أن يولوا مجالس العلم اهتماماً ، على الأقل . فأننا مثلاً قد آلت أخيراً كتباً لا بأس به مذكورة في أكثر من اثنتي وسبعين صفحة ، بعنوان «شراب الشفاح» (السلو) ، صنعه وتأثيره . مع بعض الأفكار الجديدة في الموضوع . وأرسلتها إلى الجمعية الزراعية في (روان) ، فكانت سيئاً في أن حظيت بشرف الانضمام إلى عضويتها . في قسم الزراعة ، وفي المربع الخاص برعاية العواكة . ولوان مؤلفي هذا أتبع لجمهور . . .

على أن الصيدلي أسكتها عن الكلام ، إذ بدا أنه مدام «الفرنسوا» كانت في شغل عنه . ثم قال أخيراً «الآنظر إليهم؟ شيء غير مفهوم» .

هذه الحالة الحقةرة ! وهرت كتعيا في حركة أزعجت عن جسمها الصلابة الصوفي ، وأشارت بكتف يديها إلى حانة صامها ، التي كانت تبعث منها أصوات تعوي ثم أصافت قائلة «في يوم هذا أمداً طويلاً ، على أية حال ، وسيتهي كل شيء قبل أسبوع» . تراجع فهو فيه «مذهولاً» ، بينما هبطت ثلاث درجات لتهمس في أذنه «امداد ! ألا تعلم هذا؟ هناك حجر سيوقع في الأسبوع المقبل ، و«لوريه» هو الذي سيسبب في بيع الحانة ، إذ نفي عليه بدفع قيمه الصكوك» ، فصاح الصيدلي الذي كان يجد ذاتاً من التغيرات ما يتعشى مع كل مناسبة يمكن تصورها . «يا لها من نكبة عظيمة»

وعندما شرحت صاحبة الصنف بروي له القصة التي كانت قد سمعتها من «ثيودور» - حادم السيد «جورمان» - ومع أنها كانت تتعشى «تلقسه» ، إلا أنها راحت تحكي باللوم على «لوريه» واصفة بيا أنه غشاش دنيء ! وقالت -

«ها هوذا ! انظر إليه ، إنه في السوق ، يحسب لدام «بوفاري» التي ترتدي صيحه حضراء عجباً ، إنها تأخذ بدراع السيد «بولانيه» - فهو هوبه

«مدام بوفاري» يجب أن أحب موداً فأقدم لها احتراماتي لعلها سر جداً بأن تحصل على مقعد في الحلبة «تحت الرواق» . ولم يلق الصيدلي بالآ إلى الأم «الفرنسوا» التي أخذت تناديه لكي تنسحب له في القصص ، بل ابتعد في خطوة سريعة ، وعلى شفته ابتسامة ، وراح يسبح في الانشغال بمنة وسرة مروعاً للتحبات وديل شتره السود يطير مع الريح من خلفه ، شاغلاً مرعاً كبيراً . لكن «رودولف» لمع من بعيد ، فراح يعد السير وهو يجذب مرافقته معه ، ولكن أنفاس مدام «بوفاري» تقطعت ، فاضطر إلى أن يتباطأ ، وقال في لهجة جافة وهو يتنسم «ما هذا إلا لكي نمر من هذا الرجل البدين

الصيدلي» كما تعلمين ! . فاضطرت مرقه . فسألها وهو يرمقها من طرف عينه «ما معنى هذا؟» وكانت حصة وجهها هادئة ، لأنهم عن شيء ، وقد برزت من إطار فقسوتها البشوية الشكل ، التي كانت مردانة بأشرطة باعثة تشبه أوراق البوصي وكانت عينها - بأهدابها الطويلة المقومة - تنظران إلى الأمام في حيط مستقيم ومع أنهما كانتا مفتوحتين على رصعهما ، إلا أنهما لاحتا متوازيين بعض الشيء ، كما لو كانتا جثاه تدعمانهما ، وقد راح الدم يسري برفق تحت بشرتهما الرقيقة . . . وعلى طول الحاجر فلدي كان يتوسط فتحتي أنفها ، «مد خط ودي» وكان رأسها يميل على إحدى كتفيها ، كما كانت الأطراف اللبوية لأسانها البيضاء ترى من بين شعيتها !

وسأله «رودولف» نفسه «أفراها تسعرتني؟» غير أن الحركة التي بدت من «لورا» لم تكن ترمي إلا إلى شبيهه ، فقد كان السيد «لوريه» يرافقهما ، وكان يتكلم بين آن وآخر ، وكأنه يريد أن يندمج معهما في الحديث . وما لبث أن قال «يا له من يوم رائع ! لقد عانوا لجميع دورهم ! إن الرياح تهب من الشرق !» ولم ترد عليه مدام بوفاري ، ولا رودولف بكلمة ، بينما كان هو يقرب منهما عند أية حركة تبرز منهما ويقول «معدرة !» ويرفع قبعة !



حتى إذا بلغوا منزل البطار، لم يمضوا في الطريق العامة حتى الاحاجر، بل انصرف رودولف عجأة إلى طريق ضيقة، ساجاً معه مدام بولفاري، وهو يهتف: «هم مساء يا مسير لوريه!... إلى اللقاء!».

وقالت «إيما» ضاحكة: «أما أبرح ما تحلست منه!» فقفت قائلاً: «ولماذا يترك المرء نفسه هزقة لأن يظن فيه الآخرين؟» ولما كت اليوم مسعيداً بأن أكون معك...».

وتفصح وحده «إيما». ولهم يتم روده ونقه عيانه، بل تحول يتحدث عن جمال البحر، ولده الغير على العشب، وكانت بعض زهرات «المرغريت» قد استوت على سيمانها فقال «ها هي دي بعض زهور «المرغريت» البديعة بيشر بعيد الفصح». وها هو ذا عدد منها يكمي لتقديم الزوارب لجميع العذارى العاشقات في المنطقة! ثم أضاف: «هل أنتظف بعضهن!»... «ها رأيك؟» فتهدت قائلة: «وهل أنت عاشق؟» فأجاب رودولف: «آ... من يلزي!..».

وكان موعد محضر المعروضات قد حان، فأخذت ملاحون يدخلون - واحد بعد آخر - إلى ما يشبه حبة سباق، يعدها حبل طويل شد إلى عصى وكانت «عاشية» فريش هاك وأولها موحية نحو حبل، وقد اصعدت في مجموعات غير متساوية ولا منتظمة، وحياطم الخناير التشابه مدسوسة في لأرض، والمجول تحور، والنجاج ثمو، والأبقار تمد بطونها على الجبل وقد ثنت قوائمها تحنها، وهي تحتر في بطء، وجعفرها الثقيلة محتج من الدباب الذي كان يحوم حولها في طير والحدوية قد شروا عن سواهم يشدون أعنة أحياء الجمحة التي راحت تصيل - متسخة الحياشيم - وهي تنظر نحو أنثها التي وقفت هادئة، قد أحاطت، وأمرافها متدبة، يتما كانت وأمهارة مستكبة في ظلالها، تقبل على رضاع مهابين آن وآخر - وفوق هذا الخضم الراخر من الأجسام المكسمة، كانت ترتفع في الهواء أوراق يصدم كيانها الموجات، أو سرر قروء حادة، أو رؤوس رجال يجرون حولها

وخارج الحلبة وقف - على بعد نحو مائة خطوة - نور أسود ضخم، مكتم في أنفه يحلقه من حديد - وهو لا يتحرك، كأنه صيغ من البرونز، بينما ألكه يحبل أطفال في أسماك بالية..

وبين الصدين سار أعضاء اللجة بحلى تقنية، يصحرون كل حيوان، ثم يستثير كل منهم الآخر في صوت خفص، وقد أخذ واحد منهم - كان يبدو أهم من الآخرين مكانة - في تدوين بعض «ملاحظات» من وقت إلى آخر. ذلك كان السيد «ديرووراي دي لافظيل»، رئيس المحكمين... وها إن رأى رودولف حتى أسرع متعسماً منه، وانضم في ود قائلاً: «ما هذا يا سيد بولافييه أنتحلي حان؟» - «ها هو رودولف بأنه قد وصل لثوء، ولكن، ما إذ انصرف الرئيس حتى قال لإيما: «أحسب أنني لن أذهب» فإن صحبتك خير من صحته! - وكان يبرز بطافته الرقاه لرجال الشرطة - يسير في يسر - وهو يسخر من للعرض - وكان يقف أحياناً أمام حيوان بديع، لا يروى لمدام بولفاري على الإطلاق، فمما فطى إلى دست، تحوّل يرسل الكات الساحرة عن سذات (أبوليل) وأزياتهن، ثم انقلب يمدد عينا في ربه من إهمال، إذ كان حلقاً من المتدل والأنيق معاً، يرى فيه عانة الناس دليلاً على عراة في الطماع، واضطراب في الإحساس، ومخالفة في العرس، ودالماً... نوعاً من الاستهداف بالمعدات الاجتماعية المألوفة، ما يفتهم أو يعظهم!

وعاد بديع الكلام قائلاً: «ثم إن المرء حين يكون مقيماً في الريف...» فقالت إيما: «إنها مضيعة للوقت»، فأجاب «هذا حق» - نصوري أن أحداً من هؤلاء الناس لا يستطيع أن يفهم حتى طراز سترته! - ثم دار الحديث عن الريف الكثيب، وب يقص فيه من أصوار، وسيل من أمال - فقال رودولف: «هنا لب تعمري الكأبة» - فمعبت مذهولة «أنت؟» - طنتك شديد السعادة!

- آه أجل هكذا أبدو، لأشي أعرف كيف أحصي وجهي وراء قناع ساحر، وسط المجتمع... ومع ذلك، فكم ساءلت نفسي حين كنت أرى مقبرة

في ضوء القمر ، أليس من الخبير أن أشارك أهلها في سباتهم ؟

عجبت «أراه ؟ وأصدفك ؟ أأنت تفكر فيهم ؟» فقال  
«أصدقائي ؟ أي أصدقاء ؟ هل لي أصدقاء ؟» من يجعل بي ؟  
وأردف بصغير خاف من بين شعبي - لكن ما لي أن اضطرأ إلى الاتصال ،  
كل من الآخر ، سبب حمل كبير من المقاعد كان أحد الرجال يرفعه  
خلفهم - وكان من الكثرة بحيث لم يكن لي وسع الرحل أن يرى مقدم  
جدايه الخشبي ، أو نهاية دراعيه البوفتي - وكان هذا الرجل هو  
«ليسيبيدوا» ، حمار القبور ، وقد حمل معه الكنية ، وأخذ يحوس بين  
الناس ، إذ كان يشبه الدهن في كل ما يعود عليه بالجمع ، وقد طعن إلى هذه  
الطريقة للإمضاء من الممرض ، وصدمت فكره فجاءها ، إذ تكاثرت عليه  
الطلبات حتى لم يعد يقدر أيها يعجب . والواقع أن القرويين الذين يرح بهم  
التمتع ، أهدوا يتشاجرون من أجل هذه المقاعد التي كان عبر البحور يعوج  
من قشها ، ويصلحون على مساند السيكة - المنسجة بدهن الشمع - في  
زهر وخيلاء !

وعادت مدم بولدي فأمسكت بدراع «أرودوب» الذي كان ماضياً في  
الحديث ، وكأنه يكلم نفسه «أجل ، كم أخبرت من أشياء قاناً وحيد على  
الدوام ! آه ، لو كان لي هدف في الحياة ! لو أنني بقيت شيئاً من  
الحب لو أنني البقيت بشخص يعطف علي ! ما كان أحزاني إذ ذاك أن  
أذل كل ما أوتيت من طائفة ، وأن أدنل كل شيء !» وأن تغلب على كل  
شيء . «مقالت «ومع ذلك ، إنك لا تدعو في حال تدعو لغيره !» ..  
قال «آه أأرهنا ظنك بي ؟» فاستطردف قائلاً «لأنت قبل كل شيء ..  
حر .. وتردد ، ثم أردفت «وعني» فأجاب «الاستحري  
مي» ويوماً كانت تؤكد أنها لا تسخر ، دوت طلقة مدفع ، مود الجميع  
ينطلقون متدافعين في هرج سحر بقره ولكن الشيء كان قد بدأ ، فإن مدير  
الإقليم لم يكن قد حضر ، وغمر أعضاء هذه التحكيم بالحيرة ، إذ كانوا لا

يشعرون أيادون الحقل ، ألم ينتظرون أمداً آخر

وأخيراً ، ظهرت في أقصى المياه عربة كبيرة مستأجرة - من الطراز المعلق  
الجوب - يجرها حوادق هريلال ، يسوطهما حودي شعة بيضاء نكل قوته  
ولكن ركب المدير كان قد توقع الرحام مقدماً ، فحفظ الحوادق من  
سرعتها ، ووصل على ركب أعتهم إلى منصف المدينة ، في اللحظة التي هم  
فيها تجمع الحرس الوطني ورفيق الإطفاء ، ومن ثم أخذوا يدعون الطبول ،  
ويطعمون خطواتهم وبعد أن ارتفعت البنادق بالتحية ، وانطلقت الموسيقى  
كوبين وعدة نحاسي يحذر على سبم ، خضعت البنادق من جديد . وإذ ذاك ،  
هادر العربة سيد في حلة ذات سترة قصيرة موشاة بحيوط فضية - وكان  
أصلع في مقدمة رأسه ، ويضع شعراً مستعاراً في مؤخرتها ، راح يعم النظر  
في الحماهير ، راعياً - في الوقت ذاته - أنه الحاد - رأساً على فمه الصغر  
بتسامة - وعرف الرجل العمدة من وشاحه ، فأوضح له أن مدير الإقليم لم  
يتمكن من الحضور ، وأنه هو مثله الإقليم . ثم أردف موداً بعض الأعداد ،  
مرد البس «توماش» - العملة - بعض الجملات .. وبدا على الآخر  
الارتباك ! وظلا واقعين وجهاً لوجه ، فكاد جهنهما أن تلامس ، وحبهما  
أعضاء لجنة التحكيم والنسب البدي ، والأهليان ، والحرس الوطني ،  
والجمهور - وكرر المنابر اجتماعاته بالتحية ، وهو يصم إلى صدره قبضه  
الصغيرة السوداء الثلاثية الجوب ، ييمسح بيده «توماش» كالكوس ، ويبسم  
هو الآخر ، وتعثم إذ حاول أن يقوى شيئاً ، ثم أكد ولامه للملكة ، وأعرب  
عن الشرف الذي أتبع لأيونيل بإقامة هذا المعرض !

وأحد «هيبرليت» - مالبس الفص - هاني اخوابين من الحودي ،  
وقادهم ، وهو يهرج بقدمة المشوهة إلى باب «الأسد الذهبي» ، حيث تجمع  
عدد من الملاحين يتأملون العربة - ودقت الطبول ، ودنرت المدفع ، وتقاطر  
السادة صاعدين منصة لتناول المقاعد الخمر ، التي أعادتها مدم «توماش»  
لمحتللي

## للحرب والصناعة والتجارة والزراعة والفتون الجميلة!

وعند ذلك قال رودولف: «يجب أن أرتدّ قنبلاً إلى الوراء» فقالت إنها «لماذا؟» وفي مثلث النخطة، ارتفع صوت المستشار فوق المألوف، وهو يقول: «لقد مضى أيها السادة ذلك الرمز الذي كان الشقاق بين المواطنين، يُلطّخ المبادئ العامة، بالدماء، والذي كان فيه، صانح الأعمال، والمعامل نفسه، يأوون إلى مضاجعهم ليغموا بالدم، وهم يرتفعون خشية أن يستيقظ فجأة، عن صجيج غربات الحريق، والذي كسب فيه أعنف الياقي الهدامه ذلك في جزء جميع لأسر».

وعند رودولف يتابع الكلام: «أحد يلصحي أحد، فاضطر عندئذ إلى أن أظل أسبوعين أنتحل الأعذار فضلاً عن أن سمعتي سببه» فقالت إنها «إنك تطلم نفسك!» قال: «لا إنها سببه أؤكد لك!» ومضى المستشار يقول: «عسى أنني حين أنهي من الذكرة هذه العصور الخائكة - أيها السادة - أنتقل ببصري إلى لأجوار الراحة في وقتا العرير - عمدا أرى؟ في كل مكان تردهر التسجارة والفتون، وفي كل مكان طرق جفيدة للمواصلات، كأنها شرايين حديثة في جسد الدولة، تقيم في أرجائها علاقات حديثة وقد اسأفت مراكز الصنعية الكبرى شاطئها - والذين - الذي ازدهر وحده وتوطأ - يسم في كل قبب وموانئ مينة، والفتنة قد بشت من جديد... وفوتنا قد هادت تنفس!».

واسأفت رودولف الحديث: «الواقع أنهم ربما كانوا - من وجهة نظر المجتمع - على حق!» فقالت إنها: «كيف ذلك؟» قال: «الأسر بيط إلا تعلمين أن هناك عروفاً مفتاة تمش في عقاب حاتم، وأن لا بد لها من أن تتقلب بالنسب بين اللحم والعمل - بين المواطن والمساسية البيل وبين الشهوات، المتطرفة المك، ومن ثم نلقي بأنفسها في جميع ألوان الأهواء والمخامات؟» فنظرت إليه كما ينظر المرء إلى رحالة ارتاد بلاداً غريبة، وقالت: «نحن النساء اللواتي لا نملك حتى هذه الأشياء!» فقال: «ولها

ووقفت زوجات السادة جلهم، بين الأعمدة، بينما استند الجمهور في الناحية المقابلة، بين رفوف وجلوس على المقاعد، إذ كان «يستبيدون» قد نقل جميع المقاعد من الطرح إلى هناك، وراح يجري حصة الوقت ليحصر من الكنيسة غيرها - ومنب مشاطة التجاري هذا أرباباً جص بلوغ سلم الحصة أمراً عسيراً! وقال «لوريه» لصيدلي، إذ مر به ذاهباً إلى المكان، لخصص له قسي رأيه أنه كان من الواجب عليهم أن يعموا صاراين عن طرار اليدوية، بحملان بعض الرينة الرقيقة، حتى يصبح منظر متعة للعين - حاجاب هومي - «هذا حق - ولكن، ماذا كنت تتوقع وقد استأثر العمدة بالإنسراف على كل شيء - لكم هو محدود الذوق هذا «التوقش» - سكين - بل إنه محروم» يسمى عصرية النمل!

في تلك الأثناء، كان «رودولف» قد صعد مع صدم يوفاري، إلى قاعة الاجتماعات في الطابق الأول من مبنى البلدية - ولما كانت القاعة خالية، فقد قال إن في وسعهما أن يستمتا بالفرجة منها وهما مستريحان وحمل ثلاثة مقاعد من حوز المائدة البيضاوية ومن أسفل التمثال النصفي لسميث، ووضعها على مقربة من إحدى النوافذ، ثم جلسا متجاورين - وكانت قمة جنية فوق المنصة - وهما طويقة، ومعاوضات - وأخيراً وقف السد المستشار، فمرف الجمهور إذ ذاك أنه يدهي «الببقان»، وسرى الاسم بين الجمع، من شخص إلى آخر - وبعد أن أخرج بضع أوراق، وادحى عليها ليراف بوضوح، شرع يقول: «سأدعي اسمحو لي أولاً ومن أن أحدكم من العرض من اجتماع اليوم أن أقر بالفضل - ولنا وثائق من أنكم مشاطروني هذا الشعور - للحكومة - نعمتك - لذلك أيها السادة... هذا المذبح المحبوب الذي لا تمتع من اهتمامه ماحية من بواحي الرضاء العام أو الخاص، والذي يقود بيد لجمع بين الحرم والحكمة سعينة الدولة، بين الأخطار والمتلاحقة في بحر عاصف، وهو يعرف - فوق هذا - كيف يجعل للسلام من الاحترام مثل ما

لتسلة محزنة ، إذ إن المرء لا يجد فيها السعادة ! .. فتسألت : « وهل من سبيل إلى العثور على السعادة يوماً ؟ » - « أجاب : « أجل ، .. إنها لا تلبث أن تجيء يوماً » - . هذا يعني كان المستشار ماضٍ في خطابه . . . وهذا هو ما همشوه أنتم ، محشر الرزع وعمال الزمرد ! أيها الرزاد «سبون» ، في ميدان «الخصارة المسيح» ! أنتم يا رجال العدم والأخلاق قد فقهتم أن العواصف السياسية أشد خطراً - في الحقيقة - من اضطرابات الطبيعة !

وتابع رودولف حديثه «إن المرء لا يلبث أن يفقد السعادة فجأةً يوماً ما ، بعد أن يكون قد بنى سبب - فإذ ذاك ، يخرج الألق . . . وكأنَّ صوتاً يصيح «ها هي دي» ! - وتعيثُ يا صاحبه إلى أن تعصي بكل أسرار حياتك ، وبأن تهسي كل شيء ، وتضمحي بكل شيء ، من أجل ذلك الكائن ! ولا داعي عندئذٍ للكلام ، فإن كلاماً مهما بهمهم الآخر ، إذ يكون كلُّ تد راي الآخر في أحلامه ! - ررقها بظرو وهو يستلرد «وللإجمال ، تربي أمانت احبر! الذكر الذي طمأ بحث عنه إنه يملأ ، ويرق . ومع ذلك فإن مرء يظل في ريب ، فلا يصدق - يظل مهوواً ، وكأنه خرج من الطفلة إلى الثور ! وما إن انتهى الشاب من هذا القول ، حتى عرته بالإشارة ، لمسح وجهه بيده كرجل أحس بدوار ، ثم تركها تسرع على يد إي . - فمسحب هذه يدها بلطف !

هذا والمستشار ماضٍ في خطابه . أي وجه للعجب في ذلك ! - لا ينكر روح أهل الزراعة ، إلا من أصيب بالعمى ، وعرق - ولا أخشى من أن أقولها بهذه الصراحة - في أرواح عصر حضى وانقضى ! وفي الحق ، أين نجد عليه تصرف ما نجد في الريف ، وخلصاً لمصالح العام فوق إحلاصهم ؟ وفي كلمة واحدة ، أين نجد دكاء أعظم من نجد في الريف ؟ - ولست أعني ، أيها السادة ، هذا الذكاء الطحي الذي تحلى به الثموس ، شككم ، وإن أعني ذلك الذكاء المثزن ، الذي يصب على النسي إلى أهداف الناحية فعل كل شيء ، ويدلك يساهم في رجاء كل فرد ،

والارتفاع بمستوى العام ، وتقديم الدول ، نتيجة لاحتزام القوانين والسياسات بالواجبات !

وعقب رودولف قائلاً «آه» هل عند ثانية . الواجبات ، فائماً ! - لقد شتمت هذه الكلمة . إن هؤلاء الذين يطوب في آذاننا باستحواض هائلين «الواجب ! الواجب !» ليس سوى لغة من ذوي الفكر الجندب الخلفين في صدرى من «الفيلا» ، ومن المجازر المتعبدات ! - آه ، نعمري ! ما الواجب إلا أن نحس بما هو عظيم ، وأن نحس بما هو جميل ، لأنَّ قبل كل معتقدات الجمع بما نعرضه علينا من ريلة ودلال ! - ما حشرت صدم بوفاري قاتلة : «ومع ذلك . . مع ذلك . .» .

لا ، لا ! - ماذا يصحون ضد الرعشات العاصفة ؟ ألبت هي الشيء الجميل الوحيد على لأرض ؟ أليست مشع البطولة والحماسة والشعر والموسيقى والفنون . . أو يبيجاز . أليست كل شيء ؟

فعلت يوماً «ونكن على لره أن يحني إلى حده ما لرأي الجمع ، وأن ينقل قانون الأخلاق» - «أجاب : «أجل ، ولكن هناك صابون صابون صابون ، وعثل ما تعارف عليه الناس ووضموه . وهو يتغير باستمرار ، ويصرخ في صخب ، ويثير مثل هذه «الجدية التي براها تحت» - إنه أرضي من ترائب ، كهذا الحشد من الأعباء الذين يزينهم حاك ، تحت ! أما القانون الآخر ، فهو الخالد ، وهو بشملي وهدوبا ، كالصبغة التي تحط بنا ، والسما الرقاء التي تحتها الضياء !»



في تلك الأثناء كان الميدان مزدحماً بالكاس حتى مواقع تناول ، فكان المرء يرى قوماً متكئين يمدقونهم على جميع النوافذ ، وآخرين يقعون أمام الأبواب ، وبس «حورستان» أمام الصينية وقد سمر في مكانه ففرط ما استهوله المنظر . . وكان صوت السيد «يعان» يصح في الهواء رغم الصمت الشامل ، فلا نصل إلى سمعك سوى نغم من العبرات ، يقطعها صرير المقاعد المبعث هنا

وهناك - ثم لا تلبث أن تسمع حوار ثور ، أو لعاء الحملان ، يجاوب بعضه بعضاً عند أركان الشراع إذ كان رعاة البقر والعنم قد سافروا ماشيتهم حتى هناك ، فكانت تحور من آن إلى آخر وهي تتربع بالسبتها نضاً من أوراق الشجر المتدلية أمام أفواهها .

وكان رودولف قد ارداد من إيد اقتراباً ، ونال لها بصوت خفيض وبهجة سرمدية - «أولا يثيرك ذكور المجتمع على هذا النحو؟ .. ومن هناك إحساس واحد لا يستكره؟ .. إن أنبل الفرائز وأسمى الأقول تضطهد ويتهرب بها .. واد حدث أن التقت روحان بالشقاء ، فإن كل المومال تنظم لتتحول دون امتزاجهما . ومع ذلك فإنهما مستحارلان ، وترفرقان بأجحتهم ، وتسمى كل منهما إلى الأخرى أواه؟ لا بأس ، فإنهما لن تلتذا أن تجتمعا وتتحلبا ، طال الرمس أو قصر . في ستة أشهر أو في عشر سنوات . فإن القدر قد كتب هذا لهما ، إذ خلقت كل منهما للأخرى»

وكان حائلاً وقد تقاطعت دراهم فوق ركبته وتطلع إلى إيد وهو جد قريب منها ، وثبت بصره عليها ، فتمحمت في عيبه خطوفاً ذهبية صغيرة ترمض من أحماق حديقته السردالين بل إنها راحت تشم عطر الدخان الذي غسغ به شعره . وما لبثت أن غشيتها موية من شرود ، فذكرت الفيكوير الذي رقصت «الفانس» معه في (فويسار) ، إذ كانت تسعد من بهيته رائحة التليومون والفانيليا التي تفرح من هذا الشر وأسلبت جعومها - بحركة آلية - في نصف إعاضة ، وهي تضح في شعره هذا العطر ، ولكنها حين اضطجعت في المنعده همت على المدد - عند حافة الأذن - عربة الركاب القديمة «المصمورة» تنحدر في بطة هابطة تل (بيو) ، وهي تهر ديولاً طويلاً من الفار 1 . هذه العربة الصفراء التي كثيراً ما عاد «بيون» إليها فيها ، وهي ذلك الطريق وحل عنها إلى غير رجعة وحيل إليها أنها تراه واقعاً عند نافذته . ثم اغتططت الرزي ، واكتمهرت السحب ، وعجل إليها أنها عادت تدور في رقصة «الفانس» - تحت أصواء الزهراء - بين دراعي «الفيكوير» ،

ولن «بيون» ليس بعيداً عنها ، وأنه قادم ومع ذلك ، كانت طيلة الوقت تنم حير رأس رودولف إلى جانبها ، وتلغلغل هذا الإحساس العذب في رعياتها القديمة ، التي أحدثت تتحرك جيئة وذهاباً ، في نقعات هذا العطر الذي راند على زوجها ، كما تتحرك درات الرمل في مهب الريح .. ففتحت طاقتي أنفها هذه موات لنحب من عبي الليلاله المتلف حول رؤوس الأحصنة ونزعت قماريها ، فمسحت يديها ، ثم حركت متديها أمام وجهها كغروحة ، فيما كان صوت «مشتار يصل إليها - خلال بفس صدغيها - مرددة عباراته ، وكأنه يترسم بها «واصلوا ، وثابروا ، ولا تنصتوا إلى ما يوصي به الروتين ، أو ما تدعو إليه النضاح المرحلة آية على تجذب طائفة 1 وانجهموا بجهودكم - سور حاصر - إلى تحيى الثرة ، والسعد الجيد - والكثير من سلاطات الخيل وبنقر والخنازير والأغنام الخيلة - ولكن هذه المعارض - يالئسة إليكم - أشبه بالساحات السلمية ، بمد متصفر فيها يده - إذ يعاندها - إلى انهزم - ومزاجيه ، أملاً في فوز أفضل وأنتم أيها العمال الشيوخ ، والخدم المتواضعون ، الذين لم ترمقهم حكومة حتى اليوم بعين الاعتبار تعالوا لتسمعوا جراء قضائكم الصائفة ، وثقوا من أن الدولة ترمقكم ، وتشجعكم ، وتحميكم وستستجيب لمطالبكم العادلة ، ونجمع بقدر ما تستطيع من صلب نضحاتكم 1»

ثم جلس السيد «بيمان» بعد ذلك ، فهض السيد «ديروبراي» ، وشرع يلقي خطاباً محرر . ولعمري لم يكن خطاباً صمفاً كمخطاب المستشار ، ولكنه امتاز عنه بأسلوب أكثر إيجابية ، أو بالأحرى ، بمعلومات أدق ، واعتبارات أسمى فلم يشمل مدح الحكومة - مثلاً - سوى حبر صغير منه ، أما لذين والبراهمة ، فعازا يقسط أوفر ، إذ ألقي الضوء على العلاقة بينهما ، وعلى دورهم المشترك في خدمة الحضارة ، والجدانية الاقتصادية . كان الخطيب يتكلم عن مثله المجتمع ، متدرجاً من العصور الأولى التي كان الإنسان يتعدي فيها بشمار البلوط في أحماق ألعاب ، إلى تلك المجهود التي تحول فيها الناس



من جلود الماشية إلى الأقمشة المنسوجة ، وراحوا يحرقون الأرض ويوزعون  
الكروم أفكان هذا التحول حيراً ؟ أولم يكن في هذه الاكتشافات من  
الغور فوق ما فيها من نعم ؟ . . وتولى السيد «بيرونزاي» علاج السؤال .  
يما كان رودولف قد تطرق متقللاً من «مناطبة إلى الميول والملاقات» .  
وأخذ رئيس «نخبة يذكر» «سنتوس» ومحارته ، و«ديوكيان» إذ رجع  
الكرب ، وأباطرة الصين حين كانوا يفتتحون العام بيدر البذور . في حين  
كان الشرب . رودولف - ماضياً يشرح للشابة أن الميول والتهجدات ترجع في  
سبيلها إلى نوع سابق من الوجود . . أو حياة سابقة ؟  
ومضى يقول : «ومن ثم ، لما قدر بكل ما أن يعرف الآخرين ؟ . أي إرادة  
شامت هذا ؟ لقد تم ذلك بسبب انحداب كل ف إلى الآخر - كجندولين  
يجريان لكي يلتقيا ويتحددا - وهكذا دفعت اتجاهاتنا الفكرية الخاصة بكل منا  
إلى صياحه له .

وأناك يدها ، فلم تسعجها من وفي تلك اللحظة ، كان الخطيب  
يصيح «جائزة الزراعة الجيدة» . رودولف ماض في حديثه «متملاً  
علما أتيت إلى بيتكم .

وهكذا أحدثت عبارات رودولف والخطيب تتابع في تناوب واختلاط  
كان الخطيب يقول : «إلى السيد بيريه من كونكناوا» .

ورودولف يقول : هل كنت أعلم أن قد قدر لي أن أصحك ؟  
الخطيب : سمعوا فرنكا .

ورودولف بل لقد حاولت مائة مرة أن ألوحل . . ولكنني تبعتك . وبقيت  
الخطيب : جائزة الأملدة .

ورودولف وسوف أبقى الليلة ، وهذا ، وكل الأيام المقبلة ، وسياتي كلها  
الخطيب إلى السيد «كارون» من «أرجي» ميناليه ذهنية

ورودولف : «لاني لم أكن بمثل هذه الفئة الشاملة في صحبة أي امرأة أخرى .  
الخطيب : إلى السيد «بان» من جفري سان مارتان .

ورودولف : وسوف أحمل معي ذكرك . .

الخطيب : جائزة عن كتب إسباني من نوع «مارتو» .

ورودولف : ولكنك سوف تسيئي . . سأتلأشي كالطيف ؟

الخطيب : إلى السيد «يلو» من توتروم

ورودولف : لا بل سأبقى في فكري ، وحياتك . . ليس كذلك ؟

الخطيب : «سلالة الخنازير الخائفة ماضة بين السيدين «الهرسيه» .

و«كيلبر» وقدرها ستون فرنكا

وضغط رودولف يد رعا ، فأحس بها دافئة ، تنفص ، كالجماعة الحبيسة ،  
التي تبجي اطلاقاً . وسواء أكان تحول أن نتزع بعدها ، أو كانت سحج  
لصعته ، فإنها حركت أصابعها ، فهذه «آه» ، شكرأ لك . فانت لا  
تصدني . ما أطيبك ! . إنك تدركي أنني ملك بميتك . . ألا دعني ألق  
إنك ! . دعني ألقك !

وهيت من القفدة ريح ثوب أطراف غطاء المائدة ، وأضاحت بقيعيات  
المفاحات الكبيرة . في ميدان - قطارت كأحشة قرشات يضاء ترعرع !

وكان رئيس لجنة التحكيم ماضياً في موله «جائزة استخدام كلب البذور  
الويسية السعداء العلمكي رراهة التيل . . الفسوف . . الإيجارات  
الطويلة الخدمات الأملية» . أما رودولف فلم يعد يتكلم ، إذ راح يرمق  
«إلى» وهي برمقه ، وشعاعها ترنحمت يتأثير رعية جامحة ! وهي  
استرخاء ، ودوى ما جهد ، تعالقت أصابعها . ورئيس لجنة التحكيم ماض  
في سرد الجوائز !

كاثرين بيكرت إليزابيث ليرو من (سانسولاجيرير) من أجل بقائها  
خمساً وخمسين سنة تحدم مررعة واحدة مينالية غصية ومكافأة قدرها  
خمس عشرة فرنكا !

وردت «لشار النداء قائلاً» «لأن هي كاثرين ليرو» لكنها لم تتقدم  
وسمعت أصوات تنهاس «استمر» «لا» «إلى اليسار» لا

تخفي! «آه» يالها من غيبة! «صاح «توقائش» «ويعد، موجودة هي؟» «نعم» «هي دي!» «ولنتقدم إدا!» «ورويت إذ ذاك امرأة عجوز، صليقة الجسم، تتقدم واجفة نحو النصة، وهي تكاد تتوارى في ثيابها النعسة، وفي عديها حذاءان صمغان من الخشب، يماندلت على رجليها مروة كثيرة ورقاء. وكان وجهها الضامر، لمحاظ بطاقية لا حياء بها، أكثر تجميداً من ناصحة صهيبة دانه. وس كسي سترتها الحمر،» «بربت يدان بدت معاصنها كالعقد، وقد عطفتهما البقع والبثور والبشرة الخنة من أثر عيار الأجران، و«التوتاس» الذي تستعمله في إزاله بقع الشحم عن الملابس الصوفية، حتى إنهما كانتا يتدوران قدرتين رغم غسلهما بماء الصافي. وقد مكنتنا معرجتين لظول ما خدمت، وكانتهما تقفان دليلاً متواهماً على ما نكبنا من مشق مصبة!.. وأكسب وجهها جلالاً شيء من جمود الرقة، ولم يكن يعصف من حدة نظراتها شيء من الحر أو من الحان. وكانت لكثرة معاشرتها للحيوانات قد أحدثت فيها الصعوت والسكوت. وكانت هذه أول مرة ترى فيها نفسها وسط مثل هذا الجمع العجيب، قد دخلها دهر من الأعلام والأبواب، وأولت السادة الذين كانوا في ثياب سود، وذلك الوسام الذي كان يريس صدر المشار. فطلت مسرة في مكانها، لا تدري أتقدم، أم تلوذ بالعصرار. ولا تفهم ماذا راحوا يدعوبون إلى الأمام، ولا لماذ كان الحكماء يسمون لها! وهكذا وقفت أمام المواطنين السعداء، ثمناً لحباً لنصف قرن من الصوفية! وكان المشار قد أعد قائمة العائزين بالجوائز من يد ريس الحكماء، فعالها بها «أقترني أيتها المجلة كاترين نيكير البرايث لير» وأخذ ينقل بصره بين قائمة العائزين والسيدة العجوز، مكرراً في لهجة أجنبية: «أقترني! أقترني!».

وقال «توقائش» وهو يتحسس في معمله «أصبحت أنت؟» ثم راح يهيج في أذنها «أربع وثمانون سنة في الخدمة! ميدالية فضية، وخمسة وعشرون مرنكاً.. لك!.. وناسلت «المينالية» حين تتولتها، وما ألبث

ووجهها أن أشرق بدتسامه واهية، ثم غشمت وهي تنصرف أساعطها لقص قريتها كي يقيم في قدساً! فقال الصيدي نحو موتق العقود قائلاً: «يا لك نص!»

واحتتم العمل، فأحد الجمهور تفرق. وعاد كل امرئ إلى مكانه، وكل شيء إلى مجراه. وأخذ السادة يهرون الخدم، وهؤلاء يعزبون عائشة. ثلث المائسة عائرة، التي علق بقرونها دج أحضر، وهي تعود إلى حظائرها! هذا بينما صمد جود «فخرس الوحشي» إلى الطابق الأول من مبنى البلدية، وقد رشقوا القضاة بحامه في حراهم، وحمل قارع الطبل سلمه عليه مالهرجاج. وأخذت مدام توقاوي مدرج «رودوب» الذي رافقه حتى دارها، ثم اقترعا عند الباب، وسأز هو ينتزه وحيداً في المروج، في انتظار مرقد الوليدة.

كانت المأذبة طويلة، صاحبة «سنة الظلم» ازدحمت إلى درجة لم يكن في وسع امرء معها أن يحرك مرفقه، وحتى أوشكت الأرواح الضيقة - التي استحدثت كمقاعد - أن تسطح تحف ثقل الحدايس. وأكل القوم في إسراف، إذ غي كل واحد بأن يملأ صحنه، حتى تصد العرق عن كل جهة، وانبعث بخار يمل إلى «لايس» - كذا الذي يتساعد من حدوك في صباح يوم من أيام الخريف - وأخذ يحيم صوق المائدة بين المصايح المدلاة. واستند رودولف إلى قميص السراديق، وقد استغرقه التفكير في إيك، حتى إنه لم يسمع شيئاً من كان يدور حوله. وكان الخدم من ورائه يجمعون الأوراق المتسعة، وجرائنه يوجهون إليه الحديث فلا يظفرون به بجواب. ومن ثم ملأوه له كأسه! وراح على فكره سكون رغم الصبح المحيط به. كان يحمم بماء فات، ويشكل شعيتها. وكان وجهها يمثل له معكاً على خرداب الجود، وكانت يراه في صرأة سحرية. وثأيا ثوبها تنشر بين الجدران. وأخذت أيام الهوى تتسرع أمام عيه في أنق المستقبل، وهي ترى لا تكاد تنتهي!

ورأى ثانية في المساء ، في أثناء الاحتفال بإطلاق الأسهم النارية ، يد أنها كانت مع زوجها ومدمم «هومي» والصيدلي الذي كان شديد الفتى سبب خوفه من الأسهم الشاردة ، حتى إنه كان يترك الجماعة في كل لحظة ، ليذهب إلى «بيته» ويقدم له النصائح وكانت الأسهم - التي وردت باسم السيد «نوفاش» - قد أحسنت في قيو منزله ، وبداة في الحيلة ، ومن ثم خفت الرطوبة بالبارود فلم يشتمل . وفقدت القطعة الرئيسية تماماً . . . ومن وقت إلى آخر ، كانت تنفجر شعة رومانية هائلة ، فتمت من الجمهور المأغر الأقوال ضجة تغطى بها صيحات النساء اللواتي كان الرجال يدفعنهن حصووهن في الظلام ، وقد التصقت إحداهن في رفق تكس شارل ، ورحب تنبج لنباش الصوء من الأسهم في السماء المعسمة ، وهي واقعة الدقى ، وروولف يتألمها على ضوء المصباح المشتعلة

وأصابت الحجر ، وسقطت بعض قطرات من انطر ، ففقدت إحداهن حرملتها فوق رأسها العارية . . وفي هذه اللحظة ، أثبتت حرية المشتار من الفتى ، وقد أعدت الحودي المحصور غصوة طارئة ، فكان جسمه الضخم يرى على مفهده بين مصباحي الحرية وهو يهرى غنة وبسرة مع ارتجاجات الحرية . . فقال الصيدلي : «لحق أن من الوجع تشدية العقوبة على من يعسر في تناول الخمر ويودي لو سجلت أسبرياً على نوبة حاصه - على باب اليلديه - أسماء الذين يشملون خلال الأسبوع من المشروبات الكحولية - فضلاً عن أننا سنحصل بذلك - من الناحية الإحصائية - على قوائم سنويه رسمية ، يطلع عليها عند الحاجة ، ولكن اسمحوا لي» - وعدا ثانية نحو القلدا

وكان هذا الأخير عائداً إلى منزله ليغفد بحرطه فقال له هومي : «إنك لن ترتكب خطأ ، لو أنك أومدت أحد رجالك أو تذهب بنفسك» ، فأجاب محصل الضرائب : «دعي وشأني !» - اطعن !

وبعد أن عاد الصيدلي إلى أصدقائه قال : «اطمنوا !» لقد تأدلي السيد «بييه» أن التدابير اتخذت ، ولم نعط أية شرارة ، كما أن المصحات مليئة . .

لهذا با نسترح !» - فالت مدام «هومي» وهي تشامب بقوة : «الواقع أنني بحاجة إلى النوم ، ولكن لا بأس ، فقد قفياً يوماً جميلاً كأنه العيد !» فردد روولف مصوب حنق ، وبظرة حادة ، أنه ، أجل . . . كان جميلاً جداً . - وانحنى كل منهم للأخر ، ثم انصرفوا .

- ٩ -

ولت ستة أسابيع لم يرجع خلالها روولف إلى القرية ثم ظهر أخيراً داب يوم -

لقد حدث نفسه في اليوم التالي للمعرض قائلاً : «لا يجوز أن أسرع بالعودة وإلا كان هذا خطأ» .

وفي الواقع أنه بهيه الأسرع كان قد سافر للصيد ، وبعد الصيد ظن أنه قد تأخر أكثر مما يجب ، ولكنه فكر على النحو الآتي : «ونكنها إذا كانت قد أحبتي منذ اليوم الأول فإن تلهمها على رؤيتي مرة أخرى لا بد أن يريدها حياً فأواصل إذا» .

ولقد فهم أن تقديره كان حكيماً ، وذلك عندما رأى الماء بصبيها الشحوب بمجرد أن دخل إلى الصالة .

كانت وحدها ، والهزار آجلة في الغروب ، وستائر الموسيقى الصغيرة الموضوعة على ألواح الزجاج تزيد الشفق كشافة ، وإطار البارومتر ذهب ينعكس عليه شعاع من الشمس ، تيشر الوهج في المرأة بين فراغات المرجان وظل «روولف» قائماً وفي مشقة الساعات «إيد» أن ترد على عيادات الشية الأولى .

وقال : «لقد كانت لذي مشاغل ! لقد كنت مريضاً !» .

فصاحت هي : «مرض خطير؟» .

قال روولف وهو يجلس على مقعد إلى جوارها :

- «في الواقع لا . . وإنما لم أشأ أن أعود» .

- ماذا؟

أما تستطيعين أن تحديني؟

ونظر إليه مرة أخرى ، ولكن على حوله من العف أن عفت بصورها  
واحمو وجهها ، واستأنف قائلاً .

إيما

فعلت وهي تنسى قليلاً «سبدي» .

وأجاب في صوت حزين آه الأتريين أتني كنت على حق عندما لم أنسا  
أن أسود ، ذلك لأن هذا الاسم - الاسم الذي جعلاً روحي والذي انطلق سي -  
هذا الاسم تحطيرني عني؟ مدام بوفاري؟ آه ، إن جميع الناس يدونك  
هكذا! وهذا ليس في الواقع اسمك وإن هو اسم شخص آخر!

وتكرر شخص آخر!

وأحست وجهها بين يديها!

- نعم إني أفكر بيك باستمرار! وذكرك نفسي باليساس!  
آه أعمدة! إني أتركك وداعاً! سأذهب بعيداً .. بعيداً جداً .. حتى  
لا تعودني نسمعي عني! ومع ذلك اليوم لا أدري أي قوة تلك التي  
دفعني نحوك! وذلك لأن الإنسان لا يجاهد ضد القدر ولا يقاوم ابتسامة  
الملك! وإن يترك الإنسان نفسه يتساق نحو ما هو جميل مسحر - جليز  
بالعبادة!

وكانت هذه أول مرة تسمع فيها «إيما» كلمات كهذه توجه إليها ، وأحسنت  
كبريائها تسرخي استرخاء كسلاً بحرارة هذه العبارات ، عني نحو ما  
يسرخي الإنسان بفعل حمام دافئ!

واستطرد يقول «لكني إذا كنت لم أحضر ، وإذا كنت لم أستطع أن أراك ،  
فإنني على الأقل كنت أقل كل ما يحيط بك . خفي جميع الإعلام كنت  
استيقظ كل ليلة وأصل إلى هنا ، لأشاهد مزلتك ، والسقف الذي يلعب تحت  
القمر ، وأشجار الحديقة التي تتأرجح أمام نافستك ، ومصباحاً صغيراً يلعب  
وميضه من خلال الزجاج في الظلام ! إنك لم تكوني تعلمين أن هناك ،

قريباً جداً ومبعداً جداً ، بأنسا منكيا !»

فانثنت نحوه وهي تشيح قائلة آه! كم أنت طيب!

قال : «إنني أحبك ، وهذا كل ما في الأمر! إنك لا تشكين في ذلك؟»

فولتي لي ... كلمة ... كلمة واحدة!

وبطريقة غير محسوسة أخذ «رودولف» يترق من الحفد حتى الأرض ،

ولكنه سمع وقع حذاء في «الطبخ» ، كما أدرك أن باب الصلاة لم يكن مغلقاً

وواصل قائلاً وهو يهبط «هل لك أن تجودي بإشع أمل براودي؟»

وكان هذا الأمل هو أن ترويه ، فقد كان يريد أن يعرفها من كتب . ولم

تزداد بوفاري بأساً في ذلك ، وبعض الأتريين عندما دخل شارب

فقال له «رودولف» «عمت صباحاً يا دكتور!»

وطرب الطبيب لهذا اللقب غير المتظر ، فادفع في التحيات ، بما انتهز

الأحر الفرصة لكي يسترد رباطة جأشه يعطي الشيء!

وقال عتند : «لقد كانت الليلة غفشتي عن صحبتي» .

وقاطعه شارل : «لقد كان يدعي في الواقع عمة أسمايه بنفلي ، وكانت

أزمات ضيبي الشمس قد أخذت تعود روجته . وعتند سأله «رودولف» عما إذا

كانت رباطة الخيل تنعما .

فقال شارل : «دون شك! هذا يفيدنا تماماً - فكرة طيبة يجب أن

تفعلها!»

وعندما غرغرت «إيما» بأنها لا تحبك حصاناً ، عرض «رودولف» واحداً .

ورفضت عرضة ، فلم يلح . ولكني يسوع ليريدته دوى كيف أن سائق عربته -

وهو الرجل الذي سق أن حطر عملية قصه الذم - لا يزال يشعر بدور

فقال السيد بولاري : «ألمركم؟»

«لا - لا . سأزمنه إليك . مستحضر ، ههه أكثر راحة بالنسبة إلث

«آه . حسن جداً» - «إني أشكرك» .

وبمجرد أن أصبحا وحيدين قال لها زوجها «لماذا لم تعلمي عرضي السيد

فقطت جنبها ، وأخذت تبحث عن مئات الأعداد . وفي النهاية قالت  
«إن هذا قد يبدو غريباً» .

فشارل شارل على عقبيه ثم قال «بني أسحر من كل هذا فالصحة قبل كل شيء» . إنك محظنة !

- وكيف تريد أنه أركب حصاناً وليس قدي بطلان للركوب؟

فاجاب : يجب أن توصي بصح واحد

وبفضل البطل عفت عزمها

وعندما أهدى الياس كتب شارل إلى السيد بولانجية يحرقه أن رجته تحت تصرفه ، وأنه يعلق الأمل على لطفه !

وفي اليوم التالي وصل «رودولف» عند الظهر أمام باب شارل ومعه حصانان أصيقلان ، تحمي أدنى أحدهما حلية من القماش ، ويحعل فوق ظهره سرجاً صناعياً من جلد العزال

وكان رودولف قد ارتدى حذاء طويلاً رخواً معتقداً أنها لم تر مثله قط ، وبالفعل أحدث بهيته عندما ظهر على الدرع في سترته الطويلة المصنوعة من الخمائل ، وصوراله الأبيض . وكانت مستعدة في انتظاره .

وانفلت جوسون من الصيدليه لكي يرهق ، كما تحرك الصيدلي أيضاً ، وأخذ يقدم إلى السيد بولانجية الصالح «إن الخوادم سرباً ما تقع أخذ حذرك ! فقد تكون خيلك جموحة !»

وسمحت «إيما» ضوفء فوق رأسها ، كانت «إيليبه» تدق على الزجاج لكي تطلي الطعنة بيرت ، وأرسلت الطعنة قبعة من بعد ، مرددة عليها أنها بدشارة من قبض سوطها .

وصاح السيد هوميه «فرحة طيبة ! ولكن الزما الحقدرا الحقدرا !»

وهز جريدته وهو ينظر إليهما يتعذلان .

ويجبر أن أحس حصان إيما بالأرض أحد يمدور ، ورودولف يمدو إلى

جودرها . وكما يتبدل الحديث أحياناً ، وقد حففت وجهها قليلاً ، ورفعت يدها إلى أعلى ، ومدت ذراعها الأيمن ، وتركب معها بهتر على يقاع آخرته التي أخذت ترتفع فوق السرج

وعند أسف الهمة أرسى رودولف الحان فانطلقاً معاً في خطوة موحدة ، ثم توقفه لخصانان لمجانة عندما وصلا إلى القمة فاندك وشاحها الأزرق الكبير

كان يوماً من الأيام الأولى من شهر تشرين الأول / أكتوبر ، وكان ضباب قوي لخموس ، وقد امتدت الأبحر في لائق بين سفوح التلال وغرقت أبحرة أخرى ومحدبت وتلاشت ، وأحياناً كانت السحب تخرج تحت ضباب من الشمس فتتلوح من بعد سفوف «أبوليل» ، والمحدثان على حافة ماء ، والحقدرا وريح الكيسه ، وكانت «إي» تصف جفونها لكي تتعرف على مربها ، ولم تنح لها هذه القرية المسكية التي تكها في مثل هذا العصر قبل اليوم ، لو من الانزعاع الذي كان فيه لاج الوادي كبحيرة كبيرة شاحبة تبخر في الهواء ، وتكتل الأشجار تبرر هنا وهناك كأنها صحور سوداء ، وصوف أشجار الحور العالة التي ترتفع فوق الضباب قد لاحت كالألواح التي تحركها الرياح

وهكذا واصل «رودولف» و«إيما» السير على حافة العانة ، وكانت تلتفت من وقت إلى آخر لكي تشجب نظره ، وعندئذ لم تكن ترى غير جودع الصوبر القتراسة ، وقد سبب لها تنابها شيئاً من الدوار ، والخصانان يهتن ، وحلد السرجين يفرقع

وفي اللحظة التي دخلا فيها العانة ظهرت الشمس

فقال رودولف إن عناية الله ترعانا

فقال : إلى الأمام إلى الأمام

وثرقع بلسانه فعلا الحصانان .

وكانت أغصان البساتن العروبة السمية على حافة الطريق تعلق بركاب



«إيما» وكان «رودولف» يحكي وهو يراجل السير لكي يتصرعه ، وفي بعض الأحيان كان يمر إلى جوارها لكي يحكي للأحصان ، وكانت «إيما» تحس ببركته تحس ساقه . وكانت السماء قد أصبحت ررقاء وبم تعد الأوراق تتحرك . ومساحات شاسعة قد امتلأت بالأعشاب المزهرة ، ويوم من زهر الفسج تتبع مع ورق الشجر الذي كان مصغراً أو مدهباً ، تبعاً لاختلاف الورق . وكثيراً ما كان يسمع تحت الأعشاب النيات خفقة جناح أو صبيحة مسحورة عذبة تطفئها الحريان التي كانت نظير بين أشجار البوط وترجلاً ، ويرط «رودولف» خصائين ، وسارت «إيما» أمامه فوق الحشائش بين دروب الطريق ، لكي الشوشة الطويل أحد يضامها بالرغم من أنها حملته مرهراً من الذيل ، وأحد «رودولف» يأنل وهو يسر خلفها رقة جوربه - بين سواد الرداء وسواد الحذاء - وقد لاح له كالمه جره من جسمه المعري وتوقفت مألده لقد نعت

فقال «يا ملحاحون مره أخرى نتجعي»

وبعد ذلك بمدة خطوة وقعت ثانية ، ومن خلال وشاحها الذي تسلى إلى رديها ، من القيعه التي كانت تلمسها ، لاح وجهها في ضباب صافية إلى الزرقه ، وكانت قد سمعت تحت أمواج لاورديه . وقال «إلى أين تذهب؟ فلم يجب بشيء . وكانت نفسى نساء متقطعاً ودار «رودولف» بصره من حوله وعرض شاربه

ووصلا إلى مكان مسيح كانت قد قطعت أشجاره ، وجلس فوق جذع شجرة مطروح على الأرض ، وأخذ «رودولف» يتحدث إليها من حه وفي أول الأمر لم يخصص لها عبارات غربه ، فقد كان هادئاً جداً ميتاً وكانت «إيما» تصب إليه خافضة الرأس ، وهي تحرك عطفه قدمها قطعاً من الأعصان المتساقطة على الأرض

وأحابت على قوله «أليس قد اتخذ مصيرنا الآن؟» بقولها «آه لا أنت تعرف جيداً ، هذا مستحيل» .

وبهفت لكي ترحل ، وأمسك بمعصمه ، فترقت لم أخذت تتألم بضع دقائق بعين ولهم بدياً ثم قالت هي حيوية . آه . هملك عن الحديث أين الحضانة؟ فلتعد .

وبدرب من عتدد حركة غصب ومجور ، فكررت قولها «أين الحضانة؟ أين هما؟»

وعندل انتم ابتسامه غريبة وقد جمدت حدتها عيه وضعت على أسنانه ، وتقدم نحوها قائماً دراهبه قارندت إلى الخلف وحفة وهي تنتم آه ! إنك تعيمي . إليك توكني ؟ فمرسل !

فقال وقد تغير وجهه : «إنا لم يكن بد !

وأصبح بعد ذلك مباشرة حياً ملأعاً حياً . وأعطته قراعهما وقلا راجمين ثم قال ما بك إذا؟ «نبي لم أفهم ! إنك بلا رب محطشة . فأنت في نقي كتمثال العذراء فوق قاعدته ، في مكان مرتفع مثني نقي ! وأن في حافة إلبث لكي أحتمل الحياة إني في حاحه إلى عيبك . إلى حيونك إلى تفكيرك . فلتكوني صديقتي - أختي - ملاكي ! !

ومذ ذراعه وطوق خصره ، وحاول في رغبوة أن تتخلص وظل يستند هكذا وهما سائران

لكنهما سمعا الحصانين يريان للعشب

فقال رودولف . «أليس بعدا مستظر - فلبق !

وقادها بعيداً عند مستنقع كان العشب ناتي يكسو أمواجه خضرة ، والبلور الدابل قائماً في مسكون بين البوص ، وعند أحست الصقاع يوتج أقدامها فوق العشب أخذت تميز لكي تحس

قالت «إني محطشة . نعم محطشة . بل ومجنونه إذ استمعت إليك . - ماذا؟ ... يا . إي !

وفي بط . قالت السيدة الشابة وهي غيل على كتفه «آه رودولف ! ! وعلق قماش ثوبه بمحمل سرته ، وخرجت إلى الخلف رقيبها البيضاء

التي انتفخ مشهدة ، ثم انهارت باكية واصرتها رعدة طويلة وأحست وجهها واستممت !

وانسدت ظلال المساء ، وسدلت أضواء الشمس بين الأغصان ، فامسحت عيها ، واشرب حبوبها من هناك بين الأوتار أو على الأرض بقع من الضوء أخذت تهتر ، وكأنه هائلا كخشب قد نثر ريشه وهو يطير . وكان الصمت منتشرا في كل مكان ، وكان شتبا عذبا يبعث من الأشجار ، وأحست بقلبي يتألف خفقانه ، والدم يجري في عرونها . وعندئذ سمعت من بعد خلف القامة وصوت التلال الأخرى صيحة عاصفة عذبة صوفا متراجعا ، استجمعت إليه في صمت وقد امتزج كالموسيقى بأحر اهتزازات أعصابها النائرة ، وقد وضع فرودولف سيجارة بين أسنانه وأخذ يصيح بسكينة أحد العناوين المكسورين .

وعادا إلى «أبوليل» من الطريق نفسها ورأى على الرجل آثار حصانهم جيا إلى حبي ، كما رأى الأشجار والأعجاز نفسها في العشب فلم يشعر شيء مما حوفا ، ومع ذلك فقد حدث بسية إليها شيء أكثر خطورة من انتقال الجبال من مكانها ، ومن وقت إلى آخر ، كان فرودولف يحكي ويأخذ يدها بفلقها

كانت ساحرة فوق الحصان ! وقد انتصبت بحضنها الضامر وركبتها المشية فوق عرق الدابة ، وقد تنوع وجهها قسلا في الهوى ، والطلق وهي حمرة المساء .

ودحلا «أبوليل» وأخذت تمشي على الطريق المصنوع والناس يظفرون إنهم من الوارد

كان ووحها يتناول العشاء وقد وجدها مشرفة الطعمة ، ولكن كان يروح أنها لا تسمعه عندما كان يسألها من مررتها . وقد ظلت منكته بمرقتها بجوار طعنها بين الشجرتين اللصيتين

فقال - إي !

- مادام ؟

- لقد أمسيت بعد ظهر اليوم عند السيد ألكسندر ، ووجدت عنده مبهرة ، لكنها لا تزال فتحة ، وإن تكن ركبته متسلحتين . وإنني لتأكد من أنه يمكن الحصول عليها بمائة فونك !

وأضاف : «ولما كنت أظن أن هذا مد يرونك بعد حجرتها لك - لقد اشترتها . - فهل أحسنت صنعا ؟ أجيبي !»

نهزت رأسها كدليل على الموافقة . وبعد ذلك برع ساعة سأله : هل ستخرج هذا المساء ؟

- نعم . لماذا ؟

- آه ! لا شيء . لا شيء . يا عزيزي

وبمجرد أنه تحلصت من «شارب» صعدت وحبت نفسها في غرفتها كانت أول الأمر في شبه دوار ، فكانت ترى الأشجار والطرق والحفريات وفرودولف ، وكانت لا تزال تحس بضمة دراهمه ، يما تهتم بالأحشاش ويبحث الصغير من العباب

ولكنها عندما رأته نفسها في المرأة دهشت تنظر وجهها ، فهي لم ترقط عيها بمثل هذا الإشعاع وهذا السواد وهذا العنق . وقد طرا على شخصها شيء «غامض» غير أنها تغيراً تافهاً

وكانت تكرر : «إن لي عشقا ! عشقا» . . وهي تتعدد بهذه العكسة ، وكأنها بريرة مراعية قد عادت إليها ، فهي سوف تحتل إذا أدات الحب وحسن السعادة التي كانت قد شئت معها . ودخلت في جو عجيب انقلب فيه كل شيء إلى انفعال وحياء وعديان ، وكأنها تسبح في محيط صرم ضارب إلى الزرقاء ، وقسم الإحسان تروق أمام حائلها . أما الحياة العادية فلم يعد يروح أمامها إلا عن بعد . . . وفي أسفل . . . في الظلال بين هذه القمم .

وعندئذ تذكرت بطلات الروايات التي قرأتها ، وأخذت تلك الكوكبية الشمية من النساء الزائبات يقين في ذاكرتها بأصوات أخوات سحرها . فقد

أصبحت هي نفسها جرماً حقيقياً من تلك الخيالات ، وقد حققت حلم شبابه الطويل وهي تتأمل نفسها في ذلك النوع من انماشقات الذي طالت تلهعت إليه اوهوى ذلك كله أحست بسوح من الرعب للانقسام ، فهي قد دانت الكثير ، لكنها قد انتصرت الآن ، والحب الذي كمنه طويلاً قد أخذ يتفجر بعصرانه الكامل كفضائح مرحة ، وأحدثت تدوقة من غير بدم ولا قلق ولا اضطراب

ومر اليوم التالي في عذوبة جديدة ، فتبدل العاشقان للعهد وقصت عليه أحوالها ، وكان «رودولف» يقاطعها بقبلاية ، وكانت تطلب إليه ، وهي تأمنه بحبيبها المفضّل نصف إحصاءة ، ما يدعوهما ثالثة باسمها ، وأن يكرر أنه يحبها . وكان في العادة كاليوم السابق تحت غصن سملاحي كانت جدرانها من الفس وسقفها مضمضاً بحيث يقف فيه الإنسان محبباً ، وقد جدا أحدهما إلى جوار الآخر على فراش من الأوراق الجافة

ومر ذلك اليوم أحدا يتراسلان بانتظام كل مساء . وكانت «إي» تحمل خطابها إلى طرف الخديفة بجوار المهر وتضعه في شق من السياح ، حيث كان «رودولف» يأتي ليأخذه ويضع مكانه خطباً آخر ، وكانت «إي» تشكو دائماً من إيجازة في الكلام

هي صباح يوم « وكانه «شارل» قد خرج من المجر - قدنته نروة إلى أن ترى «رودولف» صوباً ، وكان من الممكن أن تصل إلى «اللاهيت» سريعاً وأن تسمى هناك ساعة ثم يعود إلى «أليوبيل» بما لا يرد جميع الناس ماتين فأسلت هذه الفكرة لمناها ، وهذا بها وسط لمراعي تسير بحظي سريعة دون أن تنظر خلفها .

وكان المحر قد أخذ يبرع فعمرت «إي» عن بعد مرل عشيقها ، حيث كانت دوائر الأربع المنصوبتان فوقه والمصوحتان على شكل دبل الأسود قد أخذتا تتحدثان سواولين فوق المعنى المشاحب

وبعد جرن المزرعة كان يقوم بناء لا بد أنه القصر ، فدخلته ، وكان الحدران قد انتشعت من ثلغاء نفسها لقدنهم ، وبعدها سلم كبير إلى الدهليز ، وأدبرت

مرلاج باب ، وهذا بها سمح فجأة في نهاية العرفة رجلاً زائماً ، لقد كان «رودولف» وأطلقت صيحة

فقال «ها أنت ذي ! ها أنت ذي ! كيف حضرت؟ أه ! لقد ليل نوبك !» فأجبت وهي تطوف رقبته بلواحيها : «إني أجبت !»

ولما كانت هذه الدفعة الجريئة الأولى قد نجحت ، وفي كل مرة كان يخرج فيها «شارل» مبكراً كانت «إي» ترتدي ملابسها مسرعة وتنبه - في خضرة الدثبة - المدرج الذي يؤدي إلى قسبة النهر

ولكنها عندما كانت تجد معبر البقر الخشبي مرفوعاً ، كانت تضطر إلى أن تشير في محادثة الحدوي الممتدة على طول النهر

ولما كان الشاطئ رنقاً ، فلها كانت تمك يديها شجيرات القرطم القابلة لكي لا تسقط ، ثم كانت تحتصر الطريق بالسير في الحقول المهرورة حيث كانت تمور وتعتز ويعرض حذاءها الرفيع . وكان خمارها لمعقود فوق رأسها يهتر في الريح وسط الأخشاب ، وكانت تخاف من البقر فتأخذ في التمدد ، وتعدل لاهنة وردية الخدين وقد أبعث من وجودها كله عطر نصر من الخصره والهواء الصديق ، ويكون «رودولف» لا يزال قائماً عبيد كصباح يوم يصبي يدخل غرفته !

وكانت السائر العفراء على طول الوادي ترسل في رفق شعاعاً ذهبياً قليلاً يحد إلى القرعة ، وكانت «إي» تتعجب ما أمامها ، وعيناها تتفحصان ، يبعث قطرات الدمى المعلقة بمخصلات شعورها تدوح كهانة من الزرحد حور وجهها ، «رودولف» يجدها نحوه وهو يصحك ، ويضمها إلى قلبه

وبعد ذلك كانت تصحب البيت وتفتح أفراج الأثاث وتمشط شعرها عشقه وتظر في مرآته ، وكثيراً ما كانت تضع بين أسنانها ميسم عديون ضخم عجمه على منضدة السرير ، وسط التليوون وقطع السكر إلى جوار إبريق ماء

والواقع أنه لم يكن يكميها ربع ساعة للدواع ، وعندئذ كانت تبكي وتود ألا تعارق «رودولف» قط - لقد كانت مدفوعة نحوه بشي أقوى ، ولقد قطب

وجهه يوماً متضيقاً عندما رآها تصاحبت بالهيبة .

فقلت : «ما بك؟ هل أنت مريض؟ قل لي يا» .

وأخيراً أعلن لها في لهجة جادة أن هذه الزيارات أصبحت صعبة وأنها تورط نفسها !

•

وثنياً فثقتاً أخذت معلوف «رودولف» تشغل عينيها في البداية كان الحب قد أتمها فلم تكن تفكر في شيء سواه . أم الآن وقد أصبح شيئاً ضرورياً خيانتها فإنها صارت تحشى أن تعمد منه شيئاً ، أو أن يفكر محمود معكرو . وفي أثناء عودتها من عمله كانت تلقي على كل ما حولها نظرات قلقة فتقرب كل شبح يمر بالأنف ، وكل كوة بالقرية يمكن أن يراها منها أحد ، وكانت تهتد لوقع الأقدام والصحبات ، ولصوابع الحارث ، وكانت تقف أحياناً شحبة مرتعدة أكثر من أوراقي الحور التي تهتز فوق رأسها

وددت صباح يوماً كانت عائدة على هذا النحو ، إذ بها تتبين فجأة مأسورة بدقية كبيرة لأح لأح موجهة إلى خلفها ، وكانت هذه المأسورة تبرز ميل فوق حافة برميل صعب ، غاص نصفه بين الأعشاب ، على عافة حفرة . وبالرغم من أن «إينا» كانت على وشك الانغصاف من الخوف ، فإنها تقدمت ، وخرج رجل من الرميل ، كشد انصافيت ذات اللولب التي تقمر من قاع الصادي ، وكان يرتدي حذاء طريلاً ذا أقفال بصمد حتى ركش ، وملتوية مكبوسة حتى عيني ، وشفتاه ترتعدان والشفة أحمر . . . لقد كان القائد «يبه» مترصاً للبط البري !

وصاح قائلاً : «كاد يجب أن تتكلمي عن بعد . وعندما يرى الإنسان بنطقه يجب دائماً أن يثبه !»

وكان المحصل يحاول بهذا أن يخفي الخوف الذي ألتابه ، وذلك لأن مراراً من المذمومة كان يحظر صيد البط إلا في العارب . وبالرغم من احترام السيد «يبه» للقوانين ، إلا أنه كان متدبناً بمخالفته . ولذلك كان يظن في كل لحظة

أنه يسمع السحير قادماً . لكن هذا القلق كان يثير دونه ، وكان يرهو وحيداً في البرميل بسعادته «ودهاك !»

وعندما رأى «إينا» لأح أنه يتنفس الصعداء ، فأخذ لصوره يتحدث معها الخديت

- إن أجو ليس دونه . إنه قارس !

ولم ترو «إينا» شيء . فاستمر يقول

- وها أنت قد خرجت ميكرة !

فقلت متعته

- نعم . إني قادمة من عند مريض طفلي !

أه حسن جداً أحسن جداً ! ولما أنا فعلاً مطبخ المعجزة تريسي هنا على هذه

الهيئة وفي هذا الجو من الرقابة ، محث إذا لم يأخذ الإنسان أهته كاملة

فقاطعت «إينا» وهي توليه ظهرها فقلقه «وداعاً يا سيد «يبه» !» فأجاب

بلهجة جافة : «عادمك الطبخ يا سيدي !»

ثم انسحب إلى برميله .

وندمت «إينا» لأنها عادت المحصل فجاء على هذا النحو ، وهو لا ريب

سوف يفترض فروغاً غير سارة ، وكانت حكاية «برصع أسوأ احتدار ، ذلك

لأن جميع الناس في «أبرفيل» كانوا يعمدون حناً أن الطفلة سولاري كانت قد

عادت إلى أهلها مد عام ، قد فصلاً عن أن أحداً لم يكن يسكن في تلك

الحاوية ، وهذا الطريق لم يكن يؤدي إلا إلى «لاهاشيب» . وإذا فلا بد أن

«يبه» قد جلس من أين كانت قادمة ، وهو لن يسكت ، بل سوف يثرثر بكل

تأكيد . وظلت تجهد ذهناً حتى انشاء في جميع محارج الكدم التي يمكن

تصورها ، وقد ظل مائلاً أمام عينيها باستمرار ذلك الغفل ذو السندية !

ولما رآها «شارل» بعد العث «مهمومة أراد أن يرفقه معها بأن يأخذها عند

انفصاله . وكان أول شخصي منه في الصندلة هو المحصل ثانية ، كان واقفاً

أمام المنصرف وقد انصب عليه الضوء من خلال الإناء ، الأحمر وهو يقول

- أعطني نصف أوقية من ماء النور من فضلك .

صاح صبيدي : « أعطنا حامض الكبريتيك يا جوستا »

ثم خاطب « إيم » التي كانت تريد أن تصعد إلى حناح صفاء « هوميه »  
« لا ، انقي لا تنعبي هناك فربما ستبرن . أدفني هناك أمام المدفأة إلى أن  
تبرن معدرة . مرحباً يا دكتور » وكان الصبدي يحمل له كثيراً من يمه  
ملقطة الدكتور ، وكأنه عندما يوجهها إلى غيره يتوقع أن يحبس على شخصه  
شيء . ثم يراه فيها من فحاشه . ولكن جدر من أن تغلب الهدوء . ومن  
الأفضل أن تدعها إلى الصلاة الصبيرة لتخضر المقاعد ، فأنت تعلم جيداً أنا لا  
أفهم مقاعد الصالون !! »

أسرع هوميه خارج المصروف لكي يضع الفول في مكانه ، وعندما طلب منه  
« سيه » نصف أوقية من حامض السكر ، قال الصبدي في ترفع : « حامض  
السكر ؟ إنني لا أعرف شيئاً كهذا - لا أعلم في ما ركا تريد أن تفعل حامض  
الأوكزاليك ؟ أليست أوكزالك هي الكلمة التي تقصدها ؟ »

وأوضح له « سيه » أنه في حاجة إلى مادة كاوية لكي يركب بعضه محلولا  
من ماء التحامض يزيل به الصبأ من عدد من أدوات الصبدي - فانتصت  
« إيم » ، وقال الصبدي : « حقاً ! إن الجوز غير ملائم بسبب الرطوبة » .

فقال المحصل بخيخ : « ومع ذلك فإنه يلائم بعض الأشخاص »

تسهرت « إيم » بالاختناق

وقال « سيه » : « أعطني أيضاً . »

فألت لصبي « يبدو أنه لي يرحل ألباً »

- نصف أوقية من العود « غريمانتس » ولربع أوقية من الشمع الأصفر ، وثلاثة  
أونص أوقية من فحم الحيوون ، من فضلك ، لتعطيل الجند المصقول في  
أدواتي .

واسد الصبدي في تقطيع الشمع عندما ظهرت مدم « هوميه » ، ودعته  
لتجسس على أريكة الحمل إلى جوار السادة . كان الصمت مخيماً فلم يكن

شيء . يُسمع غير وقع الصبح في الميزن من وقتة إلى آخر ، وبعض عبارات  
يهمس بها الصبدي إلى تلميذ كإرشادات

ومجأة سألت مدم « هوميه » : « وكيف حال طفلكما الصغيرة ؟ »

صاح زوجها الذي كان يكتب أرقاماً في دفتر مسودات « هـ 1 »

« استأنعت بصوت خافت : « ماذا هم تحضروها ؟ » عدالت « إيم » وهي تشير  
بأصبعها إلى الصبدي : « هـ 1 »

ولكن « سيه » الذي كان مهمكاً بمراجعة الحساب لم يسمع شيئاً فيما يبدو

ثم خرج أخيراً ، فتخلصت « إيم » وتصبصت الصمماء

وقالت مدم « هوميه » : « إنك تتفحصين نفسك تنكساً عبقاً »

فأجابت : « لا ، فذلك لأن الجوز حار . »

وسهرت « إيم » و« رودولف » في اليوم التالي على تنظيم مفلاتهم

وأرادت « إيم » أن توشو حادتها يهدية ، وإنه كانت تفضل لو أنها عشر في  
« أبونيل » على بيت سرو . ووجد « رودولف » بالبحث عنه في أثريه وقتة .

وحلال فصل الشتاء كان يأتي إلى الحديقة في ظلام الليل ثلاث أو أربع  
مرات كل أسبوع . وقد عدت « إيم » إلى أن سرج من باب السباح المفتاح الذي  
على « شارل » أنه فقد

وكان « رودولف » إذا أراد أن يعمها بوصوله يقدف حسب القائمة بحدة

من الرمل قسيف قاصرة ، وإن كان يصطر أحياناً إلى الانتصار ، وذلك لأن

« شارل » كان موبعاً بالثرثرة إلى جوار السار . ولم تكن ثورته تنتهي لبدأ

وكانت النعمة تفك بها ، ولو أن عيناها استبعت تفتدتها به من السادة

وأخيراً كانت تفسر ملابس النوم ثم تأخذ كتاباً وتستمر في القراءة في هدوء ،

كانها مسورة بهذه القراءة . ولكن « شارل » الرائد في الصبر كان يدعوها لكي  
تنام قناعاً . « إيم » تعالي لقد حان وقت النوم . »

فجيب : « نعم ، إنني قادمة »

ومع ذلك ، فمما كانت الشموع تعشي بصره فإنه كان يستدير نحو حائط



ويومعه الشمس ، فغلبت حساسة نفسها ، مسجمة ، نابضة ، عارية !  
وكان «رودولف» مضطرب كثير يلعبها فيه بأكملها ويطوق خصوها بقرامه  
ثم يفردها في حنوت حتى نهاية الحقيقة .

كان يأخذ تحت العريشة على المقعد معه المصروع من الأعواد المتعممة  
حيث كان «ليون» ينظر إليه في مدغشي بعين والهة خلال أمسيات  
الصيف . . . لكنها لم تعد تفكر فيه الآن !

كانت السجوم تملأ من خلال أعصاب الياسمين العذوية عن الوبوق ، وكانا  
يسمعان من خلفهما خريف مياه النهر ، وههنا كانت تسفح كتل من  
الظلال وسط الظلام ، وتهتر كلها أحياناً بحركة واحدة ، وتنهض ثم تنحني  
كأمواج ضخمة سوفاء ، تخدم لكي تعطينها . وكان يرد الذيل يعملها على  
تشديد العناق ، وتهدأ شفافها تلوح بهما أكثر قوة ، وحبوبها التي لا  
تكدأ يتنبتها تنوح أكثر تساعاً وفي وسط الصمت كانا يتهاهسان بعبارات  
تسقط على روحهما كربين البلور ، وتتردد عنها دبدبات عديدة متكاثرة

أما هي السالي المطيرة فكانا يلجآن إلى حجره المحض بين الخرون والحظيرة ،  
وكانت توقد أحد مشاعل المطبخ وقد خبأته خلف الكيب ، وكان «رودولف»  
يشرب هناك كأنه في بيته ، ومطر المكتبة والكتب ، والمكان كله يشير مرجه  
ولم يكن يستطيع أن يمسح عن أن يظن على «شارل» غدة نكات غرور «ديما»  
التي كانت تود أن لو رأته أكثر حلاً ، بل وأكثر انفعالاً هدف تستدعي المناسبه ،  
كما حدث عندما خيل إليها أنها تسمع وقع أقدام تقترب .

فقال : إن أحداً قادم !

فأطفا للور .

هل لديك مدسلك ؟

لماذا ؟

فأجبت «ديما» : ماذا ؟ . . . لكي نحمي نفسك .

أحسها من زوجك ؟ أه ! هذا المكس !

وأنت «رودولف» حارته بحركة تعيد أنه يستطيع أن يحقه بنقطة ظفره  
مأذلهما شجاعته ، وإن تكن قد أحسّت بوجع من العالقة والسماجة  
الساذجة التي استهجتها .

وفكر «رودولف» كثيراً في حكاية مسدم ، وظن أنها كانت حادة في هذه  
الحكاية فهي إذا مضحكة إلى أقصى حد ، بل لسبعة ! وذلك لأنه لم يكن  
لديه أي سب يخفى من أجنه هذا الرجل الطيب «شارل» ولأن كان معنى هذا  
أنه ينتهب ضله عيرة . وكانت «ديما» قد حدثته في هذا الصدد حديثاً طويلاً لم  
يجد فيه دوقاً سليماً .

ثم إنها أصبحت عاصمة . وكانا قد بدلا صوراً مصعرة وخصلات من  
الشعر كتدكار ، لكنها أخذت تطلب لأن خائفاً - خاتم زواج حبيبياً - شعاراً  
للازواج الأدي . وكثيراً ما كانت تحدثه عن أجرام المساء ، أو عن أصوات  
الطبيعة ، ثم تحمته عن أمها وعن أمه التي كان «رودولف» قد عقدتها منذ  
عشرين عاماً . ومع ذلك فقد كانت «ديما» تمر به عنها في عبارات نائمة ، كذلك  
التي توجه إلى طفل محروم ، بل وكانت تقول له أحياناً وهي تنظر إلى القمر  
«إنني وثيقة من أنهما تباركان حبا في عليانها !»

ومع ذلك كانت راتعه الجمال ، ولم يكن قد عثر إلا على القليل من هذا  
الصعاء ، وهذا الحب الخالي من الهتك كان كالسبة إليه شيئاً جديداً أخرجته من  
استناره المألوف ، وأخذ يداعب كبرياءه ولسته لحسية على السواء . أما اقتداع  
«ديما» ذلك لاتدافع الذي كان يحتمره بحسه البرجوازي . فأخذ يبدو له  
ساعماً في أحماق قلبه ما دام موجهاً إلى شخصه . ومنذ أن استوثق من حبها  
فتر اهتمامه وأخذت معاملته تتغير في تلوح غير محسوس .

ثم تعد تصدر عنه - كما كان يفعل من قبل - مثل تلك الكلمات بعلنة  
التي تسميل دموعها ، ولا مثل تلك الفلابل الحارة التي تحس بها جرئاً ، حتى  
خيل إليها أن حبها العظيم الذي ضاع في هذا أخذ يفيض من تحتها ، كعبه  
النهار التي تقف في محراء حتى تكشف لها الوجه ! ولم تره أن تصديق ،

فصاعقت من حباته ، لكن «رودولف» أُنعد يتحلل شيئاً فشيئاً من إجماع عدم مبالته ، ويقلل شيئاً فشيئاً من حرصه على إشفاء فتورهِ .

ولم تدر هل تقدم لاستلامها له ، أم على العكس تأمل في أن تزیده حياً ، وهل يقلب العصار الذي أحمت - بصنعها - إلى حقد لا تنطق ناره اللغات ؟ ولم يكن الأمر تعلقاً بل غزاية مسمومة ، فقد سيطر عليها ، وأصبحت نفس سمومها يشبه الخوف .

ومع ذلك فقد كانت المظهر أكثر حدوداً من أي وقت مضى . وقد استطاع «رودولف» أن يتقود «المنافسة» وقرق هواه . وبعد ستة أشهر ، عندما جاء الربيع ، كان أحدهما كروج ووجه فضاء الآخر ومعهما في هذه شحنة الأسرة !

وكان هذا هو الموعد الذي يرسل فيه الأب «روو» الديك الرومي ، تذكرنا لساعة التي جرب . وكانت الهدية تصل مصحوبة بحطاب ، «فقطعت» أي «الحبل الذي يعلقه بالسلطة ، وقرأت الأسطر التالية .

«أبنائي الأعزاء

إنني لأرجو أن يجدكم حظي هذه في صحة جيدة ، وأن يكون هذا البيت في جودة سديقه ، وذلك لأنه يسبح في أكثر ضراوة ، وأجرب أن أقول أكبر حشماً . ولكنني في المرة القادمة سأعطيك - لتغيير - ديكاً من الدجاج ، وذلك ما لم تكونوا تصفون السمك . وأرجو أن تعيدوا السله مع السلتين السابقتين ! ولقد حدثت حادثة عندي لطفه المرعب ، إذ طارت ربح عاتية يسبقها وسط الأشجار ، كما أن المصون لم يكن مفرط الجودة ! وأخيراً سأأذري مني سأحضر لزيارتكم ، فمن الصعب علي أن أترك «مركه الآن» ، عد أن أصبحت وحيلاً يا بيتي العزيزة» .

وكان في هذا الموضع مراع بن السطور ، وكان الانحناف قد ترك بقلم يسقط من يده لكي يسبح في أحلامه بعض الوقت . -

«وأما عن نفسي غلاني بحير ، فيما عدا الركام الذي أصبت به مد أيام في

سوق «إليفتو» ، حيث ذهبت لكي أستحضر راعياً للشم ، بعد أن طردت الراعي الذي كان عندي بسبب شرهته . و«ولنا من هؤلاء المصنوع من أمثال ذلك الراعي» .

«ويقد علمت من تاجر متجول من بلدتكم هذا الشتاء ، واقنع ضرباً ، أن «بولاري» يجهد دائماً نفسه في العمل . وليس في هذا ما يدهشني ، ولقد أراي عرسه وتناول القهوة سوياً . وقد سأله عما إذا كان قد رأى فأجاب بالعمى ، لكنه أخبرني أنه قد رأى حصانين في الجبيرة قامتجت أنه العمل سير مسراً مرهياً ، وفي هذا ما تطيب له نفسي يا أبنائي الأعزاء ، ويصف الله عليكما كل سعادة يمكن تصورها .

«وأني لمأ يحرسني أن لا أعرف حتى الآن جعيتي العزيرة «بيرت بولاري» ، ولقد عرست في الحديقة وتحت لناعمة من أجلب شجرة إجاص بري ، ولا أريد أن يمسه أحد اللهم إلا لكي يظهر له فيما بعد ذاكته مطروخة وأحفظه بها في الصوان عندما تحضر !

وداعاً أبنائي الأعز » ، وأفلتت يا بيتي كما أقبل صهري والطفنة من الوجتين

مع نحياتي .

أبوكم المصون

نيودور دور»

وخلدت بعض دقائق ممكة بهذه الورقة السمكة بين أصابعها . وكانت أخطاء الإملاء أحلة بعضها برفاق بعض . وكانت «إي» تنابع تلك الروح العذبة التي تنفق خلالها ، كاترجاجة التوارية تحت كومة من الشوك ! كانوا قد جمعوا الكتابة بمراد الدار فتساقط بعض العيار الرمادي من الحطاب فوق ثوبها . وكادت تصور أبها محبباً فوق المداء لكي يتناول «لفظ» . وأحدث تفكر في الرمن الطويل الذي لم تعد تجلس فيه إلى حوارها فوق لفصه المحض حول المداء . وفي نهم طرفها عما في لثب الروح البحري الذي

يثر ، وتذكرت أسيات الصبب المشمسة ، وانهر تصول عندما يمر شخص ،  
وتعدو ثم تعدو - وكانت هناك تحب تأميتها خفية من ، وكان الحبل يحوم  
أحياناً في تصو - ويصطف بالروح الرجاء ككرات ذهبية مرهقة - أية سعادة  
كانت في تلك الأيام ؟ وأية حرية ؟ وأي أمل ؟ أي فيهم من الأعلام ! كل هذا  
لم يبق منه شيء - الآن بعد أنيمته في معاصرات روحها خلال مراحل حياتها  
التي تلت أيام عذريتها ، وأيام الزواج ، وأيام الحب ، وهي تعقدتها باستمرار  
على طول حياتها ، كالمسافر الذي يترك شيئاً من ثروته في كل فندق من فنادق  
العريق الطويل !

ولكن ، من الذي تسبب بها في كل هذه التماسه ؟ وأية كثرية خارقة تلك  
التي قبت حياتها ؟ - ثم دفعت رأسها ، وأعدت تنظر من حولها ، وكأنها  
تبحث عن السبب الذي نتج عنه هذا الشقاء .

كان شعاع من أشعة شمس نيسان / أبريل يساعب لأروبي الصدئة فوق  
الرف ، والارتقذ ، وأحست رقة السجدة تحت حذاءها ، وكان اليوم مشرقاً ،  
واخر غاتراً ، وصممت طمأنتها ترسل الضحكات .

لقد كانت الطغمة تتدحرج فوق العنكب وسط الحشائش التي كانوا  
يحرقونها . وكانت مستيقظة على بطها فوق حجر طاحون ، وخدمتها تسكها  
من ثوبها . وكان «ليستيو» يرق الأرض إلى جوارها . وكنت اقترت كلما  
انحنت ، وهي تضرب الهواء بكتلتا ذراعيها .

ومالت الأم وهي نهروا لتقبلها - «أحضرها إلي ! كم أحبك أينها الطغمة  
المسكية ! - كم أحبك !»

ثم لمحت أن في طرف أذنها بعض الوسخ ، فدفقت الجرس بسرعة لكي  
يحضر لها الماء الساخن وتطعمها ، وعبرت ملابسها وحوزيها وحذاءها ،  
وألقت ألقاف الأشرطة عن صحتها ، وكأنها عائدة من رحلة - وأخيراً قلنتها  
ثابتة ، وبكت قسلاً ، ثم ردتها بين يدي الخادمة التي ظلت متدحشة من ذلك  
الحزن المبرح !

وفي المساء وجدتها أروولاً جادة أكثر من العادة .

فقد أنها برؤة صوف قمر .

وتعجب من ثلاثة مواعيد متتالية . وعندما عادت تظاهرت بالمرود ، من  
وبالاحترار .

- آه ! إنك نصيغين رقنك يا صغيرتي . .

وبدأ أنه لا يلاحظ تهديتها بخبرة ، ولا المدين الذي كانت مثله

وعندئذ استشعرت «إيما» السبب ؟

بل إنها تءلت لما، تبعث «شارل» إذا ؟ ألم يكن من الأفضل أن تعبه ؟  
لكنها لم تتج لمسطان هذا الإحساس . بل ظلت بالمة لخبرة إزمهد ،  
الذراع الصعب بحر التفصية . حتى ثمن الصمدلي في الوقت المناسب لكي  
يتيح لها فرحته .



كان قد اطلع أحياناً على تقرير لطريقة جديدة لعلاج الأقدام الشوهاء  
ولمّا كان من أنصار التقدم ، فقد عطلت له تلك المكرة الوحيدة التي ترتفع  
من «أبوفيل» إلى المستوى اللائق بها ، وهي أن تجري فيها عمليات إصلاح  
جراحة العظام !!

قال له «إيما» «وأي خطر في ذلك ؟ - لنبحث الأمر !» ثم أخذ يعدد على  
أصابعه مزايا هذا المشروع - «يجاح سؤكند تقريباً ، بضعف عن مرضي  
ومجملهم ، وشهرة سريعة للحراجح ! - ودعنا لا نريد روحك مثلاً أن يخلص  
هذا المسكين «بوليث» خادم «الأسد الذهبي» ؟ وتلاحظني أنه من يحجم عن  
أن يقص قصة شعائنه على جميع الرلاء !» ثم خفض «همويه» من صوته  
ونظر حوله وقال - «ثم م الذي يحميني من أن أرسل إلى ابني بدة صغيرة  
في هذا الصدد ؟»

وبتشر المقال ويتحدث عنه الناس ، حتى ينتهي الأمر بالتفصيح ككرة  
الجليد ، ومن يدري ؟ ! - من يدري ؟ -

والواقع أنه كان من الممكن للطبيب أن ينجح ولم يكن هناك شيء ثبت  
«إلا» أنه غير ماهر وأي رضى عن نفسها ستصه إذا دهرته بحو هذا  
المشروع الذي سيريد من شهرته وثروته؟ ولم تكن تبني إلا أن تستند إلى شيء  
أكثر صلاحية من الحب

وأخت هي والصيدلي على «شارون» فافزع ، واستحضر من «روان» مجلد  
الدكتور ديفال ، وفي كل مساء كان يأخذ رأسه بين يديه ثم يعمد في  
القراءة .

وبسبب ما كان يدرس سبب انهو جراح القدم من أسفل ومن الداخل ومن  
الخارج ، كان السيد «هوميه» يبحث عن أطباء مختلفين ليجع لكي يطلب  
إجراء العملية الجراحية ، فقللاً إنك لن تكاد تجد شخصاً واحداً عموماً .  
وحدة بسيطة كعملية لفصد صغيرة .

وكان «هيوليت» يدور بعينين بلهوتين وهو يفكر .

ويضيف الصيدلي : «على أية حال فإن هذا لا يعني ، وإنما هو من  
مصلحتك ، ويدافع إنساني خالص ، وإنما أريد أن أراك يا سي وهد تغلضت  
من هذا العرج القبيح ، وأهمل حقوقك عما لا بد - مهما قلت - أن يسيء إليك  
في أثناء تأدية عمالك !»

ثم صمّر له «هوميه» كيف أنه سوف يحس بعد العملية بأنه أكثر قوة  
وشاعلاً ، بل ولج له بأنه سيصبح في حالة أدهى إلى الاستحواذ على إعجاب  
النساء ! فأحد الخادم يتشم أبسامة ثقيلة ، ثم أحد «هوميه» يتعلق عوروه  
فقدل ، أولست رجلاً؟ وماذا كنت فاعلاً لو أنك جئت لتجارب في ظل  
المعلم؟ ... آه ! هيوليت ! ...

ثم أخذ «هوميه» يعتمد وهو يصيح بأنه لا يفهم هذا العناد وهذا التعامي  
عن أفضل العلم !

وستسلم الشاب المسكين ! وذلك لأن الأمر كان كمؤامرة ، فإيهما الذي  
لم يكن يتدخل في أمور الآخرين قط ، ومدمام «لوفرانسوا» ، و«أرميز» ، بل

والعمدة ، وجميع الناس أخذوا يدفعونه ويسعون عليه ويخجلونه ، وكان في  
مجانسة العمدة ما سعى به إلى اتخاذ قرار بل رتعد بولفاري بأن يقدم لأمة  
اللائمة للعملية . وقد كانت «إيما» صاحبة فكرة هذا السجدة ، الذي وانس عليه  
«شارل» ، وهو يردد في أعماني نفسه أن زوجته ملاك .

رعد محاولات ثلاث ومع إرشادات الصيدلي استطاع النجار بمساعدة  
الخداد أن يصنع شيئاً يشبه الصدوق وزنه ثمانية أوقال تقريباً ثم ينقصه شيء  
من الخشب والخشب والفضة والجهد والمسامير اللولبية .

ومع ذلك فلنكن يعرف «شارل» أي عرض سيقطعه لهيوليت ، كان لا بد  
من أن يعرف أولاً أي نوع من العرج كان في قدمه .

وسبب كان مصعباً بأعرج جراح سيفلي فقد كان من الواجب قطع عضلة  
«أحيل» على أن يقطع فبم بعد عضلاً داخلياً في النقي لكي يتحصن من  
لاهور جراح الدخلي ، وذلك لأن النقي لم يكن يجرؤ أن يجازف بعصبين  
في الوقت نفسه ، بل كان يرتعد خوفاً من أن يمس موضعاً هاماً لا يعرف

اقتراباً أنطبيب «شارل» من «هيوليت» ممكناً يقطع العضلات بين  
أصابعه ، ربما يحدث في المستشفيات كنت ترى هناك على مائدة جانبية  
كومة من نائله عشاء وخيطاً مشعاً وكثيراً من الضمادات ... بل هوياً من  
الضمادات ... كل ما كان عند الصيدلي من ضمادات ! وكان السيد «هوميه»  
هو الذي نظم منذ الصباح كل هذه الضمادات (وذلك لكي يهر الجهور ، ثم  
لكي يرضي غروره) . وشق «شارون» الجلد سمحت بترقعة جاعة ، وفتح  
العضن ، وانتهت العملية ، ولم تتدهش «هيوليت» ، الذي أمحنى على يدي  
بولفاري وأخذ يغطيها بالقبليات .

وقال الصيدلي : «ها . الرم ، الهدوء وسوف تعرف فيما بعد بالفضل لن  
أحسن إليك» .

ونزل «هوميه» لكي يقص ما حصل على خمسة أو ستة من العضولين  
الذين كانوا يربطون في صحن الدار ، والذين كانوا يتصورون أن «هيوليت»

وقال الصيدلي : «هنا أول السيد بولفاري أحد جراحينا مشتهرين قد أجرى عملية في ساق أعرج ، يسمونه «هيپوليت توتان» الذي يعمل صد حبيبة وعشرين عاماً خادماً يستل في فندق «الأسد الذهبي» الذي تديره الأرض مدام «لورانسوا» في ميدان السلاح . وقد كان في حلة هذه المداولة وهي الأهمية المتعلقة على هذا الموضوع ما استحوذ على مشاعر السكاد ، فحجموا في رحام شديد عند مدخل انسى . وقد تمب العملية فيما بينه اسحر ، ولم يسئل من الدم غير بضع قط عن احد ، وكان سأل لكي تتبين بأن العضو المضمح قد انتهت بالاسسلام ليهوداد النس . ومن المدهش أن المريض «كما تحفظ بأهيب» لم يستشعر أي ألم ، وحالته الآن لا تترك مجالاً لمستريد . وقد تضافرت الدلائل على أن دور النقاهة سيكون قصيراً ومن يسري فلعمري مشاهد في عيدنا الرئيسي المقبل فتان «هيپوليت» الشجاع ، وهو يرقص في أعياد باحوس وسط حوقة من الغية لمرحين ، وبذلك يثبت لجميع الأعيان بمرحه وخفة شعاعه الكامل ؟ ألا فلحبي علماءنا الأخير ، تلك الأرواح التي لا تحل والتي نكرس بآليها سحرهم حسها ، أو لتتحفيم من الآلهة فسحبها ولحبيها أكثر من مره ، أوتسا في موقفه يصح أن يصيح معه أن العمياء سيصرون ، والفصم سيمسحون ، والعرج سيمشون ؟ وما كان المصعب الديني يعد به المؤمنين قد أصبح العالم الآن يتسمه لجميع البشر ولسوف دواهي الغراء بدرأض المتابعة لهذا العلاج العذبة ولكن كل هذا لم يمنع الأم «لورانسوا» من أن تأتي بعد ذلك بحمسة أيام متتالية وهي تصيح

- الحجة . . إنه يخضر . . إني أكاد أفقد صوابي . .

وهزل «شارل» إلى الأسد الذهبي . وهذا الصيدلي وهو يمر في الميدان بعير قبة فترك الصيدلية وقد لاح هو معه لاهتاً محمراً ملقاً ، يأخذ يسأل كل أولئك الذين كانوا يصعدون السلم

- ما الذي أصاب أعرجنا العزيز ؟

سيظهر ماشياً مشية مستقيمة . وبعد أنه وصح «شارل» ساق مريضه في الحرك الميكانيكي عاد إلى مرله حيث كانت «إما» تنتظره على الباب في لهمة ، فقشرت إلى عنقه ، وجلسا إلى المائدة ، وأكل كثيراً ، بل ولراد أن يتناول مع الحلوى فجاناً من القهوة ، وهذا نوع من البذخ لم يكن يسمح لنفسه به إلا في يوم الأحد هناك يكون لديه ضيوف

وكانت الأسد ساهرة منه بالأحاديث والأحلام المشتركة ، فقد تحدثا عن ثروتهما المقتلة وعن الحبيبات التي سددحلاتها في سربهما وأخذوا يتحلى صيته يلجج ووحده يردد ، وروجه غبه دائماً وأخذت هي تحس بنفسها سعيدة وبصباتها تتشتم بإحساس جديد أكثر سلامة وحيراً ، كما أحذت تشمر شيئاً من الحنان نحو هذا الرجل المسكين الذي يحبها وحرصه بحارهما خطة صوره «رودولف» ، ولكن عيبها انصرفت إلى «شارل» ، بل ولاحظت في دهشة أن أسنانه لم تكن قبيحة

وكان في السرير عندما دخل سيد «عوميه» فجأة إلى الغرفة ، بالرغم من الختام ، وهي يده ورقة لم يجف مداها بعد ، هي إعلان أعده لجريدة امانان دي رواب ، وقد حمسه إليهما ليقرا

وقال بولفاري : اقرأ أنت

فقرأ بالرغم من الآواء الرجعية التي لا تزال تعطي جرماً من سطح أوروبا كاثليكة ، هوان الضوء قد أخذ مع ذلك يتمثل في رعبا ففي يوم الثلاثاء كانت مدينة الصميرة «أينرلين» مسرحاً لتحريره جرحه تعتبر في الوقت نفسه من أعمال البر ، وذلك أن السيد «بولفاري» أحد جرحى الباريس

وقال «شارل» وقد حنقه الاعتقال «آه علما كثير» أبداً أبداً كيف هذا ؟ قد أجرى عملية في قدم أعرج . إني لم أصح . لا اصطلاح العلمي وذلك لأنه في جريدة سيرة كما تعلم . وقد لا يفهمه الجميع ، ومن الجرح أن الخماهير . .

وقال بولفاري : «علما حق . . استعرج»



لقد كان الأهرج يتلوى في تقصص بشعة ، حتى إن المهرج الهيكاليكي الذي كان قد وضع فيه ساقه كان يهدم الحائط وكأنه سيهدمه .  
وهي كثير من الاحتياط ، لكي لا يتغير وضع الساق ، سحبوا الصندوق ، وإذا بهم أمام منظر شبح معالم القدم قد احتجب في ورم بلغ من الضخامة أن الجند كله لاح على وشك الاحتجاج ، وقد تعصى بكلمات سببها نبت الآلة الشهيرة التي كان هيبوليت قد شكها لها ، ولكن أحداً لم يلتفت إليه . وقد أصبح من الواجب الآن أن يصور بأنه لم يكن محطناً كل الخطأ ، ولذلك تركوه حراً بضع ساعات ، ولكن لم يكد يحتفي الورم قليلاً حتى رأى العبدان العاصيان أنه من الأنسب إعادة ساقه إلى الجهاز مع زيادة إحكامه لكي يسرعوا في الأمر . وأخيراً لم يستطع هيبوليت الاحتمال بعد ثلاثة أيام ، مسحوا الآلة مرة ثانية ولاحظوا لشدة دهشتهم الشجوة وهي ظهور حراج متفجع يند على الساق مع شور هبنا وهبنا يسيل منها سائل أسود وانتقلت الآلة وضماً جدياً . هيبوليت قد أخذ ينصجر ، ولأم «نورانسوا» قد وصعت في الصالة الصغيرة إلى جوار الطبخ وذلك لكي يبعد بعض التنبيه على الأمن ولكن لمحصل الذي كان يتناول عشاءه كل يوم هناك أخذ يشكو في مرارة من مثل هذا الجوار ، فنقل «هيبوليت» عندئذ إلى صالة البلياردو .  
لقد كان هناك يش تحت عطاءه السمك ، فاجأ ، مرصم اللحية ، غائر العينين ومن وقت إلى آخر كان يعد له والده العذري في العرق فوق الوسادة القذرة التي يساقط عليها الغمام ، وكانت ستان بولاري تأتي لتعوده وتحمل إليه قطعة من العشاء لبعض اللزقات . وكانت نواسيه وتثجعه وهو فوق ذلك لم يكن يعدم الصحبة ، وحصوها أيام السوق عندما كان الدلاخرون يمدحون من حوزة كرات البلياردو ، ويتنازرون بمضارب ويدخولون ويشربون ويمسجون ويصايحرون وكانوا يقولون له وهم يضرهون على كنفه «كعب حالك» أه إنك لست فحوراً فيما يبرأ ولكنها عقلتك يجب أن تعمل هنا وأن تفعل ذلك .

وكانوا يقصونه عليه فقص أناس شقوا حبيباً بملاح آخر غير علاجه ثم يصيغون على سبيل المراساة إنك تستسلم إلى نفسك كثيراً انهض إذا إنك تدل بصفتك كأنك صلت أه وعلى أية حال فإنك لست تلمة فيها العذريته .

والواقع أن المرعها كانت تتراب شيتاً مشبهاً ، وكان «نوراري» يكاد يعتقد بسببها صوابه ، فهو يأتي في كل ساعة ، وهيبوليت ينظر إليه في كل لحظة بعين مليتس بالمرع ويتتم وهو يشج من البكاء .

«حتى سألني» - «أه» - «أنقذني» - «يا لي من بالنس» - «يا لي من بالنس» . وكان الطبيب يصرف دائماً وهو يوصيه دائماً بالامتناع عن الطعام وكانت الأم «نورانسوا» تعقب عليه بقولها «لا تستمع إليه يا سي كفي ما أنزلواك من عذاب إنك شرذاد صعباً خد ابني» .

وكان تعدم إليه بعضاً من الحساء الجيد ، وقطعة من القعد ، وقطعة من الدهن ، وأحياناً كزوساً صغيرة من الخمر التي لم يكن يجد الشجاعة ليردها إلى شعبه .

وعلم القس أنه يرداد سراً ، فظن أن يره ، وابتدا بالثناء لأله مع الإشارة إلى أن عليه أن يستجيب ما دامت تلك إرادة الرب ، وأن يتهر في سرعة هذه الفرصة لكي يتصالح مع السماء .

وقال رجل الكنيسة بنقمة أبوية «ذلك أنك كنت تهمل بعض الشيء واجباتك ، ولما كنت ترى في الصلاة أنك من «السين لم تقربه فيها من المائدة المقدسة» .

ووجد المسكين وعاد الغيس في الأيام التالية ، وكان يتحدث مع صاحبه الصدوق ، مل ويقص حكايات عروسة بالكات والأحاديث التي لم يعجبها هيبوليت ، ويجرد أن تسبح له الفرصة كان يمدد إلى مسائل الدين وقد اتخذ وجهه مظهراً ملائماً .

والظاهر أن حماسه قد اثمرت ، وذلك لأن الأهرج لم يلبث أن أبدى

رعبته في القهات إلى الحج في «بون سكورا» إذا شعبي ، وأجاب القس عن ذلك بأنه لا يرى خطراً في هذه الرعب ، وأن مضاعفة الخطية خير ، وليس في الأمر أية متناقضة .

ولكن الصيدلي امتنع عما ساء مناورات القس التي تسيء - في رأيه - إلى نقاهة «هيولنت» . وأخذ يردد على مسامع مدام «دورانسوا» : «تركه وتركه ! إنك تترك روحه المضطرب بهذه العييات» .

ولكن السيدة لم تعد تقبل لاستماع إليه لأنه كان السبب في كل شيء . بل ودفعته روح الصداقة إلى أن تعلق في فراش المريض قبلة من الماء المقدس وغضاً من شجر القيقب .

ومع ذلك فلا الدين ولا الحراقة استطاعا أن يسمعا ، وأخذ التعفن العائلي يتصاعد باستمرار من الأنوف إلى البطن ، وغيثاً كانوا يستبدلون المضاعف والمضاعفات ، ومضلاته تزداد تصكاً يوماً بعد يوم . وأخيراً أحباب «شارل» بحركة موافقة من رأسه عندما سأله الأم «لو فرانسوا» عما إذا كان من الممكن ، كملاذ أخير ، أن تستقدم من «بون شاتل» السيد كاتيفيه الذائع الصب

كان دكتوراً في الطب في الخمسين من عمره ، يشغل مركزاً رفيعاً ، وكان دائماً من نفسه ، ولذات لم يخرج كرميل من أنه يضحك في ترفع . عندما اكتشف تلك الساق التي ضمرت فيها المرغيا حتى الركبة . وبعد أن ضرع في حزم بأنه لا بد من إرساله إلى محل الصيدلي حيث أخذ يؤثر عند أولئك الحيوانات ، الذين انتهوا بهذا الرجل المسكين إلى مثل هذه الحفاة . وأخذ يهر السيد هومييه من درار سريره ويصبح . هل من الممكن تعويم أقدم عرجاء ؟ إن هذا يشبه مثلاً محاولة تعويم ظهر أحدي ؟

وكان «هومييه» يفتح وهو يسمع إلى هذا الحديث ، وإن أخفى ضيقه بائسامة مصطنعة ، لأنه كان له حاجة إلى أن لا يفضي السيد كاتيفيه الذي كانت تذاكر أدريته تصل أحياناً حتى «ليونيل» ، ولذلك لم يقم بالدعاج من

بوفاري ، بل ولم يبد أية ملاحظة ، وتحلى عن مبادلة وضحي تكوامه في سبل المصالح الجدية لتجارته

وكان يتر العمد بوساطة الدكتور كنفيه حدثاً جليلاً في القرية . فاستيقظ جميع السكان في ذلك اليوم في ساعة مبكرة ، وبالرغم من أن الشوارع الرئيسي كان مليئاً بالناس ، إلا أنه كان يلوح حزيناً كثيراً ، وكأنهم يأتون بعيد الحكم بالإعدام ، فكثروا يتناقشون عند النقال حول مرض «هيولنت» والمخيلات لا تسع شمتاً وروحه الصميدة لم تتحرك من الباندة سب حالة القلهمة التي كانت يهب في انتظار قدوم الجراح

ووصل الجراح في عربته التي كان يقودها بنفسه ، وبعد أن دخل كالأعصار تحت باب «الأسد الذهبي» تقدم إليه «هومييه» فقال الدكتور : «بني مستعد عليك . هل نحن مستعدون ؟ إلى العمل» .

ولكن الصيدلي اعترف - وقد حمر وجهه خجلاً - بأنه من الحساسية بحيث لا يستطيع أن يحضر مثل هذه العملية .

وأردف قائلاً : «عندما يكون الإنسان مجرد مشاهد فإن الحيات يصدمك كما تعرف . ثم إن جهاري العصبي من »

فقاطعه كاتيفيه قائلاً : «كلام فارغ إنك تلوح على العكس عرضة لهذه الصكنة ، ولو أنه هذا لا يدهشي لأنكم أيها السادة الصيادلة تحبسون أنفسكم باستمرار في مطبخكم بما ينهي شعير مراحكم»

ثم دخل هذان السخفا في مناقشة - قارن فيها الصيدلي هدوء الجراح بهدوء قائد الحش ، وذلك دون أية مراعاة «هيولنت» الذي كان يتعيب عرقاً في ذنابه من شدة الغرغ - وإن تكن المقارن قد راققت لكاتيفيه ، الذي استرسل في الحديث عن مقتضيات من الذي يعتبره رسالة مقدسة . وأخيراً عاد إلى المريض فمحص المضادات التي أحضرها «هومييه» ، وهي نفسها التي كانت قد ظهرت عند عملية إصلاح المساق (الأعرج) ، وطلب شخصاً لكي يمسكه له الساق ، فأرسلوا لإحضار خادم الكبة . وبعد أن شعر السيد «كاتيفيه» عن

ساعده دحل صالة الماردو فيما بقي الصديقي مع صاحبة العنق

وفي تلك الأثناء لم يجرؤ يولاري على أن يتحرك من مرتبه ، حيث ظل في العنينة بالدور الأرضي جالساً إلى جوار المدفأة الخالية من الدفء ، ودقته فوق صدره ، وقد شك يديه وجمدت حذفته . وهو يفكر : « ما له من حظ سيئ . يا لها من حيلة أمل ! ومع ذلك ، فإنه كان قد اتخذ جميع الاحتياطات التي يمكن تصورها ولكن القدر تدخل في الأمر ولكن إذا حدث أن مات « هيبوليت » بعد ذلك ، فإنه سيُعتبر القاتل ثم أي تفسير سيقدّمه في أثناء هيأته مرضاه عندما يسأل عن هذا الحادث ؟ ومع ذلك فعنده خطأ في شيء ما ! وأحد يبحث ، ولكنه لم يهتد إلى شيء . ولكن ألا يحتمل أشهر الجراحين ؟ هذا ما لا يريد أحد أن يعتقد . بل إنهم على انعكس سوف يضحكون ، وسيحسون وسيدع الخبر في كل مكان . ومن يدري أن الرملة لن يكونوا ضده ، ويثور حول ذلك جدل ، ويتطلب الأمر الرد في الصحف ، بل قد يرفع « هيبوليت » ضده دعوى . وأحد يصور نفسه وقد أدين شرفه وبرل به الخراب وضاع وتوالت على حياته حملة من الاقتراصات أحد يسبح بينها كالبرميل الخالي الذي يحمله البحر ويتقلب بين الأمواج .

وكانت « إيماء » تنظر إليه وهي في مواجهة وإن لم تشاطره مدله ( إذ كانت لها مدلة أخرى ، هي أنها قد تصورت أن مثل هذا الرجل يمكن أن يساوي شيئاً ، وكأنها لم تكن قد نبئت من قبل - في وصوح - أكثر من مرة تعاقبه ونفيه )

وأخذ « شارل » يروح ويحي ، في العرفة وحذاءه يرفع فوق عثما .

فالت « إي » : اجلس ، فإنت تثير أعصابي .

فعاد إلى الجلوس .

كيف حدث أن عادت مخططات الحكم رغم شدة دكانها ؟ ثم أي جون محزن ذلك الذي جعلها تلتف حياتها على هذا النحو في نصحيات مستمرة ؟ وتذكرو جميع عرائر البدح الكاسية في نفسها ، وكل ما بقي روحها من

إحسانات « خرمال » وما في الرواج ومنزل الروحية من حقارة ، ثم أحلامها التي سقطت في الوحل كالسوي الجريح ، وكل ما رغبت فيه وحرمت نفسها منه ، وكل ما كانت تستطيع أن تتاله . ثم لماذا - لماذا ؟

وروسط العنمت الذي كان مخيماً على القرية ارتفعت صرخة حادة غشرت الهواء ، فشعب لوف يولاري ، إلى حد الإغماء ، وغطيت « إي » حاجبها بحركة عصبية ثم واصلت خوارطها : فمن أجله . . من أجل هذا الكائن هذا الرجل الذي لا يقم شيئاً ولا يحسن شيء ، فما هو محتفظ بهدوئه لا يحظر بياله أن العار الذي سيطلع اسمه سوف يلطخه في الأخرى كما يلطخه . ولقد بذلت مجهودات لكي تحبه ثم بذلت لأنها استصدمت لشخص آخر .

ولعلنا صاح يولاري إذ كان يعكر فعلها كانت سوسة ؟

وعند مفاجئتها بهذه العبارة التي سقطت في نفسها ككرة من الرصاص في طبق من العصمة أنقضت « إي » ورفعت رأسها لكي تتحدث ما أراد أن يقول وأحد كل منهما ينظر إلى الآخر في صمت وكأنه مبهول عن نفسه ، وذلك لشدة البعد الذي كان بين صبريهما . « شارل » ينظر إليها نظرة مضطربة كالصور ، وهو يصمت جامداً لأخر صبيحات الأعراس الذي يتر ساقه ، وهي تتابع في موجات متراحية تقطعها تشنجات حادة كاستقرار البعيد المنبعث عن دابة قديم ، وأخذت تعض شفتيها الشاحبتين ، وتدير بين أصابعها قصصاً صغيراً من اللابل الذي كسرت ، وقد تبث فوق « شارل » سان حذفتيهما الحادتين وكأنهما سهمان من نار على أوجه الانطلاق ، وقد أخذ كل شيء فيه يثيرها الآن : وجهه وحده وما لم يقله وشخصه كله . وأخيراً وجوده ذاته . كما أحدثت تحاسب نفسها على عهد الماضي وكأنها جرعة ، وقد انهار ما تبقى من تلك اللعبة تحت سوط كبيرتها المقتدرة . وأخذت تتلذذ بمساحر الزب المتصهر ، وعادت إليها ذكرى عشيقها مصحوبة ببلذات مشعنة . وألذت بروحها إلى تلك الذكرى ، محمولة إليها بحماسة جديدة ، وقد لاح لها

«شارل» منعصلاً عن حياتها ومحتجباً إلى الأبد ومسحياً ومتعمد الوجود كأنه صائر إلى الموت وأنه يحتضر تحت نظريتها .

وسمع وقع أنفاس على الرصيف ، فنظر «شارل» ، ومن خلال خشب النافذة المسدل رأى إلى جانبه السوي تحت وهج الشمس الدكتور «كاتيفيه» وهو يجفف جبهته بلمصته و«هرميه» من خلفه حاملاً صندوقاً كبيراً أحمر ثم انحنى الإنسان ناحية الصيدلية .

وعندئذ التفت «شارل» نحو زوجته في النهار وحان معاجي وقال «فيلسي يا عزيزتي»

فقال وقد احمر وجهها من الغضب . «إليك هني» .

فأخذ يردد منهشاً «ماذا بك ماذا بك؟ اهذهني . استودي جأشك . . . إنك تطعين جيداً أنني أحبك . . تعالى . . .»

فصاحت في سرة محبة «كفى»

ثم هربت من الصالة وأغلقت الباب في عصف ، حتى إنه البارومتر سقط عن الحائط وتكسر على الأرض

وتهدوى «شارل» في مقعده وقد اختل مزاجه ، وأخذ يبحث عما يمكن أن يكون قد أصابها ، متصور مرضاً عصبياً ، واستسلم للبكاء كمن رأى في عموض شيئاً مشؤوماً غير مفهوم يحرم حوله .

وعندما وصل «رودولف» إلى الحديقة في المساء ، وجد عثيفته تنتظره عند أسس السلم على أول درجته ، متعانقا ، وذاب حقدكما كالجليد تحت حرارة الحاق .



ومن جديد بدأ غرامها ، بل كثيراً ما كانت تكتب إليه فجأة وسط النهار ثم تشير من خلال الزجاج إلى جومستان ، الذي كان يحل مرلته في سرعة ويطير إلى «الهاشيت» ، ويصل «رودولف» لكي يشكو إليه السأم وتقول إن زوجها كرهه وإن الحياة كرهه .

وصباح بها يوماً وقد نهد صبره : «وهل لي في ذلك حيلة؟» فقالت وهي جالسة على الأرض بين ركبتيه محسولة الصمائر رائحة البصر مع لم أردت

فقال «رودولف» كيف؟

فتنهدت قائلة : «أن تلعب لعبش بعيداً من هنا . في مكان آخر

فقال ضاحكاً : «مجنونة أنت . هل هذا ممكن؟»

وعادت إلى هذا الموضوع فتظاهر بأنه لا يفهم وغير مجرى الحديث والشيء الذي لم يكن يفهمه هو كل هذا الاضطراب في شيء بسيط كالخب ، ولا بد أنه كان لديها باعث وسب آخر يضاف إلى هذا التعلق

والواقع أنه هذا الحب كان يزفاد فموا كل يوم مع زيادة بصورها من زوجها ، وكلما استسلمت لأحد الرجلين كلما ازدادت بغضاً للآخر . ولم يلح لها «شارل» قط في مثل هذا القبح . أصابعه في مثل هذه الغلظة ، وروحه في مثل هذا التشنج ، وعاداته في مثل هذا الابتذال ، كما كان يبدو بعد مقابلاتها لمشيقتها ثم اجتماعها بزوجها ، فإنها رغم غشها عدل دور الروحنة والمرأة الفاضلة ، كانت نهشها صورة ذلك الرأس الذي يلعب شعوره الأسود في خصلة نحو الجبهة الملوحة ، وصورة ذلك النقد الذي يجمع بين القوة والرشاقة ، وبالحملة صورة ذلك الرجل الذي يمتلك حكمة العقل مع جموح الرغبة ، مع أجلته كانت تسوي أظفارها في عاية المثال ومن أجله لم تكن تقنع بأية كحية من المساحيق لوجهه ، أو من المعصور لناديها . وقد أثقلت نفسها بالأساور والخواتم والعقود ، وعندما كان يحين موعد فلدومه كانت تملأ بالورد وهرتيه الكبيرتين المصنوعتين من الزجاج الأزرق ، وكانت ترتب بينها وتهدم ضحيتها كعائية تنتظر أميراً . وكان لابد للخدمة من أن تعمل طول

النهار في غسل البياضات ، كما أن «فيليسيتيه» لم تكن تتحرك هي الأخرى طوال النهار من المطبخ حيث كان «جومستان» الصغير يصاحبها ويراقبها وهي تعمل

وكانت «إي» تملك في صوانها كمية من الأحذية تدبر فيها ثعاً ، دون أن يسمح «شارل» لنفسه قط بأن يدي في ذلك أية ملاحظة . وبعد التسامح نفسه دفع «شارل» ثلاثمائة فرنك ثعاً يساق من الخشب رأته روجت فيها حديقة صامية «هيولييت» . وكان تجويف الساق الصامية مغلقاً بالطين ولها معاصر لولية وصنعتهما معقدة ومن فوقها سرورال أسود . كما تنتهي بحداء من الجلد اللامع المقشور . ولحماً كان «هيولييت» لا يجرق على أن يلبس في جميع الأيام مثل هذه الساق الجديلة ، فقد تصرف إلى مدام بولاري فكفي تحصل له على ساق أخرى أكثر سهولة في استعمالها ، وبالطبع تكفل الطبيب بنس هذه الساق الأخرى .

وعلى هذا النحو أخذ «هيولييت» يستأنف عمله شيئاً بشياً . فكان يرى وهو يجوب الحدة كما كان يعمل من قبل . وعندما كان «شارل» يسمح من بعد صوت عصاه الجفاف فوق الرصيف كان يسرع باتحاد طريق آخر . وكان السيد «ليريه» الناجح هو الذي عهد إليه بشراء الساقين ، فأصبح به ذلك فرصة التردد على «إي» ، حيث أخذ يتحدث معها عن واردات باريس الحديثة ، والآله المستكرات النسائية . وكان يظهر لها مجاملة شديدة فلا يطب بقوداً تعد ، واستسلمت «إي» إلى تلك السهولة التي وحدتها في إشباع جميع بروتها . فشلاً أرادت أن تقدم إلى «رودولف» سوطاً حميلاً كان موجوداً في مكان مصلات في «روان» ، فبذ بالسيد «ليريه» بضمه بعد أسبوع أمامها على الحضبة .

ولكنه تقدم إليها في اليوم التالي بهائورة مائتين وسبعين فرنكاً فضلاً عن السجرات ، وأخرجت «إي» بحرراً شديداً ، إذ كانه جميع أدراج مكتبها حاليه ، وكانوا مبعين «السيودوا» بما يريد على خمسة عشر يوماً ، وللحادثة ستة أشهر ، فضلاً عن مجموعة من الديون الأخرى ، وكان السيد بولاري يتظر بصبر باعد الدفعة التي اعتاد السيد «ديرويرييه» أن يدفعها له كل عام في عيد القديس بطرس .

وقد نجحت أول الأمر في أن تتحصن من «ليريه» ، ولكن صبره بعد ، فهو مطارد ، وقد احتس رأساه ، وإذا لم يسترد بعضه فإنه سيفطر إلى استرداد جميع البضائع التي لديها . فقلت «إي» : لا بأس . فليستردا ولكنه أجاب : أوه . إنني أفرح وإن كنت غير آسف . لا على السوط الذي أفكر في أن أطلب إلى السيد بولاري . وقد فقلت لا . لا . . .

ففكر «ليريه» في نفسه قائلاً : آه . ها قد أمسكت بك . ثم خرج بعد أن اطمان إلى اكتشافه ، وهو يردد في صوت متخفطن وفي صريه المتعاد . فليكن فليسترد فليسترد . رئيسا كانت تحم في مخرج من هذا الموقد يد بالطاغبة تدح وتضغ فوق المدلة لقاعة صميرة من الورق الأزرق مرسله من السيد «ديرويرييه» ، فوثبت عليها «إي» وفتحته وإذا بها خمسة عشر جسيماً من الذهب ، وهي الدفعة المتظرة ، وسمعت «شارل» صاعداً على السلم فألقت بالذهب في قاع الدرج وأحدث المفتح . وبعد ذلك بثلاثة أيام ظهر «ليريه» . قال إن لدي تسوية أقترحها . وبدلاً من المبلغ المتفق عليه . . هل تريد أن تأخذني

فقلت وهي تضع في يده أربعة عشر جسيماً من الذهب . ها هو فذهل التاجر ، ولكي يخفي خيبة أمه ، اندفع في سبل من الاعتبارات ومن عرض خدماته التي رفضتها «إي» كلها . ثم ظلت تتحس في جيب مزيلتها فطعتي المرنك اللتين ردهما إليها وعاهدت عنها بأن تقتصد لكي ترد في المستقبل .

ثم استنرد فكيراها . ولكن لا . إنه لي يفكر في ذلك بعد الآن . وقضلاً عن السوط ذي «البقيض الحقيقي» ، كان «رودولف» قد استلم منها



حتماً نقش عليه عبارة «حبيب القلب» ثم شالاً استخدمه ككوكبية ، وأخيراً  
بسم سجان شديد الشبه بسم الهيكونت الذي كان مثابره قد التقطه قديماً  
من الطريق ، وكنت «إيما» قد استعظت به . ومع ذلك فإن هذه الهدايا قد  
مست كبرياءه مرفعه الكثير منها ، ولكنها أصرت فانتهي «رودولف»  
بالرفض ، وإن كان قد أحس بسيطرتها من واقحام نفسها في حياته  
وكانت تقول له : «فكروني عندما يحين منتصف الليل .

ولما اعترف به بأنه لم يخطر ، وحقته إليه وبها من العتاب كان ينتهي  
دائماً بتلك الكلمة الخالدة : «هل تحسني؟

بجيب : نعم . . أحبك دون شك .

.. كثير؟

.. قطعاً

.. ألم تحب غيري قط؟

فتساءل ضاحكاً : «وهل تعتقدن أنك قد أخذتني بكرة؟

فتبكي «إيما» ، ويحاول أن يهدئها ، وهو يحمل عباراته ببعض النكات  
مقول : «كذلك أني أحببت . أحبك حتى أني لا أستطيع أن أحب  
بديك . من تعلم ذلك . وتشور بي أحياناً رغبة في أن أعود إلى رؤيتك  
عندما تمرقي انفعالات الحب فأستسلم : أين هو؟ وما كان يتحدث إلى نساء  
أحبهن ! فيضحك ويهرب . ولكن لا أليس كذلك؟ إن أية واحدة منهن  
لا تروقت . هاك من هن أكثر جمالاً مني . ولكنني أشرف جداً كيف  
أحب . إنني حادمتك وعشقتك وأنت ملكي وعيني إنك طيب . إنك  
جميل . إنك ذكي . إنك قوي

ولكن «رودولف» يفضل ذلك التعلق الذي لملكه كل من خبيرة ،  
وبحكم موقعها من بعد خنق أية معركة مائسة ، أخذ يلصق في هذا حب  
نبات أخرى يمكن أن يتممها . وكان يرى أن كل حياة أمر غير عملي ، فأخذ  
يعاملها في غير احتفال ، وجعل منها شيئاً مراً محلاً ، فكان حبه نوعاً من

الذائق الأبله المنيء . الإعجاب نحوه وباللذة بالسبية إليها . . . كان اصغرهم ،  
سعيماً يحددهم ، وقد انعمت روحها في هذا التمثل وغرفت مثل دوق  
«كلارانس» في برميل بيده الإفرقي . وبحكم اعتيادها العزاسات عبرت مدام  
بولاري من حياتها ، فظرتها أصبحت أكثر جرأة وأحاديثها أكثر تحمراً ، بل  
لقد تحجرات ذات مرة فخرجت لمرقه مع «رودولف» وبمعها سيجارة وكانها  
أردت أن تتحدى الناس . وأخيراً فإن أولئك الذين كانوا لا يزالون يحتملهم  
شيء من الشك ثم يلبث شكهم أن زال عندما تنزل في أحد الأيام من  
«العصفورة» وقد شددت خصرها في صدر على هيئة الرجال .

ومدام بولاري الأم التي كانت قد لحأت إلى سرور بينها على أثر عراك  
عنف مع زوجها ، لم تكن أقل سيدات الطقة الرجوازية المستعراة ، فأشياء  
كثيرة لم ترقها . منها أنه لم يستمع إلى نصائحها فحرم كتب أدرويات ، ثم  
إن طمع الملوك بعصه لم يكن يرونها ، فسمعت نفسها بأنداء ملاحظات ، بل  
وثارت الخصومة نوع خاص ذات مرة بحصوص «فيلسنتيه» ، فمدام بولاري  
الأم لاحظت في لسان وهي تعمر الممثلة أن «فيلسنتيه» كانت في صحبة  
رجل في حوالي الأربعين من عمره يحيط بعنف وشاح بي ، وعندما سمع هذا  
الرجل وقع أمامها أسرع إلى التسلل من المطبخ . وعندما أخذت «إيما»  
تصحك ، ونكر السيدة الوقور ثار بها الغضب وأعلنت أنه من الواجب أن  
يلتصق الإنسان سلوك الخدم ما لم يكن مستهتراً بالأخلاق طبعاً .

وقالت «إيما» : من أي عالم أنت؟ حالتها مع نظره يلمت من الوقاحة حداً  
دفع السيدة بولاري الأم إلى أن تسأل رويته «ها» عما إذا كانت لا تتدافع عن  
حالتها الخاصة

فكانت السيدة الشابة ، وقد نهضت واثبة : «أخرجي .

وصاح «شارن» نكي يصلح بينهما : «إيما . ماما

ولكنهما كانتا قد ماجتا بالغضب ، فأخذت «إيما» تنفث وهي تردد : «آه يا  
له من تربية . هذه الصلابة الجديدة !

وجرى نحو أمه التي كانت قد خرجت عن طريقها وأخذت تمشي في لها  
من وقعة طائشة ، بل ربما كانت أسوأ من ذلك

وأرادت أن ترحل موراً ما لم تأت «إيما» لتقدم إليها الاعتذار ، بعد «شارل»  
إلى زوجته وأخذ يصيح إليها فكيف تدارك ، وركع على ركبتيه أمامها ، فأنهت  
بأن قلت : فليكن ، سأذهب إليها

وبالمعنى مذت يدها إلى أم زوجها في ترعع المركبة ، وقالت لها معذرة  
يا - سيدتي -

ثم صمدت «إيما» إلى مخدعها حيث انبطحت على السرير وأخذت تبكي  
كالطنين وقد دفنت رأسها في الوسادة

وكانت قد اتفقت مع «دروولف» على أنه إذا جد أمر خطيبو علقب بمصراع  
الهدنة قهصاصة من الورق الأبيض ، حمى إذ كان موجوداً مجددة في  
«ليونيل» أسرع إلى «دور» المتد خيف الميت ، وبالمثل علفت «إيما» الشارة ،  
وبعد أن انتظرت ثلاثة أرباع الساعة تحت فجأة «دروولف» عند ركن السوق ،  
مردت لو فتحت النافذة وسادته ، ولكنه كان قد اختفى فانهارت يائسة مائسة

ومع ذلك فلم تلبث أن خيّن إليها أن أحداً يمشي فوق الرصيف ، فحدثها  
نفسها بأنه هو دون ريب ، سرلت السلم وعبزت العناء وإذا بها في الخارج  
تضي بنفسها بين دراهبه .

فقال أحدهم .

فقلت أم لو نعلم

ثم أخذت تقص عليه كل شيء في حيلة ومخير انتظام وهي تباليح في  
الوقائع ومخترع الكثير منها وحرف في الجمن الأعترافية ، حتى إنه لم يفهم  
شيئاً ، ولكنه قال هي يا ملاكي لسكين تشجعي عودي نفسك على  
الصبر -

فقلت : لقد مضت أربع سنوات وأنا أصبر وأناأم . . إن حباً كحب يجب  
أن يصبر في ضوء النهار إنهم يمدوني وهم أعد استطيع الاحتمال انقضي

وأخذت تلتصق به وقد امتلأت عيناها بالدموع وبريقهما يبعث كالذهب .  
وأخذ صدرها يلهث في صريرات سبعة ، ولم يشمر بحوها بحب شمساً شعر  
في هذه اللحظة حتى فقد صوابه وقال لها «وما الذي يجب أن نفعل ؟ ماذا  
تقترحين ؟»

فصاحت «عندي» اختطفي أو إني أصرخ إليك ، وانتهالت على  
شفتيه وكأنها تريد أن تقبض منه موافقته غير الموثوقة وهي تبعث في قلبه  
فقال «رودولف» ولكن .

- ماذا ؟

- وأينك ؟

فصكرت بضع دقائق ثم قالت : سأأخذها معنا .

فقال وهو ينظر إليها وهي يتعمد . يا لها من امرأة !

وذئبت لأنها كانت قد دلمت إلى الحديقة إذ كانوا ينادونها .

•

في الأيام التالية ذهبت الأم بولاري دهشة بالغة من التغير الذي طرأ على  
روجة ابنتها . وبالمثل أصبحت «إيما» أكثر طردية ، بل وبلغت من التوقير أن  
علمت إليها بصيحة في تحليل الخيار .

فهو كان ذلك بمعان في حداثها بهف معاً - الزوج والأم - أم هي لدة  
الاستشهاد التي تدفعها إلى أن تستشعر - في عمق - مرارة الأشياء التي  
ستتعلم منها ، ولكنها لم تكن تحذر شيئاً . وعنى لعكس من ذلك أخذت  
لعيش كالمضلة في اللدة التي تصجلها من سعادتها القريبة المفضلة . وكان هذا  
هو الموضوع الدائم حديثها مع «رودولف» فهي تنكس على كتمه وتستمع أم  
عندما تصبح في عربة سرك هل تهوور؟ هل هذا يمكن؟ يحيل إلى أنني  
عندما أشعر بالمرية تطلق أشعر أنا نصعد في بالون ، وكأننا نصعد إلى  
السحاب . هل تعلم أنني أهد الأيام ؟ . . وأنت ؟

ولم تكن مدوم بولاري قط جميلة كما كانت في هذه الفترة فقد كان لها

ذلك جمال الذي لا يمكن وصفه ، والذي يبعث عن العبيطة والحمامة والانتصار ، والذي هو انسجام بين المزاج والظروف ، أطعماتها وأحوانها ومراودة اللذة وأحلامها القائمة للشباب ، قد بعثت فيها ما يجعله السواد والمطر والرياح والشمس في الأثرار فتنت بانتدريج لم أزد هرت في النهاية واكتملت طبيعتها . وقد أخذ «شارل» يراها كما كانت في أيام رواجه الأولى معربة لا تقاوم .

وعندما كان يعود في منتصف الليل لم يكن يجزئ عن إفراطها وكان مصباح الليل الصغير يعكس على السقف دائرة من الضوء المهرج ، والستائر المفلتة فوق لهذه الصغير تكونت ، يشبه كوحاً أبيض يتفتح في الظل عند حافة المرور ، و«شارل» ينظر إليها فيجبل إليه أنه يسمع الأفعاس الرقيقة المبعثة من طفت التي أحدث تكبر الآن . ولكن موسم يؤدي سريعاً إلى تقدم ، حتى لكانه يراها عائده من المدرسة عند غروب الشمس ، مشرقة الوجه ، وقد لطحت مريحتها ببداد ، وهفت اللة في دراعها . ثم إنه لا بد من إلحاقها بانقسام الداحلي ، وهذا أمر باعظ الكاليف . فما العمل ؟ وعندئذ أخذ يفكر ، وحظر به أن يستأجر ممرعة صغيرة في الدحية يشرف عليها بعينه كل صباح عند دجابه لعيادة مرضاه ، وذلك لكي يدحر دخلها ويصم في صندوق الادخار ، ثم يشتري أسهماً من أية جهة حسنة التفق ، كتب أن الرمال سوف يردد عددهم . وقد عول على ذلك لأنه كان يريد أن يربي ابنته ، تربية هنية ، وأن يربي عندهم المواقف فتتعلم البيانو . أه كم ستكون جميلة فيما بعد . في الخامسة عشرة من عمرها عندما يشبه أمها . فلبس منها في الصيف فعات كبيرة من الخوص ، بحسبهما الساس عن بعد أختي . وتصورها وهي تعمل في المساء إلى حراهما تحت ضوء المصباح ، حيث تترك له خماً ، ويسى يأمر المزل وتغلقه كنه بظرفها ومرحها . وأحياناً سيكران في استقرارها ، فيعثران لها على شاب صالح ذي مركز متين مسعدها وتدوم تلك السعادة

ولم تكن «إيما» نائمة عند ذلك ولكنها كانت تنظاها بالرم . وعندئذ كان

يعود إلى جوارها كانت تسبظ في أحلام أخرى . ومع ذلك فإن هذا استقبل الحلم الذي استحضره الخيال لم يبعث عنه شيء ، ودر متعب . فالأيام تتشابه رائحة كايوح ، وأخذ كل هذا يتأرجح في الأفق اللاتواني المسحج الضارب إلى برقة ولعص بالشمس . ولكن الطمعة أحدثت سعل في مهدها وبوفاري يوداد شخيرة «إيما» لم تم إلا عند المصباح صدم ألقى العجر غصوه الأبيض على الزجاج ، وأخذ جوستان الصغير يتبع مصاريع الصيدية في الميدان وكانت قد استدعت البس «بيري» وقال له «إني سأحتاج إلى مصطفي . . مصطفي كبير مطر ذي ياقة طويلة» .

فأله قائلاً : هل ستأفري في رحلة ؟

فأله قائلاً : لا . ولكن . لا عليك . إني أعتمد عليك . أليس كذلك ؟  
فأله

واسأمت قاتلة . وسأحتاج أيضاً إلى حقية كبيرة . ليست معرط النثر . عملية

قل مع معم لقد فهمت

وأصافت «ومعها حقية لليل»

فأله «ليري» في قعته هائلاً «أقطع إن في الأمر مرآ»

وقالت مذام بوفاري وهي سرع ساعتها من حراسها . ثم خذ هذه لكي تقطع منها الثمن .

ولكن التاجر صاح بأنها مسطنة ، فهو يعرفها ولا يمكن أن ينك فيها ! فما هذا الصغار ؟ ولكن مع ذلك ألت لكي يأخذ على الأقل السنة . وكان «بيري» قد وضعها في جيبه وأخذ يتصرف عندما نادته لتقول له : إنك ستحتفظ عندك بكل شيء .

ثم فكرت قليلاً وأضافت : وأنا من المصطف فلنك لن تحضره أيضاً إلى هنا ، ولكنك ستعطيني عنوان يعمل وشبه إلى أن يحتضنه إلى حين أطيه

وكان من المصير لعشيعين أن يهربا في الشهر المقبل ، فيسافرا من «أبونابيل» وكانهما ذاهبان نغمهما بعض الحجات في «روان» ، ويكون «رودولف» قد

حجر لما كن وأعد جوازات السفر ، بل وكتب إلى باريس لكي يستأجر العربدة كلها إلى «مرسيل» حيث يتأجران عربة خفيفة يتابعان السير فيها دون توقف على الطريق المؤدي إلى «جنوة» . وكانت قد ربت الأمر بحيث ترسل حقاقتها إلى «بيري» حيث تحملها «المصمورة» رأساً ، وحيث لا يحامر الشئ أي إنسان ، وفي كل هذا لم يعرض قط معبر الطفل ، وكان «رودولف» يشجب الحديث عنها لأن «إيما» لم تفكر فيها .

وكان يود أن يحتفظ بمهلة أسبوعين لكي ينتهي من بعض الإجراءات . ولم تخض ثمانية أيام حتى طلب خمسة عشر يوماً أخرى ، ثم ادعى أنه مريض ، وبعد ذلك سافر في رحلته . ومر شهر آب / أغسطس ، وبعد كل هذه التأجيلات مررا بهاتين أن رحيلهما سيكون في يوم الاثنين 4 أيلول / سبتمبر وأخيراً حل يوم السبت السابق ليوم الرحيل .

وجاء «رودولف» في مساء مبكر عن عاداته فسألته مائلا من أهدت كل شيء ؟ - نعم .

ثم دار حول حوض من الزهور ، وذهب ليحبس إلى جوار الشرفة على حافة الحائط .

قالت «إيما» : «أنت حزين» .  
- لا لماذا ؟

ومع ذلك أخذ ينظر إليها في حنان نظرة غريبة غامضت فثابتة - هل ذلك لأنك سترحل وترك مواضيع حيث وحياتك ؟ أم . اتني أقدر ذلك . ولكنني أنا لست في شيء في العالم . أنه كل شيء بالنسبة إلي . ولذلك سأكون كل شيء بالمسرة إلي . سأكون لك أميرة ووطناً وساعتي بأمرك وسأحبك .

فقال وهو يضمها بين ذراعيه : يا لك من ساحرة فقلت وهي تضحك في شدة أهدد صحيح ؟ هل تحبي ؟ أقسم بذلك إذا .

- هل أحبك ؟ هل أحبك ؟ بل إني أحيم بك يا حبيبي .

وامتد الليل العذب من حورهما ، ورقاع من الظلال تلمب أوراق الشجر ، وأصبحت «إيما» جمورها وأحدثت تشق - في تهدات كبيرة - التسيم للربيع الذي يهب . لم يتعادنا ، إذ كانا غارقين في فيض من الأحلام . وحدثت إلى قبهما عدونه الأيام العاصية ، فباضة صامتة كالهرامس مع كل تلك الرخوة التي يسرها عطر الأزهار ، فمكنت في ذكرياتهما ظلالاً أكثر أسى وعتوا من ظلال أشجار الصفصاف الساكنة الممتدة فوق الحشائش وكثراً ما كانت إحدى دواب الليل كالقنقل أو أم حرس تأخذ في الطرد للثورك الأوراق ويضع من وقت إلى آخر صوت غوغاة ناضجة تسقط من الخميلة

وقال «رودولف» آه يا له من ليل جميل !  
فقالت «إيما» : ستكون لنا ليل أخرى .

وأصابت وكأنها تحدث نفسها «نعم» ما أجمل الأسفار ، ومع ذلك فما هو هذا الحزن الذي في قلبي . أهو الخوف من الجهول ؟ وأثر العادات التي تتخلل عنها . أم أن . . . لا . إنه فرط السعادة . يا لي من ضيعة . أليس كذلك ؟ .

اعترفي

فصاح «إن الأمر لا يزال بأبدى فكري فليزما دمت»  
فقالت في عطف «أبد»

ثم أصافت وهي تقترب منه : «أية كرامة يمكن أن تحمل بي ؟» ليت هناك صحراء ولا هلاوة ، ولا محيط لا أعبره ممتد . وما دمت سعيداً سوياً فلن تكون الحياة بالنسبة إلينا سوى هناك برحمة مع الأيام قوة وكمالاً . . ولن يقتنعنا شيء . فلا هموم ولا عقيات وسوف نحبو لأننا وحدنا إلى الأبد .  
تكلّم رأ أحسي

وكان يجيبها على فقرات متظمة : «نعم . . نعم . .» وكانت قد مرتت أصابعها في شعره وأحدث تردد بصوت صبياني بالرغم من الدمع الغريبة

التي ناسط . «رودولف» . رودولف . آه رودولف حبيبي رودولف» .  
ودقت الساعة نصف الليل .

صاحت : «نصف الليل . . هيا . إنه الغد ، إنه يوم آخر»  
وبهض لكي يرحل ، وكان هذه الحركة كانت يده هربهما ، فبدت «إيما»  
نجاة في مظهر الفرح وقالت :  
- لديك الجوازات؟

- نعم

- لم تنس شيئاً؟

- لا

- متأكد؟

- «دو» شك .

- «ستظري في فندق بروفانس» . ليس كذلك؟ إنك ستنتظري عند  
الطهر؟

فأجاب بإعادة من رأسه .

وقالت «إيما» وهي تقبه القبلة الأخيرة . إلى غد إن شاء الله .

وبطرت إليه وهو يتعبد .

ولم تنتع إلى الخلف ، فبجرت في أعقابها وانحوت على حافة الماء بين  
الأشباب وصاحت : إلى الغد . .

وكان قد عبر إلى الضفة الأخرى من النهر وأخذ يسير مسرعاً وسط  
البرج .

وبعد بضع دقائق توقف «رودولف» . وعندما رآها في ودائها الأبيض  
وهي تختفي في الظل شيئاً فشيئاً ، أحس في قلبه من الخفقان ما دعاه إلى أن  
يستد إلى شجرة لكي لا يسقط . وقال - وهو يقسم اعظم الأيمان - . يا لي من  
مفتن ! ولكن لا بأس فقد كانت عشقة جميلة .

ولتتر عادت إليه صورة جمال «إيما» ، وجميع لذات ذلك الحب ، فاستشعر

الحزن أول الأمر ، ثم ثار ضدّها وهو يقول ويشير بيده في النهاية لا أستطيع  
أن أهجّر موطني وأتحمل عبء طفلة

وكأن يقول هذه العبارات كي يشد من عزمه .

وأضاف ثم هناك الأرباك والمقارب . آه . لا . ألف مرة لا  
والأ كانت حفاطة كبرى مني .

•

لم يكذب «رودولف» يصل إلى بيته حتى جلس فجأة إلى مكتبه تحت رأس  
الوعس المعلق على الحائط بين عتائم الصيد ، ولكنه عندما أخذ القلم بين أنامله  
لم يجد ما يكتبه ، فانكأ برمقيه على المكتب وأخذ يفكر . ولاحت له «إيما»  
وقد أوعلت في الماضي السحيق ، وكان القرار الذي اتخذه ، قد وضع بينهما  
فجأة فترة شاسعة من الزمن

ولكي يستعيد شيئاً من تهاض إلى صواب بجوار فراشه واستخرج منه  
صدوراً قديماً اعتاد أن يضع فيه الخطابات التي تأتيه من النساء ، فانبعثت منه  
رائحة تراب وورود خاملة ، ووقع نظره أولاً على مديبل صغير مقطوع يقع باعثة  
وكان مديبل الذي ترف فيه يوماً من أيامها في أمة مرة . لم يعد يذكر شيئاً  
من ذلك ، وإلى جواره صورة لها تتحبط في أركان الصدوق . ولاحت له  
رأسها مرفقة وبظرتها المفضولة سين الوقوع . وبطول السائل في هذه الصورة  
راستحضر ذكرى صاحبها . اخلطت ملامح «إيما» شيئاً فشيئاً في ذكرته ،  
وكان الوجه الحلي والوجه المصور قد احتك أحدهما بالآخر حتى انحى  
لاثنان . وأخيراً مرأ بعض خطاباتها المليئة بالاستعارات الخاصة برحلتهم  
(وهي خطابات قصيرة عممية ملحة كالكلمات النحارية) ، وأراد أن يلقي نظرة  
على الخطابات الطويلة القديمة المهد فانتزع جميع الخطابات الأخرى لكي يشر  
عليها في قاع الصدوق ، وأخذ يقلب آلياً في كومة من الأوراق والأشياء حيث  
اختلطت الباقات وأربعة الساق ، وقناع أسود ودبابيس وخصلات من الشعر  
وهكذا أخذ يفحص - وهو بهوّم بين الدكريات - الخطوط وأسلوب



الخطابات المتروكة تنوع تلك الخطوط لقد كانت عاطفية أو مرحة عاشة لو حريمه وكان يتذكر من بينها وجوهاً وبعض حركات وبغلب صوت وأحياناً كان لا يتذكر شيئاً

والواقع أن أولئك النساء اللاتي تزاحمن في دأكرته كن يتدافعن بعضهن ضد بعض فيصرن ويهطلن إلى مستوى واحد من الحب يسوي يهنن وأخذ يتناول حقائق من هذه الخطابات الخطاطة ويلهو لبعض دقائق بأن يتركها تساقط كالشلال من يده اليسرى إلى يده اليمنى . وأخيراً مل وشعر بالاجاس ، فانصرف حاملاً الصبوح إلى الصواب وهو يقول يا لها من كومة من المضحكات !

وكانت هذه العبارة حلاصة رأيه . وذلك لأن اللذات كان قد طال وطوَّها على قلبه ، كأطفال المدارس في فناء المدرسة ، حتى إنه لم يعد يسمو في ذلك القلب شيء . أحضر وأولئك اللاتي مررن به كن أقل وعساً من الأطفال أنفسهم ، حتى إنهن لم يحرصن كأطفال على أن يفتش أسماءهن على الحائط

وقال لنفسه : ها غلبنا .

وأخذ يكتب «الشجاعة يا إيمان» الشجاعة ! عشت أريد أن أكون سبياً في تعاسة حياتك .

وحدث «رودولف» نفسه : والواقع أن هذا حق ، فإنا أعمل لمصلحتنا كرجل شريف .

«هل يدرب جيداً عاقبة ما احترمت؟ هل تدركين مدى الهوى التي أسوقت إليها يا ملاكي» يسكنين؟ لا . أليس كذلك؟ إنك تسيرين واثقة مجنونة مؤمنة بالسعادة في المستقبل . . . آه ، يا لنا من تعاسة . . . حمقى .

وهنا توقف «رودولف» لكي يجد عذراً مقبولاً

وقال لنفسه : وماذا لو قلت لها إنني فقدت ثروتي؟ آه لا ، هذا لن يبع شيئاً وسأضطر إلى العودة إلى الموضوع نفسه . وهل من الممكن أن ترد إلى

الصواب مثل أولئك النسوة؟

وفكر ثم أضاف : «إنني لن أنساك ، كومي واثقة من ذلك ، وسأحتفظ لك دائماً بإخلاص عميق ، لكن هذا الهيام سيضعف إن عاجلاً أو آجلاً فهذا هو مصير المشاهير البشرية . وقد يتسرب إلنا الملل ، بل ربما يصيب ذلك الألم المص الذي ساستثمره عندما تأخذين في الدم الذي قد أشاركك فيه لأنني سأكون سببه . ومجرد التفكير في الأحزان التي قد تصيبك يعبثني ، فلتسي يا إيمان لماذا قننرتي أن أعرفك؟ ولماذا أنت جميلة على هذا النحو؟ هل أنت الخلق؟ يا إلهي . لا ، لا ، لا لوم إلا على القدر» .

وقال لنفسه هذه هي الكلمة التي تحدث دائماً الأثر المطلوب .

آه . مو أنت كنت إحدى أولئك النسوة ذوات القلب العذب على نحو ما يرى ، فإني لاستطعت أن أقوم بمحاولة الإشباع أثرتي ، دون حطر عليك ولكن هيامك لمحتع الذي هو سر سحرك وعذابك على النسوة قد صعدك من أن تدركي . يا مرغم بما أنت أهل له من حب وتقدير . ما سوف يكون في وصحت من شذوذ في المستقبل وأن أيضاً هم أفكر في الموضوع في البداية ، بل نعمت في ظل السعادة المثالية التي تشبه شجرة الصالح الأسطورية ذات العصرة السمة الكاوية دون أن أطلع إلى المواقف .

وقال لنفسه : إنها قد تظن أنني عدلت بسبب الحب . آه يمكن

عليك ، يجب أن أنتهي !

«العالم قاسي يا إيمان . وهو سوف يلاحقك أينما تكون . وقد تصطرين إلى التعرض للأسئلة المهرجة والنتيجة والاحتقار وري للإهانة . إهانتك . آوه ، وأن الذي أريد أن لو أجلسك على عرض ، أنا الذي أحمل ذكراك كتميمة ، وذلك لأنني سأعاقب نفسي بالحي جراء ما ست لك من أقم . إنني رحل . أين؟ أين؟ لست أعرف ! لقد أصبحت بالبحر . ودعاً ! كومي دائماً هيبه احتفظي بذكري الشقي الذي ممتد . علمي اسمي لطعنك لكي تردده مع صلواتها» .

وأحدثت دينا الشجعتين ترجمتك ، فنهض «رودولف» لكي يفتق النافذة .  
وقال عندما عاد إلى الجحوس : أظن أن هذا هو كل شيء . آه ولكن هذا  
أيضا لكي لا تعود إلى مطاردتي .

«وسأكون بعيداً عندما تعالين هذه الأسطر الحزينة ، وذلك لأنني أردت أن  
أهرب بأسرع ما أستطيع لكي أكتب إعراء العودة إلى روتلث . فلتجيب  
الصعب . سوف أعود . وربما تحدثنا سوياً فيما بعد ببرود عن غرامياتنا  
القديمة ، ودعا»

وقال لعمه رالف كيف أوقع؟ الخبص لا صديقت؟ نعم هو  
هذا .

«صديقتك»  
وإعاد قراءة الخطاب ليلاً له جيداً .

وحدثت معه في حان قاتلاً ، بها من امرأة مسكينة إنها ستبقي أقل  
إحساساً من الصبح . لقد كان من الواجب أن أسمع موهبه بعض العشرات .  
ولكنني لا أستطيع أن أبكي ، وليس هذا دمي . وعندك سكب «رودولف»  
بعضاً من الماء في كوب وغمس فيه أصبعه ثم أسقط منه نقطة «غليظة»  
أحدثت بقعة شاحبة فوق أذنه . ثم أراد أن يعلق الخطاب فأخذ الختم المنقوشه  
فوقه عبارة «حبيب القلب»

ولكنه قال . إن هذا لا يطابق مقتضى الحال . آه ولكن لا بأس  
وبعد ذلك دخن ثلاثة دخلاين ثم ذهب ليام .

وفي اليوم التالي ، عندما استيقظ حوالي الساعة الثانية ، إذ كان قد نام  
مأسراً ، أمر بأن تجس سلة من الشمس وضع الخطاب في قاعها تحت قبيل من  
ورق اللعب ، ثم أمر «ججيرار» حامل محرته بأن يحمل السلة برفق إلى مدام  
بورفاري . وكان يستخدم هذه الطريقة لمراسلتها فيرسل إليها تيعاً للمواسم  
المرتكزة أو طيور الصيد .

وقال للمحادم : إذا سألتك عن أخاري فأجبها بأنني قد سافرت فيه رحلة ،

ويجب أن تسلم السلة إليها هي ، وأن تضعها بين يديها شخصياً ادع واحد  
حذرك

كانت مدام بورفاري عندما وصل «ججيرار» إلى منزلها ترتب مع «ديليسيه» -  
على مائدة في المطبخ - كومة من الملابس المفضولة .  
فقال الخادم : سيدي يرسل لك هذا .

فتملكها شعور بالخوف وجعلت تبحث في جيبها عن قطعة من النقود  
وهي تنظر إلى الملاح بعين شاردة ، يسد كان يظن هو في دهشة لأنه لم يفهم  
كيف يمكن لمثل هذه الهدية أن تثير عند إنسان كل هذا الانفعال ، وأحيراً خرج  
ويقبت «ديليسيه» ولم تعد إلى «قادرة على الاحتمال» ، فأسرعت إلى المصالة  
كأنها لتدخل إليها الشمس ، وقبضت العملة وانقرعت الأوراق ووجدت الخطاب  
وقننته ثم هرولت مذهولة إلى غرفتتها وكان حريقاً هائلاً يلاحقها من  
الخلف .

وكان تشارلز في العرفة فصحته ، وتحدث إليها فلم تسمح شيئاً ،  
واستمرت تصعد الدرج في سرعة لاهثة فاعلمت فلفة ، وهي بعدها دائماً تلك  
الورقة المروعة التي تفرقع بين أصابعها كقطعة من الصاج . وفي الطابق الثاني  
وقفت أمام محور العلال الذي كان معلقاً

وأرادت عندئذ أن يهدأ ، وتذكرت الخطاب . وكان لا بد أن تتم قراءته فلم  
تجرو ، فلين وكيف؟ دون أن يراها أحد .  
وحذت نفسها قاتلة : آه . لا . لا . هنا . . سأكون مطمئنة .

ودفعت الباب ودخلت  
كانت متكئة على إطار النافذة وهي تعد قراءة الخطاب ، وفي تاضية  
الشارع انبعث من طابق سفلي صوت يشبه الشخير الحاد . فقد كان «يبه»  
يلعب محرطه ، ولكنها كانت كلنا وكثرت انتباهها كلما ازدادت أنكارها  
اختلاطاً ، فكانت مستعيد صورته وتسمع صوته وتطوعه براعيها ، وضربت  
قلتها التي تحقن تحت صدرها . وكأنها ضربات عاتية من قرون كشي .

أخذت تتابع سراعاً الواحدة تلو الأخرى في غير انتظام ، وأخذت تنقي من حولها النظرات ويودها لو انهارت الأرض . ولماذا لا تنهي ؟ وما الذي يمكنها من ذلك ؟ إنها حرة . وتقدمت ونظرت إلى الشارع وهي تقول : هيا . . هيا .

وكان شماغ الضوء الصاعد مباشرة من أسفل يجذب ثقل جسمها نحو الهاوية . وحين إليها أن أرض أحيادها المهترئة ترتفع على طول الجدران ، وأرض العرصة تميل عند الحافة كالسحابة التي تتروح وهي تعوض في الرمال الطافية وهي ممككة بطفاة ، وكأنها مغلقة ومحاطة بنفساء واسع ، وورقة السماء تعروها والهواء يسبح في رأسها الجوفاء ، ولم يكن لديها إلا أن تستسلم وتترك نفسها . ولم يتوقف صوت المرحلة وكأنه بقاء صاحب يدعوها

وصاح «شارل» : زوجتي . . زوجتي

توقفت .

- أين أنت ؟ تعالي

وأدت بها فكرة نجاتها من الموت إلى الإغماء من الخوف ، فأغلقت عينيها ثم انتعشت عند أحست بيد على درعها وكانت يد «مبليسيتيه» التي قالت إن سدي بتظرك يا سيدتي والحمداء على المائدة

وكان لا بد من الزول . . واجلوس إلى المائدة .

وحاولت أن تأكل فكانت اللقم تكتم أنفاسها ، وعبدت بشرب فوطتها وكأنها تخلص ما بها من لقوب . وأردت بالقمل أن تشرع في عد خبوط السج . وفجأت تذكرت الخطاب أهل بعد منها ؟ وأين تجد ؟ ولكنها لم تثر فعد على سبب لترك المائدة ، ثم إنها أصبحت جبانة فهي تعذب «شارل» لأنه يعلم كل شيء . بلا ريب . . وبالعقل بطق «شارل» بهذه العبارات العرسية .

«يلوح أننا لن نرى السيد «وودولف» قريباً»

فكانت وهي تتنفس : من قال لك هذا ؟

فأجاب بهجة حادة . من قال لي ؟ إنه «جبار» الذي فيلته منذ هتية عند باب القهوه العربية . لقد سافر في رحلة أو هو على وشك السفر

واحتقت بالعبرات .

فقال : وما الذي يحدث في هذا ؟ إنه يتعيب على هذا النحو من وقت إلى آخر كي يسري عن نفسه . والواقع أنني أوافق وخصوصاً عندما تكون لدى الإنسان ثروة ويكون غريباً . . . فضلاً عن ذلك مصديقاً يلهو كما يلهو به ، وهو مولع بالعبث . . كما علمت .

وصمت مراعاة لليلة حين دخلت الخادمة .

وأعدت الخادمة المشمش الذي كان مشهوراً على الرب إلى السنة . وأمر «شارل» بأن يحمل إليه دون أن يلاحظ الحجرة التي عت وجه روحته ثم أخذ منه واحدة وقصصها وهو يقول : أوه ! مدهش ! اخذي ادوني ! ومد السنة نحوها فدمعتها برق

فقال وهو يضعها تحت أنفها عدة مرات

«شعبي» دأ يا لها من رائحة

فصاحب وقد نهضت وأثبة «إسي» اختبر

ولكن بمجهود «إردي» حتى هذا الاحتاق

ثم قالت . «لا شيء» . . «لا شيء» . . إنه طائر «هسبي» . اجلس وتناول طعامك .

وما ذلك إلا لأنها خشيت أن يأخذ في استجوابها ولاهتمام بأسرها فلا تترك نفسها

وعاد «شارل» إلى الجلوس «طاعة» لأسرها ، وأخذ يلغظ في يده بوى المشمش ثم يضعه في طبقه

وفجأة مرت عربة روماء عدواً في الميدان ، فأطلقت «إيما» صرخة ، وسقطت جامدة على الأرض على أم رأسها

والحقيقة كان «رودولف» بعد تفكير طويل قد قرر أن يسافر إلى «روان» ولأنه لم يكن هناك بين «الاهاشيت» و«بوشي» طريق آخر غير طريق «أبونفيل» فقد كان لا مفر من أن يعبر لقرية . وكانت «إيما» قد لفتت على ضوء المصباح الذي كان يشترق ضوء الشفق كالبرق .

الفيولوجية على السواء ، والتمس يعرفون أهمية هذا الأمر فهم يمزجون دائماً بالعطور في حقوسهم ، وهم يستخدمونها لتحديد المعن وإثارة الشهوة ، وهذا أمر يسهل الحصول عليه في الجنس الآخر لأنها أكثر حساسية من الآخرين ، ولقد قيل إن بعضهم يصبغ بالإغصاء من القرن الذي يحترق أو رائحة الخبز الطري !» .

وقال بوفاري بصوت خافت : «اعلم من أن ثوقظها»

واستأنف «هومي» وهو يتم ابتسامة الرضى عن نفسه قائلاً : «وفي هذا ما يدل على مدى الاضطراب في جهازها العصبي وأما عن السيدة فياني اعترف أنها قد لاحظت لي دائماً مصادمة باحساسيه . ولذلك لم أوصك قط أيها الصديق العزيز بأي من تلك العقاقير التي يدعون أنها تصدم المزاج لا عقاقير طليعية بل نظام للحياة . وهذا كل ما في الأمر مكبات وملينات ومبعثات . ثم هل تظن أنه ربما كان من الضروري إدارة خيالها»

وقال بوفاري : «ماذا؟ وكيف؟» .

فقال الصيدني «آه» هذا هو السؤال .

«نعم» هذا هو السؤال . . . أو كما قرأت أخيراً في إحدى الصحف . . . هذه هي «شكله»

ولكن «إيما» صاحب وهي سيمعظ «والخطأ؟ والخطأ؟» . وعلت أنها نهدي . . . ونعلاً أصيبت بالهذيان ابتداء من نصف ليل ، وظهروا عليها أعراض حمى مخية

ولم يعادها زوجها خلال ثلاثة وأربعين يوماً ، فتخلت عن جميع مرهات ، ولم يمد يرقده ، بل كان يجلس بنفسها باستمرار ، ويضع يدها على المصحف ويحكمدها الماء البارد ، وكان يرسل «جوستاف» حبي «بيوشاتل» ليحضر النلح الذي كان يقدو في الطريق عبر سوره ثابتة واستدعى السيد «كديفيه» ليسشيره ، واستحضر الدكتور «الازيفير» أستاذة القديم من «روان» ، إذ كان اليأس قد أخذ يساوره . وكانه انهيار «إيما» هو الذي يخفيه روح خاص ، وذلك

وأسرع الصيدلي عندما سمع الصوصاء الذي حدث بالمر ، وكانت المائدة قد انفلتت بما عبيها من أطباق ، وكانت الصلصة واندمج والسكرين والصلصة ورجاجة الزيت مشورة على الأرض ، و«شارل» يسبح و«بيرت» تصيح رعباً ، و«فيليب» نعت يديه ، ملابس البدة التي كانت التشنجات قد حلى طول جسمها .

وحمل الصيدلي من محمده قليلاً من خل المطر ، وقال عندما فتحت عنها ، وهي تشنق القارورة : «لقد كنت متأكداً ، فإنه يوقظ الموتى»

وقال شارل «حدثنا حديثاً استردي حاشك أنا «شارل» حبيك الذي يبك . هل تدريين من أنا؟ هيا . ها هي ابتك الصغيرة قبيها .»

ومدبت الطغمة ذراعها بحمها لكي تتعق بقبها ، ولكن «إيما» أدبرت رأسها وقالت بصوت متقطع «لا . . لا . لا أريد أحداً»

وأعني عبيها من جديد حملوها إلى الفراش . رطلت عدة مافره العم ، معلقة الخفين ، بأسطة يديه ، سكة شاحبة كشال من الشمع

وخرج من عبيها مرفاف من الدمع التي انسابت على الوسادة .

وظل «شارل» واقفاً عند طرف الخدع ، والصيدلي إلى جواره صامساً معكراً على نحو يليق بالمنايات الخطيرة .

وقال وهو يصمط ذراع «شارل» «اطمئني ، فأنا أعتقد أن الأزمة قد مرت» وأجاب «شارل» «نعم» إنها ستريح ، لأن قليلاً

قال ذلك وهو يبرها تام ، ثم أضاف «يا لها من امرأة مسكية يا لها من امرأة مسكية . . . ها هي تتنكر»

وعندئذ سأله «هومي» كيف حدثت هذه الحادثة «فأجاب «شارل» بأنها قد سقطت لعدة وهي تأكل الخشخشي .

فقال الصيدلي . «هذا أمر عجيب ! ولكن من الخائز مع ذلك أن يكون الخشخشي هو الذي سبب الإغماء ، وهناك طبائع حساسة من ناحية بعض الروائع ، بل إن هذا الموضوع يجدير بالدرس من الناحية الباثولوجية والناحية

لأنها لم تكن تتكلم أو تسمع شيئاً ، بل ولاح أنها لا تتألم ، وكان جسمها وروحها قد استراحا معاً من كل اضطراب .

وحوالى منتصف تشرين الأول / أكتوبر استطاعت «لينا» أن تجلس في الفراش ومن خلفها الوسائد ويكنى «شارل» عندما رأه تأكل أول قطعة من الخبز المعطى بالزيت ، وعادت إليها قواها ، فكانت تهض بصبح ساعات بعد الظهر وشعرت يوماً بتحسن محاول أن يحصلها على أن تقوم بزيارة في الحديقة مستندة إلى دواحه . وكان رمل عمرات الحديقة قد اختفى تحت الأوراق ابنة ، فسارت خطوة خطوة وهي غمر حبيبها وتمسد بكتفها إلى «شارل» وهي ما زالت تبتسم

وسارا على هذا النحو حتى نهاية الحديقة بالقرب من الشرفة ، فمدت قائمتها ببطء وظللت عينيها يدها لكي تنظر وبصوت إلى بعد سحق ، ولكن لم يكن ثمة شيء على الأفق غير نيران مستعرة تشتعل في الأعشاب وترس الدخان فوق التلال .

فقال «شارل» «هبت سنتعين نفسك يا حبيبتي» ، ودفعها برفق لكي تدخل تحت العريشة وقال «اجلسي على هذا المقعد لكي تسترخي»  
فقال بصوت متهاافت «أوه لا لا أريد أن أجلس هنا ليس هنا»  
وأصابت بدوار . وصعد النساء عاد إليها المرض بأعراض عاصفة ، وإن تكن في الواقع أكثر عقيداً فهي أحياناً تشكو القرب ثم الصدر والمخ والأطراف ، كما كانت تصاب بقيه . «لمح فيه «شارل» أول أعراض السرطان وفوق كل ذلك كان الروح التمس يحس ندى من انتاجية امدادية

■  
ها هو بداية لا يعرف ماذا يفعل لكي يموه السيد «هوب» عن كل تلذ الأدوية التي أخذها من سيدليته ، وأنه وإن كان يستطيع كطبيب أنه لا يدفع نسها ، إلا أنه مع ذلك كان يحمر خجلاً من هذا الدين التراكم ثم إن نفقات المنزل قد أصبحت باهظة بعد أن صارت الطاغية سيده المنزل فالصوتات تتوالى ، والمتعهدون يتمتمون ، والسيد «ليري» يروح خاص أخذ بلاحقه

والواقع أن هذا الأخير قد اسهر العرصة عد اشتداد المرض بالروجة لكي يهضم الفائتة ، فأحضر المعطف وحقة الليل ، وحقتي سعر كبيرتين بدلاً من واحدة ، وجمعة أشياء أخرى . وهذا كان «شارل» يردد أنه لا حاجة به إلى كل هذه الأشياء ، فقد رد التاجر . في خطوة - بأنها قد طلبها منه وأنه لن يستردها - فضلاً عما في ذلك من مضايقة للسيدة في أثناء نقادتها ، فعنى السيد أن يعكر وأن يقتدر . وعموماً كان مصمماً على أن يرفع الأمر إلى القضاء للمحافظة على حقوقه بدلاً من أن يتردد بضائع .

وبعد ذلك بوقت قصير أمر «شارل» بأن ترد إلى دكانه ، ولكن «فيليسيه» سبت إذ كانت لديها مشاعر أخرى ، ولم يعكر أحد بعد ذلك في ردها فعد السيد «ليري» مطالباً وهو يهدد ويش عرواً بعد طور ، وظل يهاور ويدور حتى المظهر بولندي أن يصفي يكتابه كيميالة تستحق بعد ستة أشهر . ولكنه لم يكمل يوقع الكيميسالة حتى سمطت به فكرة حريشة وهي أن يقتصر ألف فرنك من السيد «ليري» ، فسأل في أرناء عما إذا كان من الممكن الحصول عليها . مضيقاً أنه ستكون لمدة سنة وبالأرباح التي يريد التاجر فحرق «ليري» إلى دكانه وعاد بالمرد ، وأمل كيميالة أخرى تعهد بولندي بمقتضاها أن يدفع لأمره في أول أيلول / ستمبر الفين مبلغ ألف وسمين فرنكاً ، تصاف إلى ائالة رثمانين فرنكاً المتفق عليها من قبل ، فيصبح المبلغ ألفاً وثمانين وخمسين . وهكذا أقروا بستة في ائالة مضافاً إليها الربع مقابل عمولة . وذلك فضلاً عن أن البضاعة قد جنى منها ربحاً يساوي الثلث على الأقل بحيث يخرج من الصفقة مريح قدره مائة وثلاثون فرنكاً في اثني عشر شهراً بل وكان يأمل أن لا تقف العملية عند هذا الحد ، فلا يستطيع صداد المبيع ويجدد الكيميسالة فترى بقوده عند الطبيب وكأنها في دار علاج ، فتعود إليه يوماً وقد اكتوت رنضخمت حتى ليمرق منها الكيس

والواقع أنه كان راححاً في كل شيء . فقد رسا عليه مواد توريد عصر الشحاح لمستشفى «بيوشاتل» ، ووعد السيد «جيرمان» بعدد من الأسهم في



ساحم تربت لطفه في «جروميس» ، وكان يحلم بأن ينظم خط مواصلات  
بالعربات بين «أرحي» و«روان» ، ولما بطون الرمن عدته في شل حرية «الأسد  
الذهبي» ، وستكون عرباته الأسرع و لأقل أجراً والأكثر حمولة كعملة بأن تضع  
كل تجارة «أيرنفل» بين يديه

وتساءل «شارل» مرات عدة بأية وسيلة يستطيع في عدم العمل أن يسد  
كل هذا النقص .

وأخذ يبحث ويتجسس الرسائل ، كأن يرجع إلى والده ، أو أن يبيع شيئاً  
ولكن والده سيصم دونه أدنيه ، وهو ليس لديه شيء يبيعه . وعندئذ أحس من  
الفرح والارباك ما دفعه إلى أن يعدد من مكبره موضوعاً مخصصاً كهدايا ولأن  
عنه إذ أناء هذا الموضوع «إيم» ، وكان كل تفكيره هو تلك المرأة ، وكأنه  
يسلمها شيئاً إذا لم يفكر فيها باستمرار .

وكان الشتاء قامياً وطالت بالبيئة النجدة

ولكن عندما كان يصحو اخو كانو يدعوها في المقعد إلى حوار المقداة  
التي تطل على المبدان ، وذلك لأنها أصبحت تبعض الحديقة . وظلت التامدة  
المطلة عليها معتقة باستمرار . وودت لو يعود خصان الذي كانت تحبه عما  
مضى والذي أصبحت تحفه الآن . ولأنه كان جميع أفكارها قد انصرفت على  
الغاية بتعسها ، فكانت تظل في العرائش حيث تتناول وجبات خفيفة ، وتنفق  
الجرس لكي تسأل الخادمة عن نتيج الذي تعلمه ، أو لكي تتحدث معه

ومع ذلك أخذ الجليد يعكس من فوق سقف السوق في الغرفة شعاعاً  
أبيضاً سائماً ثم جاء المطر الذي أخذ يساقط . وكانت «إيم» تنظر في لهفة  
كل يوم تكرر تلك الأحداث الصغيرة المحترمة التي لم تكن مع ذلك نهجها في  
شيء . وكان أهم تلك الأحداث هو وصول «العصفورة» في المساء

ومع وصول «العصفورة» كانت «صاحبة» الفتى تأخذ في الصباح ونجاوليها  
أصوات أخرى ، سيما بحث «ميريت» عن الحفائب فوق غطاء الحربة وهي  
بدء مصباحه الكبير وكأنه نجمة وسط الظلام . وعند الظهر كان «شارل» يعود

إلى المنزل ثم يخرج ثم يتناول طعاماً من الحساء . وحسب الساعة خلاصة عدد  
الغروب كان الأطفال يعودون من المدارس وهم يجرون أحديتهم فوق  
الرصيف ويقربون الواحد بعد الآخر عذقات المنازل بمساطرهم

وتلك كانت الساعة التي يأتي فيها السيد «ديورميديان» لرؤيتها . وكان يسأل  
عن صحتها ويحمل إليها الأخبار ، ويدهوها إلى الدب في ثروته صغيرة ناعمة  
لم تكن تخلو من طرافة .

وكان منظر موحه فقه يشد من هؤمها .

وفي يوم أشتد بها احرص حتى ظلت أنها تختصر ، فطلت أن تتناول  
القربان ، ويبعضاً كانوا يعدون العدة بالعرفه لهذا التناول ويضعون المائدة  
المزدخمة بأنواع المعانير لستخدام كمدبح ، و«فيسيتيه» ستر الأرض بأزهار  
الدالي ، إذ «دي» خمس بشي . قري يمر مرقها فيخصه من آلامها ومن إدراكها  
وحساسها ، ويربح جسم من هباء الفكر ، وانتدأت حياة أخرى ولأن لها  
أن كيانها الصاعد نحو الله ميمى في ذلك الحب ، كالبحور المشتعل الذي  
يتبدد بخاراً .

رشوا اداء المقدس فوق ملاقات السرير ، وأخذ القيس القربان لأبيض من  
أفرد مقدس ، وانهارت من الشدة الإلهية وهي تمد شعبيها لكي تتناول اسم  
لمسيح الذي تقدم إليها ، وانصحت ستائر محددها حولها في ليونة وكأنها  
سحب ، والشمتان ظنهما فوق خالدة تسبحان لها هالتي مجد يعيش  
الأخبار . عندئذ تركت رأسها يسقط ، وقد خيل إليها أنها تسمع في فضاء  
السموات أعبه الملائكة على عمام الأهود ، وأنها ترى ورقة السماء

وطب هذه الرؤية الرائعة في ذاكرتها كأجمل شيء يمكن أن يحسم به ،  
حتى إنهم لتجاهد الآن لكي تسرد الإحساس بها ، وزعم أن الإحساس لا يزال  
مستمراً ، ولكن على نحو أقل استحضاراً ، وإن يكن بالعدوية الصيقة نفسها  
فروحها التي هدتها الكبرياء تستريح أخيراً في حشوع ، وتتلوق للذة الإحساس  
بضعفها . وأخذت تأمل في ذاتها تحطم إرادتها التي أخذت تفتح الباب واسعة

لغرض من رحمة الله . وهكذا أحسنت بأنه بدلاً من السعادة توجد مسرات أعظم ، كما يوجد حب فوق كل أنواع الحب الأخرى ، حب لا يتقطع ولا ينتهي ، بل يردد على نحو دائم ولحمت بين رؤى آمالها حالة من الصهارة تسبح فوق الأرض وتمتد بالسماء ، هفت إليها روحها ، فودت أن لو أصبحت قديمة ، فاشترت مسابح وحملت قدائم ، ونمت أن تعبد في عرفتها - عند مرقدها - بقوة مرصعة بالمرود لكي تقبلها كل مساء .

وقد وعش القيس لهذا الاستعداد الذي أسننه ، وإن رأى دين «إيما» يمكن أن ينتهي بالانحراب من الانحراب أو الإسراف لمرط ما فيه من لهفة ولكنه لما لم يكن مشحراً في هذه الأمور إذا تجاوزت حداً معيناً ، فإنه كتب إلى السيد «بولار» أمير مكتبة «موسيبور» لكي يرسل إليه كتاباً قيماً لشخص من المجلس اللطيف ، علي «باندكاه» ، عشج إلى الأمير حبيصاً من كل ما كان شائعاً عندك في تجارة الكتب القديمة - شحها في غير مبالاة - وكأنه شخص كمي من المحردوات لمرجوح . وكانت كتبات حبيرة مكونة من أسئلة وأجوبة ، وشروحات ذات سمعة حسنة ، كتلت التي كتبها السيد «دييستر» وروايات وديدة العلاف ذات أسلوب معقول لعقها نفس متحولون ، أو راهبات قادمات من بينها كتيبات «فكر في هذا جيداً» و«رجل لجميع عند أقسام مريم» مؤلفه السيد ذي الذي يحمل عدة ياشين و«صلالات فولثير» موضحة للشبان إلخ

وهم يكن مدام بولاري قد صفا بعد على نحو تستطيع معه أن تقرأ أي شيء - قراءة جلية ، فكانت تقرأ في سرعة مره ، فارتدت عند طغوس الدين ، كما أن عطرفة الكتب الجدليلة بمرتها لما فيها من تكالب على مطاردة الناس لم تكن تعرفهم من قبل ، والفصص الدنيوية المعاصرة بالعين كانت تلوح لها صادرة من جهل بالحياة ، يحبها على تحد غير محسوس عن الحقائق التي كانت تتظفر دليلاً بؤيدها ومع ذلك واطلبت على القراءة وعندما كان يسقط من يدها مجلد كانت تظن نفسها مأخوذة بملك الأسى الكاثوليكي الرقيق الذي تستطيع أن تحسه روح أثيرة

وأما ذكرى «رودولف» فإنها كانت قد مرت بها إلى أحماق قلبها ، حيث بقيت في حالة أكثر جموداً وسكوناً من مومياء ملك في تابوت وكانت تسبعت من هذا الحب الكبير الخط رائحة تخترق كل شيء ، وتظهر بالحنان جو التطهارة الذي أرادت أن تعيش فيه . وعندما كانت تتركع على ركبتها فوق المنصلي العمودي كانت توجه إلى الرب العبارات المدبة نفسها التي كانت تهمس بها قديماً لعاشقها وسط ابتذالات الحب المحرم .

واستسلمت عندما لأعمال النر اللسرة ، فكانت تحمك للملايس للفقرة ، وترس الخط إلى الوالدات . وذات يوم وجد «تاول» عند عودته إلى المنزل ثلاثة صحائف يتناولون الحب على مائدة في المطبخ . لقد استرجعت إلى المنزل ابنها الصغيرة التي كان زوجها قد أرسلها إلى الموضع في أن مرض زوجها ، وأرادت أن يعلمها القراءة . ولم بعد أعصابها ثور مهما يكت استها . وقد وطدت نفسها على الاستسلام والانسجام الشامل وأصبحت لعنة إزاء كل شيء . ملنة بالعبارات المثالية فكانت تقول لخصنها «هل زال مخصصك يا حلاكي؟»

ولم تجد مدام بولاري الأم ما تنيه إلا إذ كان الولع المسرف يصع قمصان الأثام من الصوف بدلاً من أن تصلح عرق مطيحتها . ولكن هذه السيدة العلية التي أحبتها الخلافات الدرية رافقه أن تعيش في هذا المنزل الهادئ ، بل واستمرت فيه حتى إلى ما بعد عيد القيامة لكي تجنب استهتان الأب بولاري الذي لم يكن يموت في كل يوم من أيام الجمعة المقدسة أن يشتري المقاتر ومضلاً عن صحة أم زوجها ، التي كانت تقوي إيمانها قليلاً بفضل استقامة آرائها ووفار حركاتها ، كانت «إيما» تخطئ كل يوم بصحة أخريات مثل مدام «لجنوا» و«مدم «كارون» و«مدم «ديوي» و«مدم «تشارش» والسيدة «لمتارة» مدام «موميه» التي لم ترد قط أن تصدق شيئاً من الشائعات التي انتشرت عن جارتها ، فكانت تصدح بانتظام بين الساعة الثانية والخامسة وكان أعمال «موميه» يأتوا أيضاً لرؤيتها في صحة «جوستان» الذي كان يصعد معهم إلى

الغرفة ، حيث يقف إلى جوار الباب ساكناً صامتاً بل وكثيراً ما كانت مدام بولفاري تعمل من وجوده فتأخذ في إعداد ريشها وتبدأ مسح منطها وهي نهر رأسها بحركة عيفة . وعندما رأى لأول مرة كل هذا الشعر الذي يربل حتى ركبتيها في حلقات سوداء كان هذا النظر بالسبة إلى العنق المسكين بمثابة دخول معاجز في شيء غارق جليد أخافته ووعته .

ولاشك أنه إذا لم تلاحظ تعلماته الصامتة ولا تهيبة ، ولم يخطر ببالها قط أن الحب - الذي احببني من حبستها - يفيض هنا إلى جوارها تحت هذا القميص المصروع من القماش السميك ، ودخل هذا القلب اليافع المتفتح لساعات جمالها فقد أصبحت الآن تغلف كل شيء بخلاف سميت من عدم المسالة ، لمعرفتها ملينة بالعاصفة ، ونظراتها بالترفع ، وحركاتها بالتفاوت ، حتى لم يعد من الممكن تغيير الأثرة عن محبة الغير ، والعناد عن المعصية . عدت ماء مثلاً غضبت من حادتها التي طليت منها أن تسمح لها بالخروج وأحدثت تنسم باحتة من عذر

وقدحاة قالت : «أنت نجسها إذا»

ودون أن تنتظر جواباً من «فيليبتيه» ، التي احمرت خجلاً ، أضافت في نعمة حورية «هيا انظقي تنعيمي»

وفي أوائل الربيع قبت الحديقة رأساً على عقب بالرغم من ملاحظات بولفاري . ومع ذلك فإن هذا الأخير كان سعيداً بأن يراها تبدي إرادة ما وأخذت هذه الإرادة نرداد كلما تقدمت في استعادة عافيتها

فايبدأت بأن وجدتت وسيله لطرد «لأم» «روبي» المرضع التي كانت قد اعتادت في أثناء نقاهتها أن تردد كثيراً على المطبخ ومعهما وضيعةا وريسيها ، والذي كانت أسانه أحد من أسدان أكلي لحوم الشر ثم تحلصت من أسرة «هوميه» ، كما أخذت تتخلص من جميع الزيارات الأخرى ، بل إنها أحدثت تنعم من مواظبها على الكيبة ، ما حظي بموافقه الصيدلي المطلقة ، إذ قال لها في نعمة ودية : «إنك مفعولة قليلاً بالسوح» .

والواقع أن الصيدلي يصح شارل بأن يذهب بامرأته إلى المسرح في «روان» لكي يرمه عنها بسماع المغني الشهير «لاجاردي» وقال له «اصدقي ، حد السدة إلى المسرح ، ولو لم يكن في ذلك إلا إثارتك مرة في حياتك لأحد هؤلاء المزيان العساسة والله ، لو استطاع أحد أن يحل محلي ، لصحبتكم بنفسي أسرعاً فإن «لاجاردي» لن يفي غير ليلة واحدة ، وقد اربط في إنكلترا بأجور ضخمة ، فهو فيما يقولون «المس» مامراً ينقلب فوق الدعاب ، أو هو يصطحب معه ثلاث عشيقات وحشية إلى هؤلاء الفنانين الكبار يحرقون المشعة من طرفيها ، وهم في حاجة إلى حياة متتهكة لكي يشيروا خيالهم قليلاً ، ولكنهم يموتون في المستشفي ، وذلك لأنهم لم يعطوا في شياهم إلى أن يدخروا شيئاً ! هيا هيا مرياً أو إلى البدء»

وهكذا لم تبت فكرة المسرح أن رسحت ببروعة في رأس بولفاري ، فقد يادر فأحسر بها امرأته ، التي رفضت في أول الأمر متعلقة بالتعب وللشفة والتكاليف ، ولكن شارل ، على غير عاداته لم يرضخ ، وذلك لشدة إيمانه بأن هذه الترويح سيعيداً كثيراً . ولم يكن هناك أي حائل ، فقد أرسلت إليهما أنه ثلاثمائة فرنك لم يكونا يتوقعانها ، والديون الجديرة لم تكن جسيمة ، وموعد استحقاق كمبيالتي «البيرة» لا يزال بعيداً ، بحيث أنه لم يكن هناك مجال للتعكير فيها ! ولما كان «شارل» يظن أن امرأته غير متعرجة ، فقد أحد يرداد (إحداً) ، حتى انتهى الأمر بأن وانصبت تحت تأثير إحاحه - وفي اليوم التالي سافرا في الساعة الثامنة في «المصورة» .

ونشهد الصيدلي الذي لم يكن هناك ما يستوجب بقائه في «أبوتفيل» ، ولكنه اعتقد مع ذلك أنه مضطر إلى عدم مفادرتها ، وقال وهو يراها مسافرين : «هيا - رحلة سعيدة ! يا لكما من محظوظين !» .

ثم وحده الحديث إلى «إعنا» التي كانت تنس ثوباً من الحرير لأزرق بمراوح أروع قتالاً : «إنني أراثة جسيمة كالبسة الحب والسوف بشرق غيباؤك في روان» .

وتوقعت «العصورة» عند قلق «الصلب الأحمر» في ميدان «بولوايز» . وكان من تلك المصادق التي توجد في قرى القرى ، وبها حظائر واسعة ، وعرف يوم ضيفه . وفي مآته يشاهد الدجاج وهو يلتقط الشرفاء تحت هرات النسيويين للتجارين ، المنطقة بالأحوال . . .

وأخذ شارل يعمل مورا . فذهب إلى المسرح وكان يحلظ بين الصلاة ولقاصير ، بين البناير واللوحات ، وطلب لإصاحات ولكنه لم يفهمها ، فأرسله المواق إلى لدير . وعاد إلى الفندق ثم ارتد إلى المكتبة ، وهكذا جاب المدينة من أنصاف إلى أضاف عدة مرات من دار المسرح إلى العريق العام .

واشرب السيد قبة وفاراً ومائة وهو . وأما السيد فقد كان يحس كثيراً أن يتأخر عن بدء المسرحية ، ولذلك لم يجد الوقت الكافي لكي يتردد حساه ورحل الاثنا أمام أبواب المسرح التي كانت لا تزال مغلقة

•

كان النظارة واقفين براء الحائط ، وقد تجمروا في مجموعات متقبلة بين حواجر الشرق ، وعلى ناحية الشوارع المارة كانت توجد إعلانات ضخمة كتب عليها بأحرف كبيرة عبارات الوصي دولامرور لاجارودي . . . . . أوبرا . . . . . الخ

كان الجو صحواً حاراً ، والعرق ينصب من الوجوه ، والمتأذيل المشورة تهفف لجبه الممره ، وأحياناً نهج ربح حجرة من النهر فتظهر في رفق حافة مظلات القماش المعلق فوق أبواب المقاهي . ومع ذلك فعلى مسافة قريبة كان يسري تيار منس من الريح الثلجية تموج منه رائحة الشحم والحد والريت ، ونبت كانت رائحة شارع نهرات الهلي بهوانيت كبيرة يدحرجون فيها البراميل .

وأرادت «إينا» أن يمشي قليلاً على رصيف انباء للرحمة ونقضية الوقت ، حتى لا يلوحان مضحكين وهما ينتظران أمام أبواب المسرح التي لا تزال

مغلقة . وأمسك «شارل» على سبيل الاحتياط بالند كرتين في يده داخل جيب سرواله الذي ضمه إلى بطنه .

وخفق قلبه منذ دلفت إلى برده ، وانتمست ابتسامة غير إرادية من العزور عند رأت الجمهور يتدافع على اليمين في المعشاة الأخرى ، فيما صعدت هي سلالم الدرجة الأولى . وكانت تجد مروراً كسرور الأطفال عندما تدع بأصبعها الأبواب الواسعة المطبقة بالليلاد ، وكانت تستشق بملء رئيتها رائحة النعال المعبأة بالعبار ، وعندما جست في مقصورتها شدت جسمها في غطسة المركبة

راحت الصلاة غنى ، وأمسك هي النظارة من حرايها ، وأخذ المشاهدون يلح بعضهم بعضاً من بعد وشبهوا التحية ، وقد أتوا ليشهوا بالصور المعلقة عن قلق التجارة ، ولكنهم لم يسوا الأعمال فط ، فكانوا لا يزالون يتحدثون عن القطن والحمور . . . وكانت ترى رؤوس المصانير المسماة الخالية من كل تعبير وكأنها ميداليات من العضة أطعا بريقها بحلو الرصاص ، والشمال المرر يشرقون في الصلاة ناشرين من فتحات صدورهم الرقعة الوردية أو الناحية الخضراء .

وكانت مدام «بولوايز» تعجب بهم من أعلى ، وهم يقبضون بقمماتهم الصفراء على كرات عصيتهم الملعبه .

وأثيرت مصاييح الأوركسترا ، وتللت الثريا من السقف فأنساب من بلورها نور ، ناشراً بهجة مفاجئة في الصلاة ، ثم دخل الموسيقيون بعضهم حلف بعض ، رسمع أولاً عرضاء من شخير الفيلوبوسل ، ثم صراخ الكمام ، وضجة البوق ، ونوح الباي والمزامير . ولكن لم تلبث أن سمعت ثلاث دقات على المسرح ، وأخذت الطبول تدق ، وعرفت الآلات الحاسبة بعض الأنغام ، وعندما لوتعت الستارة كشفت عن منظر طبيعي .

كان منقى طرق في عاية وعلى اليسار نافورة ماء تظللها شجرة بلوط ، وفلاحون ، وسلاء يحجلون معاطهم فوق أكتافهم . وقد أحسوا بعبون جميعاً

إحدى أغصان الصبد ثم ظهر صبط وأحد ينهل إلى ملاك الشر راقعاً دراعيه إلى السماء ، فظهر شخص آخر ثم اختبأ واستأنف الصيادون غناءهم وأحست «إيما» بتصها من بين قرانات الشباب وسط قصص «ولتر سكوت» ، وغسيل إليها أنه تسمع من خلال الضباب صوت القرب الإسكتلندي ، وهو يتردد بين الأغصان الملتفة والواقع أن ذكريات القصة سهلت لها فهم الأوبريت فتبعت القصة عبارة بعد عبارة ، وذلك بما كانت الخواطر الخفية التي تعود إليها لا تثبت أن تتبدد تحت أسواق الموسيقى ، وأخذت تصرخ مع هذه الأثغام ، وأحست بكيانها كله يهتز وكأن قوس النكمان يمر فوق أعصابها ، ولم تكنها عيناها لكي تأمل الملابس والديكور والأشجار المونة التي كانت تهتر عندما يسير الممثلون فوق المسرح ، والمعاطف وملابس المشي والحجاب وكل هذه الرؤى التي كانت تتحرك في أسجام الموسيقى وكأنها في جو من عالم آخر ولكن امرأة شابه تقدمت وهي تقدم يدرة من النقود إلى فارس أحمر الثياب بقيت وحدها ، وعند ذلك سمع ناي يحدث نغماً كأنه خرير نافورة أو ورقة عصمور ، وعنت «لوسي» مذهياً في تعمة جديدة من «الصوت ماجير» ، كانت تشكو الغوام وتسمى جراحين ، وكذلك «إيما» كانت بود أن نهرب من الحياة لتطير في عناق ، وصحاة ظهر «إدغار لاجاردي»

كان في شجوب رنع يوحي بعظمة الرحام التي تبدو على تلك الأجاس المدة من سكان الحروب ، وكان صدره القوي مشدوداً في صدر من النود ، وحجبر صفيرو مقوش يسطك بصفده ، الأيسر وهو يقب نظرات ولهائه ويكشف عن أنثائه البيضاء

ويروون أن أميرة بونندية سمعت ذات مساء وهو يتي على شاطئ «فيارتر» حيث كان يعمل في القوارب ، فأغرقت به وفقدت ثروتها بسببه ، ثم تحلى عنها بسبب سوء أخريات ، وقد ساهمت هذه الشهرة العمرانية في شهرته العبة .

بل وكان هذا المثل الحيث يحرص دائماً على أن يرج في إعلاناته عبارة شعرية عما هي شخصه من سحر وهي روحه من حساسية ويحجرة قوية وحرارة ثابتة ، وحرارة أكثر من ذكاء ومبالغة أكثر من عاطفة شعرية ، استطاع هذا المهرج أن يرفع من طبعته التي كان فيها شيء من طيبة الخلاق ومصاروع الفيران

وقد أثار اغتملة منذ الظهر الأول وهو يصم «لوسي» بين دراهيه ويتركها ثم يعود إليها وقد لاح عليه أنه باتس . كانت تتلقت به اتعجارات العصب وحسرة الأثين في حنان لا أحد له

والنعمة تتلقت من عقه العاري مدينة بالتهنات والقيلات ، وكان «إيما» ينهي لكي تراه وهي تخدش بأظفارها محمل المقصورة ، وأحدث تملأ قلبها بالمحبيب المعتم الذي يسر مع صوت «الكنتراباص» ، وكانه صيحات غرقى في ضجيج المعاصمه ووجدت فيه صدى بكل ذلك التمل والبهمة اللذين أوشك أن يقتلاها ، وكان صوت المصية يسبح بها رحيماً لتكون معها ، بل ولاحت لها كل هذه الرقية جزءاً أصيلاً من حياتها

ولكن أحداً في الدنا لم يحبها مثل هذا الحب ، فهو لم يك كإدغار في العشة الأخيرة عندما تبادلوا عبارة إلى الغد إلى الغد

واعترت العادة بعبارات الاستحسان ، واستعيدت الحافمة كلها ، وتحدث المشيكان عن أزهار قمرهما ، وعن العهد والفرق والقدو والآمال وعندما بطلا بالرداع الأخير ، أطلقت «إيما» صيحة حادة احتلقت برين آخر النعمات الموسمية

وتسائل بوفاري . لماذا يضطهدنا هذا البيل بهذه الطريقة؟

فأجابت «إيما» . لا . إنه عشقها فقال «شارل» «ومع ذلك يقسم بأنه سيتقم من أسرته . بيما الآخر الذي ظهر من هيئة كان يقول ، «إني أحب «لوسي» وأظن أنها تحبني» ، كما أنه انصرف مع أبيها وكل منهما يتأبط فراع ، الآخر ، لأنه أبوها . ليس كذلك؟



ذلك الرجل القصير القحيح الذي يصح ريش ديك في نبعته؟

وبالرغم من تعبيرات «إيما» منذ بدء الحوار الذي عرض فيه «جديبير» حبه «لأنمة» على سيده «أشتود» ، فإن «شارل» عندما رأى حاتم الخطوبة «الكاذبة» التي اتخذت بها «لوسي» اعتقد أنها كانت تدكار حب مرس من إدغار ، وإن يكن قد اعترف بأنه لم يفهم القصة بسبب الموسيقى التي أبدت كثيراً إلى الحوار

وقالت «إيما» «ليكن ، امسكت»

فقال وهو يحيي فوق كتفها ، «إني فقط أحب أن أفهم كما تعلمين» .

فجالت وقد بدت صبرها ، «امسكت ، امسكت» .

وكانت «لوسي» تتقدم وتساؤها سديها نصف استاد ، وفي شعرها نأج من أحضان البرتقال ، ووجهها أكثر شعوباً من حرير ثوبها الأبيض ، فأحدثت «إيما» غملاً يوم رواجها وقد نصورت نفسها هناك وسط حقول القمح على الطريق الصغيرة ، عندما كانوا يسيرون نحو الكنيسة فلحاح إذا لم تقارم كهده ولم تنضج مثلها؟

لقد كانت على العكس من ذلك فرحة لا ترى الهاربة التي تردى فيها

أه . يا ليسها وهي في بضرة الجمال وقبل التوث بالزوج وضلال الحباثة الروحية قد علقت حياتها بقلب كبير صلب ، وعندئذ كانت الفضيلة والحنان والشهوة والواجب تحتلط معاً بحيث لا تسقط قط من قمة تلك السعادة ولكن هذه السعادة كانت بلا ريب أكثرية متخيلة لكي تنزل اليأس بكل رغبة . فهي الآن تعرف سألقة الإحساسات التي يبلغ فيها الفنى . وهكذا حاولت «إيما» أن تصرف تفكيرها لكي لا ترى في قسيل آلامها على المسرح إلا خيالاً مجسماً يصلح لتحية العيون ، بل وأحدثت بتسم ابتساماً داخلياً في إشفاق مترنح ، وذلك عندما ظهر في أقصى المسرح ، تحت باب من الحمل ، رجل يرتدي عباءة سوداء

وسقطت قبعت الإنسانية عندما قام بحركة ، وبعد ذلك مباشرة ابتدأت

الآلات والمعون في القطعة السداسية . وعرض «إدغار» الهائج المصعب على جميع الآخرين ، بصوته الأكثر صمداً ، وقد أخذ «أنسون» بوجه إليه بتفمات صيقة تعدياته العاتلة ، كما أحدثت «لوسي» تطلن شكوها واحدة ، يها أحد «آرثر» يتم جانياً بعض الأنعام المتوسطة ، والبايتون الأول يدوي كالأرعون ، وأصوات النساء ترجع صاراته على هيئة جروقة متممة وكذبوا يقفون في صف واحد ، وكان الغضب والاشتقاق والغيرة والرهبة والدعشة تنطق ممأ من أفواههم المنفرجة ، فالعاشق المهتاج يشهر سيده المسلون ، وباقفة الداتيللا ترتفع وتخفض تسمعاً لحركات صدره ، وهو يذهب يمينه ويسرة يحظى واسعة ، ويصعق على خشبة المسرح بمهارة الفرمرى المركب في حذاته الطري الذي يتفرج عند ساقه . وخطر لها أنه يحمل بلا ريب حباً لا ينفد حتى يستطيع أن يصب فيه على الجمهور كل حد الغضب الكبير ، وأحتجت كافة برعات النقد من نفسها تحت تأثير شاعرية الدور التي أحدثت تعديها ، وعجلت بحر الرجل بوهم التمثيل ، فحاولت أن تصور حياته ، تلك الحياة الصاخبة المريدة الرائعة ، والتي كانت تستطيع مع ذلك أن تحبهاها ر سمح لخط فتمعرف أحدهما بالآخر وأحبه . وكانت تستطيع أن تجرب معه أوروبا عاصمة عاصمة ، وأن تشاركه متاعبه ومواقف معاره ، وأن تنشط الأزهار التي ترمى إليه ، وأن تطرئ بنفسها ملايسه ، وفي كل مساء تلتقي مشدودة ، وهي حالسة في أحد الأبراج خدع الحاحر ذي التفصيص الذهبية ، انهجارات عواطف تلك الروح التي لم تعي عندئذ إلا لها وحدها ، وهو ينظر إليها من فوق المسرح في أثناء قيامه بدوره . ثم استوس عبيد التحمل . أن ينظر إليها لاشك في ذلك وثارت بها الرغبة في أن تلقي بنفسه بين ذراعيه لكي تحتسي بقرته ، وكأنه قد أصبح الحب مجسماً ، وأن تقول له بل وتصبح . انخطمي . خدي

فلترحل . فذلك . بك وحدك كل أشواقى وكل أحلامي

وبرت الستارة

واحتللت راحة الغاز بالأنفاس ، ورواد هواء المراحل الحو احتشاقاً وأرادت

«إني» أن تخرج وكان الجمهور يملأ الممرات نازحت في معبدها مختقة  
بدفات قلبها وحشي «شارل» أن تصاب بالإغماء ، فجرى نكي يحصر لها  
كوباً من نقيع الشعير . ووجد مشقة كبيرة في أن يعود إلى مقعده ، وأخيراً  
وصل إلى جوار زوجته وقال وهو يلهث لقد ظننت أنني بن أصل هناك  
رحام . . . رحام .

ثم أصاب «احمدسي» من قايمة هناك؟ . السيد ليون ليون؟  
- ليون؟

- هو نفسه ، وسيحضر ليقدم إليكِ تحياته .

ولم يكذب بشيء من هذه العبارة حتى دخل المقصورة كاتب «أبونيل»  
القديم .

ومد يده في صبر تكلف وكأنه من الطبقة العليا المهذبة ، ومدت مدام  
بولاري يدها ألياً وهي تستجيب بلا ريب إلى جاذبية يراة أقوى . ولم تكن قد  
مست تلك البد منذ أمسية الربيع التي كان يهزم فيها مطر فوق لأوراق  
المخصره ، عندما ودع أحدهما الآخر وهي واقفة عند حافة انمامه . ولكنها  
تذكر في سرعة ما يقتضيه الموقف من لياقة ، فتمضت في جهدها ما في  
ذكرياتها من غمول ، وأخذت تستقم في عبارات سريعة .

- آه . . . طاب وقتك . . . كيف حالك؟

- أنت بما؟

وصاح صوب من الصلاة ، إذ كان العصل كذلك قد انشأ «ص»

- أنت إذاً في «روان»؟

- نعم .

- ومد متى؟

- «خرجوا» «خرجوا»

والتمنته إليهما الأنظار فسكنا

ولكنها منذ تلك اللحظة لم تعد نهضت إلى جوقة المثليين ومشهد «أنتون»

وحادته ، وهو دبلوماسي كبير ، كل هذا مر بالسلب إليها فصباً ، وكان  
الأكل قد أصبحت أقل ريباً وشخصيات أكثر بعداً . وأحدثت تذكر لمبت  
الورق عند الصبلي ، والرفة عند المربع ، والمرايات تحت العريشة ،  
والخلوات بين جوار الدفأة ، وكل هذا الحب المتكبر الهدي الطويل المنحفظ  
الجنون ، الذي كانت مع ذلك قد سبته . فعماد يعود إذاً كيف تأمر  
المصادمات فكيف تعود به إلى حياتها؟ وظل واقفاً حلقها مستنداً يكتمه إلى  
حاجر المقصورة . وبين وقت وآخر كانت تجس برعشة من تأثير الأنعام الدافئة  
المبعثة من أفعه إلى شعورها .

وقال وهو ينحني لرقها عن قرب حتى من طرف شاربه خلفه : «هل هذا  
يروفك؟»

فأجبت في غير اهتمام «أوه؟ في الحق . لا لا يروقني كثيراً»

وعندها اقترح أن يخرجوا من المسرح ليتناولوا المثلجات في جهة ما .

فقال بولاري . لا ليس الآن : فنستظر . ان شعرها مغوش ، ما يند على أي  
الشهد سيكون عيباً

ولكن مشهد الجنون لم يُثر اهتمام «لما» ، ولاح لها غشيل «المية مبالغة» ،  
وقالت إنها تصبح بصوت أكثر ارتفاعاً بما يجب .

والتمت إلى «شارل» وهي تقول هذه العبارة ، بينما كان هو منصفاً

فأجاب وهو يتأرجح بين حيرته الواضحة والاحترام الذي يحمله لأراء  
زوجته : «نعم ربما قليلاً»

وقال «ليون» وهو ينهد

- يا له من جو حار؟

- هذا لا يحتمل بالفعل !

وسأل بولاري : هل أنت مترعجة؟

- نعم . . . إني أختق . . . فلهجرج .

ووضع «سيد «ليون» في رفق فوق كتفها ضالها الطريق «المصوغ» من

الدهشة، وهب الثلاثة لكي يجلسوا عند المائدة في الهواء الطلق أمام واجهة أحد المقاهي .

وجرى الحديث أولاً عن مرضها وإن تكن «ري» قد قاطعت «شارل» من وقت إلى آخر، زاعمة أنها تحشى أن يكون في هذا الحديث ما يضيق السيد «ليون» وأحبرهما هذا الأخير بأنه قد أتى إلى «روان» لكي يمضي سبب في مكتب كبير يتعرض فيه بالأعمال التي تختلف في «نورماندي» هه في «باريس» ثم سأل عن «ميرت» وأسرة «هوميه» والأم «لو فرانسوا» ولما لم يكن لديهما شيء أمر بقولته في حضور الزوج إن أحدث لم يلبث أن ترقب

وكان الناس الخارجون من المسرح يخرجون على الرصيف وهم يقدسون أو يهقون بملء حناجرهم «أيها الملك الجليل» . أي «لومي»

وعندئذ أحد «ليون» يتعمق ويتحدث عن الموسيقى . فهو قد رأى «تاسورسي» و«روبيسي» و«برسياني» و«حريزي» فضلاً عن «لاجاردي» الذي لا يساوي شيئاً رغم صرخاته العالية .

وعاطمة «شارل» وهو يرتشف في جرعات صغيرة شرابه «المروج «بالروم» ومع ذلك فمنهم يقولون إنه رافع كل الروعة في الفصل الأخير رائي لبادم الخروجي قبل النهاية ، وذلك لأنه كان قد أخذ بروفتي

فقال الكاتب «ومع ذلك فإنهم سيعرضون عما قريب رواية أخرى» ولكن «شارل» أجاب بأنهما سيرحلان في الغد .

وأخافه وهو يلتفت نحو زوجته : هه ما لم تريد أن تبقي وحدك يا قلبي الصغيرة .

ولنتهر الشاب هذه الفرصة غير المتوقعة التي سبغت له ، معبر من ماورته وأخذ يتحدث «الاجاردي» في مقطوعة الحتمية قائلاً : لو شيء غير جليل ! وعندئذ ألح «شارل» قائلاً : استمرحين يوماً الأحد . هه قرري إنك محبطة في ترددك إذ كنت تخشى أن هذا قد يفيدك أقل فائدة .

وفي أثناء ذلك أحدثت الموائد تعلو من حولهم ، وجاء خادم ووقف إلى حوارهم في تأدب . وفهم «شارل» صاحب كسه ، قمعه الكاتب بدارعه ، بل ولم

بمن أن يترك ، فضلاً عن الثمن ، قطعين من العملة الفضية ربهما عبي الرحام وتتم بولفاري قائلاً : إنني في الواقع غير مرتاح لسقوط التي .

وبدت من «ليون» حركة حفاوة صرفة ثم قاله وهو يتناول قبعته «اتعنا . أليس كذلك إلى الغد في الساعة السادسة»

وصاح «شارل» مرة أخرى بأنه لا يستطيع أن يتغيب أكثر من هذا . ولكن شيئاً لا يمنع «إيما»

وتعنت «إيما» مع ابتسامة عريضة . «ذلك أني ذلك أني لا أدري .

فقال «شارل» . «وعلى أية حال فشكرين ، وأمام الليل كنه .

ثم قال «ليون» الذي كان يصاحبهما «ولأن ، ما دمت في مقاطعة فاني أمل أن تأتي من وقت إلى آخر لتناول مائدة العشاء» .

فأكد الكاتب أنه لن يتخلف عن ذلك ، كما أن لديه حاجة للذهاب إلى «أوبنيل» بسبب أمر يتعمق يمكنه .

واهتموا أقامهم «سان بلان» عندما كانت الكاندناتية تدق الحادية عشرة والنصف .

كان «ليون» مع دراسته لعمانون «يردد على مقهى «الشومبير» ، بل وأحرر فيه بعض انتصارات مع العنايات اللاتي كن يجدهن أتيق المظهر

وكان أكثر الطيبة احتشاماً ، فهو لا يرسل شعره مسرف الطول ، ولا يبيع في قمصه قصيراً ، ولا يصرف في أول يوم في شهر نقود الأشهر الثلاثة

العمامة ، وهو يحافظ على علاقة طيبة مع أساتذته وأما عن الإثراء فإنه كان يسمع هته سولة يتألف لزيادته أو لرهافة حسه

وعندما كان يجلس يقرأ في غرفته أو تحت أشجار الريفون بحديقة اللكسمبورج في المساء كثيراً ما كان يترك مجموعة القوائم تسقط من يده على الأرض ، وتعود إليه ذكرى «إيما» ولكن هذا الشعور أحد يضعف شيئاً

فشيئاً ، وتجمعت فوقه أطماع أخرى ، وإن يكن قد ظل موجوداً خلال هذه الأطماع ، وذلك لأن «ليون» لم يصدق كل أس . وكان هناك بالسبب إليه وعد

غامض يتأرجح في مستنقعات الذهبية المعلقة بعص حيالي موهوم

فدماً عاد إلى رؤسها بعد عيبة ثلاث سنوات ، استيقظ عاطفته ، وحيل إليه أنه لابد من أن يعمر في النهاية الاستسلام إلى رعيته في غلظتها ، مؤكداً حياته قد تضاعف بحكم محالقاته المأجدة ، وقد عاد إلى الريف وهو يحتقر كل من لم يحفظ بعدهاء الأعم وهو في إسفلت باريس . ولا شك أن «ليون» المكين كان يرتعد بلا ريب طعن أمام نازيه معصاة بالداسيلا في هالوق طيب شهير دي شخصية والقباب وعربة حاصيه ، ولكن هنا في «روان» ، وعلى النماء ، وأمام هذا الطيب الشبيه ، كان لا يشعر بأي سرج ، متأكداً مقدماً من أنه ستلقى وبخراة توقف على الأوساط التي يوحد المرء فيها ، فلا يمكن لا يتحدث في الدور الأرضي كما يتحدث في الدور الرابع . والمرأة العتية تبدو كأنها محاطة بكل هذه الأوراق من «التسكوت» الحسية نفسها ، وكأنها درج في بطنها صدوها

وعند ترك «ليون» في مساء البرم السابق السيد والسيدة بولاري ، أحد تبسهما حتى بعد في الشارع ، وعندما رأهما واقفين عند مدق «الصليب الأحمر» دار على عتبه ، وأضى النيل بطونه في تمييز خطته . وفي اليوم التالي ، دخل ردهة القندق حوالي الساعة الخامسة لمتلقى الأنفاس شاحب الوجهين ، وقد انعقد منه عزم احسانه الذين لا يبق في سبلهم شيء

رداً لمخادم قاتلاً . «إن السيد ليس هنا» . فلاح له هذا الرد صال حير ، وصعد ، ولم يصطرب لعلمه ، وعلى العكس فدمت إليه الاعتداءات لأثهما سبي أن يحجروا عن الصندوق الذي يملأه فيه .

فقال «ليون» «أوه لقد حدثت»

كيف ؟

فرحم أنه قد منظم لميزته معادته بحره ، وأسرع إلى إصلاح سخاته ، فقص عليها أنه قد اتفق صاحبه كنه في البحث عنها في صادق الدنية ، الواحد بعد الآخر

وأضاعت قاتلاً : «لقد فطرت أن تبقى إفا» .

– نعم ، ولقد أعطت ، فلا يجوز أن يعتاد الإنسان مسرات نس في طوره كمارستها ، عندما يكون الإنسان محاطاً بالآلاف من الإثرائات .

– آه يتحول إلى . .

– يه ، لا ، فأنت لست امرأة !

– ولكن للرجال أيضاً أحزانهم . .

وبدأت مناقشة بعض الأفكار الفلسفية ، واناضت «إيد» في الحديث عن بؤس المواطن الأرضية ، والوحدة الدائمة التي يرحح فيها العلب

ولكي يجمع نفسه أهميته ، أو من باب الحكمة الساذجة لتلك السردوية التي أدت سرودوت ، أعس الثاب أنه قد أصابه سأم شديد طوال مدة دراسته ، فعلم المرافعات يهيج أعضائه ، ومنه أخرى تستفيه ، وأمه لا تفك عن تعديده في كل خطاب . ولأنهما كانا يجهدان شيئاً فشيئاً بروايت أعضاه ، أخذ كل منهما يستعد هذه الثقة المتريدة خلال الحديث ، ولكنهما كان يتوقعان شيئاً دون الكشف الكاس لأفكارهما ، وبخلاف عندئذ تصرو عارة يمكن أن تترجم مع ذلك ، فهي لم تعترف بحبها لشخص آخر ، وهو لم يقن إنه كان قد نشب

فهو ربما لم يذكر وجبات العشاء التي كان يتناولها بعد الترقص مع «عائيات» ، وهي لم تعد تذكر بلا ريب مقابلات العهد الماضي ، عندما كانت تجري في الصباح وسط الأشجار نحو قصر عشيقها ؟ وكان صوماء المدينة لا يكاد يصل إليهما ، ولأح أن العرفة صغيرة عن عمده لكي تريدهما قريباً في حوتيهما . وكانت «إيدا» سد عقصه شعرها إلى ظهر المفعد القديم ، وقد ارتدت مسطعاً من القطع المطرر ، وكان ورق الحائط الأصفر يتلوه من حمها بأرضية مذهبة ، وقد ظهرت في المرأة صورة رأسها ، بالخط الأبيض الذي يعرف شعرها ، وطولاً أدبيها يروان من تحت خصلاته .

قالت : « ولكن معذرة إلي محطة ! فانا أصيبك بالسأم بشكاياتي  
التي لا تنتهي له .  
- كلاً أبداً أبداً ؟

قالت وهي ترفع إلى السقف حبيها الجميلتين اللتين تترقق فيهما دمعتان  
- ليتك تعلم كل ما كنت أحلم به !

- وإن أبصراً ؟ أوه لقد فاسيت كثيراً ! وكثيراً ما كنت أخرج وأسير  
وأفسكح عن طول شوطي «السب» ، وأذهل نفسي بصحيج الجمهور ، دون  
أن أستطيع التخلّص من الخيال الذي يلاحقني وفي أحد الشوارع الكبيرة  
توجد عند أحد نهار اللوحات صورة إيطالية تمثل إحدى ربات الفن وهي  
تدغ بمقيص وتنظر إلى القصر ، وفوق شعرة المرسل وهرة ، وكان شيء  
يدفعني دائماً إلى هناك حيث أظلي ساعات كاملة . . .

ثم أضاف بصوت مرتعش : « إنها تشبهك قليلاً »

وأدأوت مدام بولندي رأسها لكي لا يرى على شعنها تلك الابتسامة التي  
شرعت فيها ولم تستطع كبتها .

واستمر يقول « كثيراً ما كنت أكتب لك خطابات ، ثم أسرقها بعد  
ذلك ! »

ودم لحب ، واستمر يقول « لقد كنت أتحيل أحياناً أن مصادفة سألني بك ،  
وكنت أعتقد أنني أراك عند منعطفات الطرق ، وكنت أعدد حلف كل مرة  
بتظاهر من بابها شاك أو وشاح يشبه وشاك ! »

ولاح أنها مصممة على أن تتركه يتكلم دون أن تقاطعه ، وقد شبكت  
ذراعيها ، وحسرت رأسها وأحدثت نظره إلى كرات خضها ، ومن وقت إلى آخر  
تحركها حركات صغيرة بأصابع قدمها ثم تهدت قائلة « إنه لما يثير أشتد  
لأنني أن يحيا الإنسان حياة كحياتي لا مائدة فيها ولو أنه كان من الممكن  
أن يستعيد غيراً من أماننا لوجد الإنسان إذا عزاء في فكرة التصحية ! »

وأخذ هو يشيد بالفضيلة والواجب والتفصحيات الصامتة ، لأنه هو نفسه في

حاجة ماسة - إلا يستطيع إشباعها - إلى البذل والتفصحية .  
وقالت « كم أرد بوكت رابعة في مسننشي ! أأجاب « والسعداء إن  
الرجال لا يؤدرون مثل هذه الرسائل المقدسة ، ولست أرى في أية جهة أية  
مهنة . . . إلا أن تكون مهنة الطبيب . . . »

وهرة خضية من كتفها قطعتة نكي تشكو من مرضها الذي أوشك أن  
يقتلها ، ويأبته على إذا لم عادت الآن إلى التالم ! وعلى الفور غنى «ليون»  
هدوء القصر ، بل كان قد كتب وصيته ذات مساء عصبياً بأن يكفى بذلك  
المطام المثلث بالقطعة ، الذي كان يحتفظ به عنها ذلك لأن هذا هو الوضع  
بدي كان يود أن يكونا عليه ! وقد حدد كل منهما مشه لأسمى ، الذي  
يريد أن لو طابق الآن بينه وبين حياته المأصية ، والنوابع أن الكلام يشهد  
أشاعر دائماً !

وقالت عندما سمعت حكاية الغطاء : « ولكن لماذا ؟ »

- لماذا ؟

وترددت قليلاً ثم قال : « لأنني أحببتك حياً مبرحاً ! »

وعباً «ليون» نفسه هنا إذ تحصي العقبة ، وأخذ يراقب ملامحها برؤية  
عينه ! كانت كالسما عتلت قطرد مهد السحب هبة ريح ، فانسحب من  
عيسها المرقاوير مسحة الأفكار الحرة التي كانت تشر عليها الكتابة ، وتهلّل  
وجهها كله بالإشراق .

وانتظر ، فأجاب في النهاية مائلة « لقد خُس إليّ ذلك دائماً » .

وحديثاً أخذاً يقصا الأحداث الصغيرة التي دعته في تلك الحياة البعيدة  
التي كان قد خفها - في كلمة وحده - لغاتها وأحرفها متذكر عريشة  
الذباب ، ولأشواق التي كانت تبها ، وأثارت عرفت ، ومنزلها كله .

فقال : « ولين هو صبارك للسكين ؟ »

- لقد أمانته البرد هذا الشتاء .

- آه - كم فكرت فيه أهل تعلمين أنني كثيراً ما تحيلته على نحو ما كان



عليه فيما مضى ، عندما كانت الشمس تلقي بأشعتها صباح كل يوم من أيام الصيف على خشب النافذة . والمبح حرايكت العاريجي نمران بين الأزهار !  
فقلت وهي تمد إليه يدها ، «أيتها العزيز المسكين»

فأسرع «ليون» إلى الصفاق شعبيه بها ثم قال بعد أن استنشق جرحه كبيرة من الهواء

«لقد كنت بالنسبة إلي في ذلك الوقت قوة عاصفة لا أدرك كنتها ، تأسر حياتي فهي ذات مرة ، مثلاً ، حضرت عندكم وبكنك لا تذكرين بلا ريب . . .»

فقلت : «أتذكر» استمر

«لقد كنت في الردهة في الطابق الأصغر على أكمة الخروج . . . فوق آخر دوحه . . . بل وأذكر أنك كنت تريدني قبة محلاة برهوز صغيرة ردهة . وفرد أنه دعوة منك ، وبالرغم مني صاحبت ، ومع ذلك كنت أزداد شعوراً من دققة إلي أخرى بحماتي ! وبواصت السير بالقرب منك وأنا لا أجرو على أن أتبعك كما لا أريد أن أتركك . وعندما دخلت دكاناً بقيت في الشارع أنظر إليك من الزجاج ، وأنت تحميم قفازيك وتمدين القفود على المكتب ، ثم دفقت بعد ذلك الجرس ، عند مدام «تفاني» ، الثقيل الذي أعلى دونك !

وكانت مدام بوفاري تدهش وهي نهبت إلي من أنها قد أصبحت صجوراً على هذا النحو ، فكل هذه الأشياء التي تستعاد ذكرها الآن بدت أنها نوع من حياتها إذ تعطينا أماناً عاطفية شائعة تعود إليها . وكانت تقول من وقت إلى آخر في صوت حميص رفد أسكت جمرها : نعم ! هذا صحيح !  
هذا صحيح ! . . .»

وسمعا الساعة الثامنة تدفق الساعات المختلفة في حي «بوفاريين» ، المليء بدور الضيافة والكتاتين والصناديق الكبيرة المهجورة ، ولم يعودا يتحدثان ، وبكنهما كانا يشعرا . وهما يظنران أحدهما إلى الآخر . يندبدا في وأسيهما ، وكان شيئاً معماً قد انطلق من عيني كل منهما بحر الآخر ، واشتجكت

أيديهما ، واختلط في هدونه هذه الشرة الماضي والمستقبل والتذكيرت والأحلام ، وأخذت طعمة الليل شكائف موق الجدران ، وأوشكت أن تعتم في الظلال ألوان اللوحات قتل أربعة متظر ، ومن خلال شجرة كناسنت نرى رابوة من السماء السوداء من بين الأسقف المنيبة .

وبهضت لكي شعل شعلتين فوق المصراة ثم عادت إلى الجلوس

فقال «ليون» : ثم ماذا ؟

وأجاب : «ثم ماذا ؟»

وبينما هو يبحث عن وسيلة يستأنف بها الحوار ، الذي انقطع ، قالت له : «كيف حدث أن أحداً لم يعثر لي حتى اليوم عن مثل هذه المناظر ؟»

فصاح الكاتب قائلاً : «إن الصانع المثالية من الصعب فهمها» فهو قد أحسب من النظرة الأولى ، وكان الألم يحرقه في نفسه عندما يفكر في السعادة التي كان من الممكن أن يعمدها لو أن القضاء ترفق مسح بعائنها قبل ذلك وارتط أحدهما بالآخر برباط لا ينقص

فقلت : لقد فكرت في ذلك أحياناً

فأجبت قائلاً : يا له من حلم !

وأصاف وهو يداعب في رفق الأهداب الررفاء لحزامها الطويل : وما الذي يمننا إذاً من أن نبدأ من جديد ؟

فأجبت : لا يا عزيزي . . . إنني عجزت وأنت شاب . انسي استحكك أخريات . . . واستحيي !

فصاح : «السن مثلك !»

«يا لك من طفل ! هيا . . . فلنكن عاقليين ! إني أريد ذلك !

ولوسحت له أسباب استحالة حيهما ، وأن من الواجب أن يظلا كما كانا من قبل في حدود الصلقة الأخيرة .

فهل كانت جادة في حديثها هذا ؟ لا شت أن «إي» نفسها لم تكن تعلم . فقد كانت غارقة في سحر لإغراء وضرورة المقاومة . وكانت - وهي تنظر

إلى الشاب نظره هناك - تدفع في رفق المداخيل الحبية التي كانت تقوم به  
بدها المرتعش

فقال - وهو يتردد إلى الخلف - آه! معدرة! وتولى إيماء لرجع خامض من  
هذا الحياء الذي كان أكثر خطراً عليها من جرأة اودولف عندما كان يتقدم  
سحوها فائماً ذراعيه ، ولاح لها أنها لم ترقط رجلاً في مثل هب الجحاش ، لقد  
كانت الطهارة المنعثة تسب من ملائجه ، وأسد أهدابه الطويلة الدقيقة  
القصوى واحمرت بشرة خديه الصرة ، قرأت في هذه الحصرة رغبته في  
شخصها ، وأحست برعة لا تدفع في أن تحس إلى هذين الخدين شعثها ، ثم  
قالت وهي تحني نحو الساعة كأنها تستطيع الوقت

- يا إلهي! لقد مر بنا الوقت حتى تأخرنا ونحن في ثورتنا!

فهم الإشارة ويبحث عن قبعة - وأصابت

- بل لقد سبت المسرح! وقد تركي السكن يوفاري من أجله حصراً ،  
وكان من المقدر أن يصطحبي إليه مع زوجة السيد «لورمو» المقيم في شارع  
الجسر الكبير .

وكانت القرصة قد صعدت لأنه كان من المقدر أن تسافر في اليوم التالي  
فقال «ليون» : أهذا صحيح؟

- نعم!

- ومع ذلك فلا بد أن أراك ثانية ، فإن ندي ما أقوله لك .

- مان؟

- شيئاً صغيراً جداً إليه! لا - ثم بك لئ تساعري - فهذا مستحيل!

إنك لو علمت أنني إلي - إنك إذا لم تفهمي! إنك لم تفهمي ما  
بعضي! ...

فقال «إيماء» : فومع ذلك فأتت بالغ الفصاحة!

- آه! هذه السمكات! كمى! كمى! أرحمسي واقبلي أن أراك ثانية

مرة ... مرة واحدة ..

- ثم ماذا

وتوقعت ثم استأنفت وكأنها تراجع نفسها : آوه! ليس هذا!

- في أي مكان تريد

- هل تريد ..

ولاح أنها تفكر - ، ثم قامت في رزمة موجرة - أخذاً ضد الساعة الحديدية  
هشة بالكاد رالية .

فصاح وهو يحسك يديها اللتين استعملتهما منه - سأكون هناك!

وكان الأمان واقدين ، وهو من حديدها ، وأحبت رأسها ، فلم يلبث أن  
انحس فوق رقبته وأقبلها قبلة طويلة ، فقالت وهي تصحك صحكات صغيرة  
ربانة ي تكرر القبلات «آه! إنك مجنون - إنك مجنون!

وعندئذ أحس بطل من فوق كتفه ، وكأنه يبحث عن موافقه عينيها اللتين  
سقطتا عليه مبتتين بمظمة باردة!

وارتد «ليون» ثلاث خطوات إلى الخلف لكي يهرج ، ووقف على العتبة ،  
ثم همس في صوته مرتعد : إلى المخذاه .

فأجابت بإيماء من رأسها ، ثم احتفت كالمصعور في العروة لخبورة!

\*

في المساء كتبت «إيماء» إلى الكاتب خطاباً لا ينتهي ، تسجل فيه من الموعد  
وتقول إن كل شيء بينهما قد انتهى الآن ، وإن سعاده تقتضي ألا يعود إلى  
بقائها ولكنها عندما حتمت الخطأ أحسست بارتباك شديد ، لأنها لم تكن  
تعرف عنوان «ليون»!

وقالت لنفسها ، سأعطي له بنصي ، فهو سيحضر عداء .

وفي اليوم التالي فتح «ليون» النافذة ووقف ينفي في الشرفة ويلمع حذاءه  
سعة عدة مرات ، وقد ليس بظلوياً أبيض رحلة خضراء ، وسكب في منديه  
كل ما لديه من عطور ، ثم جعد شعره ، وعاد فأسله ، وذلك لكي يريده  
رشاقة طبيعية!

ثم قال لنفسه - وهو ينظر إلى ساعة اخلاق فيرى أنها الساعة - إن الوقت لا يزال مكرراً جديداً .

وتصفح صحيفة قديمة عن الأزياء ، وخرج ودخل سيجاراً ، وقطع ثلاثة شرايع ، ثم طرأ أن الوقت قد حان ونجى في بطنه نحو ساعة ثورقودام

واشتري الشاب باقة من الزهور ، وكانت هذه أول مرة يشتري فيها زهرة لامرأة ! وعندما كان يستشعر عبقها كان صدره يتفتح كبرياء ، وكان هذه التحية التي أعدها لشخص آخر قد ارتدت فتوجهت إليه !

وعشي أن يراه أحد ، قد دخل الكنيسة في عزم .

وربح «ليون» يتمشى بوقار إلى جوار الجدران ، ولم تلح له الحفاة قط في مثل هذه العذوبة ، فهي مسحضر بعد قليل ساحرة مصطربة ، ترقب الطرقات التي تنابعها من خلف ، وقد ارتدت ثوبها ذا الباقات ، وضارته الذهبية ، وحلهاها الرقيق ، وكل تلك الأناقب التي لم يسبق له أن رآها ؟

وفككتها لم تغضراً وجلس فوق مقعد ، ولتلقه عينا بلوح من الزجاج الأزرق رسمت فوقه صورة بحاره يحملون سلالاً ، فطار إلى اللوح طويلاً في شبه ، وعدّ قشر السمك ، وأزوار أقمص البحارة ، بينما أخذت أفكاره تجوم ناحية عن «إيما»

وأحد خادام الفن يستمر داخلياً من هذا الشخص الذي سمح لنفسه بأن يتأمل في إعجاب الكانديرايه وحده ! ولاح له سلوكه شاماً ، وكأنه يسرق منه شيئاً ، ويهدس شيئاً مهدساً !

ولكن ها هو يسمح لحبيب ثوب من الحبر فوق البلاط ، ويرى حافة قبعة ومرة سوداء . . . . إنها هي ! ونهض وعاد لكي يلتقيها !

كانت «إيما» شاحبة تسير بسرعة .

وقالت وهي تمجد إليه ورقة : «اقرأ أو . . . لا»

وأعدت يدها فجأة لكي تدخل في هيكل العذراء ، حيث جثت على ركبتها فوق مقعد وأخذت تفلي ! وثار الشاب من تلك التزود البنية ثم

شعر مع ذلك بشيء من النلة في أن يراها وسط موعد غرامها غارقة ، على هذا النحو ، في الابتهاال كأنها إحدى مركبات الأندلس ! ولكنه لم يلبث أن شعر بالسأم ، لأنها لم تنه من صلاتها .

كانت «إيما» تفلي ، أو على الأصح تحاول أن تفلي ، على أمل أن يول عليها من السماء قرار مفاجئ . وركعت قرب المذبح كي تستجلب العود الإلهي وتستششق عطر الزهور البيضاء لمتحة في الزهيرات الكبيرة ، وتلقي أذنها بصمت الكفة الذي لم يكن له من أثر سوى أن يريه في صاحب قلبها

وهضت وهضت بالخروج ، وإذا بحادم الأسقف يقترب منها بسرعة وهو يقول :

- إن السيدة ليست في هنا بلا ريب ، ولكنها تريد أن ترى طرائف الكنية

فصاح الكاتب غائلاً : «لا» .

وقالت هي : «ولم لا» .

وذلك لأنها كانت - بضمياتها المهتزة - تتعلق بالعذراء والتمائيل والمقابر في جميع المناسبات . ولكي يسيرا في المشاهدة بنظام عاد بهذا خادام الأسقف إلى المدخل بالقرب من الميدان ، حيث أشمار بعضاء إلى دائرة كبيرة من الأرض المرصوفة السوداء ، حالية من النقوش والرحارف ، ثم قال في عظمة

- هذا هو محيط ناقوس أمبولار الحسب ، الذي كان يرن أربعين ألف رطل .

ولم يكن له مثل في أوروبا كلها ، وقد مات العامل الذي صبه من الفرح

وقال «ليون» : فلتنصرف !

واستأنف الرجل السير ثم عاد إلى هيكل العذرة ، ومد ذراعيه في حركة قوية العدالة ، وهي كبرياء يعوق كبرياء ملاك الويف ، عندما يظلمون على هرايش حقائقهم ، قال :

- إن هذه البلاطة البسيطة تعطي «بيير دي بريريه» ، سيد «اللازي» ،

و«بريريه» من شال «بواتو» و«حاكم «بورهديا» ، الذي مات في معركة

وأخذ «ليون» يتعمق وهو بعض شعبة

واستمر العوامس في الشرح والتفصيل وأعدت مدام بولفاري مظاريفها ، و«ليون» ينظر إليها سائكاً دونه أن يحاربه أن يقول حتى كلمته واحدة ، أنه لم يقوم بحركة واحدة ، وذلك لشدة ما أحس من بأس إزاء هذه المؤامرة المؤمجة من الثروة وعدم المالية

واستمر الدليل الكنسي دون أن يتوقف ، ومع استمراره في الكلام ، دفع بهما إلى صومعه مكتبة باخراجر التي أرح بعضاً منها ، وكثف عن كتلة من الحجر ، ربما كانت مضا مضى مثلاً رديء الصنع ، وقال في أنه طويلة إنه كان يرس بما مضى فمر «ريشارد قلب الأسد» ملك إنكلترا ، ولكن «ليون» أخرج بحركة عصبية قطعة يصف من جيبه ، وأمسك «ليما» من ذراعها ، فأخذت رجل الدين الدهشة ، ولم يفهم قط هذا الصعاء ، فذبح ، بينما ظلت أمام الرافئ العربي أشبه كثيرة تستحق أنه ترى ، وبذلك ناداه قائلاً : «أين أيها السيد ! السهم ! السهم ! . . .»

فقال «ليون» : «شكراً» .

وقال خادم الكنيسة «إن السيد محطى ! إنه طوله أربعمائة وأربعون قدماً ، أي تسعة أقدام أن من هرم مصر لأكبر ، وهو كله من الحديد الزهرة وهو»

وأخذ «ليون» في الهرب ، إذ لاح له أن حبه الذي غمد في الكنيسة مد ساعتين كاستحارة ، مباحق لأن في الشجر كالدخان ، من طريق تلك القصة المثمرة الصاعدة من القفص المتطبل ، وكأنها مدخنة مقبوة جانبة بشكل مضحك على الكاتدرائية .

وسأله «ليما» : «إلى أين نحن ذاهبان؟»

واستمر «ليون» في السير يحطى سريعة دون أن يجيب . وكانت مدام بولفاري قد غمست بالعمل أصبعها في الماء المتدس ، عندما سمعا خيمهما

نفساً كبيراً لاهناً يقطعه في انتظام وقع عصاً ، فالتفت «ليون» .

- سيدي !

- ماذا؟

ورأى أمامه خادم الأسقف حاملاً تحت ذراعه ، ومنداً إلى يمينه ، حوالي عشرين مجلداً كبيراً كانت عبارة عن الكتب التي تتحدث عن الكاتدرائية ! فتمتم «ليون» وهو ينطلق خارج الكنيسة

«يا له من عمل !»

ورأى عملاً يلعب في الساحة فقال له : «ادهب واحضر عربة» .

فانطلق الطفل كالهم ، في شارع «كاترين» وعددت يقب وحيدتين لسبع دقائق وجهاً لوجه في شيء من الارتباك .

فقال في دلال : «أه ! ليون ! حقاً ! لست أدري !» إذ كان من الرجب

ثم أضافت بعمة جادة : «هذا غير لائق بتاتاً ! . . . ألا ترى ذلك؟» .

فأجاب الكاتب «ما وجه عدم لياقته؟» إذ هذا يحدث في باريس !

وجعلتها هذه العبارة ثبت في الأمر كأنها حجة لا تدفع .

ولكن العربة لم تصل ، وكان «ليون» يحس أن تعود إلى كنيسة !

وأخيراً ظهرت العربة !

وصاح بهما خادم الأسقف الذي كان لا يزال ونعماً «مخرج على الأقل من الباب الشمالي لتشهدا السعت ويوم الحساب والجنة والملك داوود» والمعلمين في نار جهنم .

وسأل الجودي : «إلى أين يذهب السيد؟»

فقال «ليون» وهو يدفع «ليما» في العربة : «إلى حيث تشاء» .

وانطلقت المركبة الثقيلة في الطريق .

قال صوت مبعث من داخلها : «استمر !»

فستأنفت العربة السير . وعجرو أن عادت ميدان «الفايت» انصقت في

لا تحذر حتى أوشكت أن تدخل وهي تعدو محطة سكة الحديد

فصاح الصوت نفسه . « لا . . . استعز إلى الأمام »

وخرجت العربة من السور الحديدية ، وبمجرد أن وصلت إلى الساحة أخذت تخب في رفق وسط أشجار الدردار الضخمة ، فجعلت يهودي جيبه ، ووضع قبعة الحديدية بين يديه ، ودفع للعربة حراج الطريق الممتد على حافة الماء ، إلى جوار الحشاش

وسارت العربة في محاذاة النهر على طريق مرسى السفن المرصوف بالإسفلت الجاف إلى مسافة طويلة من ناحية «أوبسيل» ، بعد أن جازرت الجسر

ولكنها اندفعت فجأة عبر طريق «كاترامار» و«فوتفيل» و«فرائد شوسيه» ، وشوارع «أليف» ، ووقفت وتحتها الثالثة أمام حليقة الساعات وصباح الصوت في هتب أشد : «استعز في السير» .

واستأنف الشوط فوراً ، ثم عدت وأخذت تسكع دون قصد ولا اتجاه معين ، فتركت عند «سان هول» ، وجل «جارجان» ، و«روحيجار» ، و«ميدان جيارود» ، وشوارع «مالادويريه» ، ولقبرة التذكارية ! ومن وقت إلى آخر كان اليهودي يدفع من فوق مقعده بنظرات يائسة إلى الحشاش ، إذ لم يفهم هذا الولع بالحركة الذي يدفع هذين الشخصين إلى حد لا يريدان معه الوقوف ! ولقد حاروا أن يفهم أحياً ، ولكنه كان يسمع فوراً صياحات المصعب تنطلق من تحته ! وعندئذ كان يهال بالنسود على الحشاشين الهزيلين المتصيين عرقاً ، دون أن يلقي بالاً إلى اهتزازات العربة وهي تجل ههنا وهناك وقد اعتل مزاجه ، وأوشك أن يركي من الغضب والتعب والحزن !

وعند المبدأ وسط عصابات الفل والبراميل ، وفي الشوارع ، وعند المنطحات ، كان الناس يحملقون بعيونهم دهشة من هذا المنظر الغريب في الريف . سطر عربة ذات صانعة جدلة ، وقد لاحت باستمرار أكثر إنغلاقاً من غيرها وهي تهتز كالسبينة .

وفات مرة ، في منتصف النهار ، وفي قلب الحقول ، وفي الوقت الذي كانت ترسل فيه الشمس أقوى أشعتها فوق المصانع العتيقة الفضية اللون ، سرت يد عارية من تحت الستائر الصغيرة الصغراء ، وألقت بقصاصات من الورق انشوت مع الريح ، وتناطلت عن بعد قريب كهراشات بيضاء فوق حصن من البرسيم الأحمر المردحرا

ثم وقعت العربة حوالي الساعة السادسة في رفاق يحي «برلوازي» ، وبزيت منها امرأة أحدث تير مبدلة الخمار دون أن تنعت إلى الرءاء

\*

عندما وصلت مدام بوفاري إلى الفندق أدهشها ألا ترى «انصعورة» فإن «هيفير» بعد أن انتظرها ثلاثاً وخمسين دقيقة كان قد رحل

ومع ذلك فإن شبحاً لم يكن يضطرها إلى الرحيل ، إلا أنها كانت قد وعدت بأن يعود في مساء نفسه ، وكان «شارل» يتظرها ، كما أنها كانت قد أهدت ثمنه في سبيلها بذلك الخفوض الخبان الذي يعسر بالنسبة إلى الكثيرات من النساء بمثابة العقاب ، لتكفر عن الحياة الزوجية في وقت واحد .

وسرعه أعدت حقيبتها ودفعت الحجاب ، وأخذت هربة من الساحة ، ورحلت اليهودي وشجعته ، وهي تسأل في كل دقيقة عن الساعة ، وعن الكينوسيرات التي يطعننها ، حتى تمكنت من المحاق بال«انصعورة» عند مشارف قرية «كويكانوا»

وبمجرد أن جلست في مقعدها أخذت عبيها وهم تفتحهما إلا أسفل النهض ، حيث لمحت «ميليبيته» عن بعد ، والتي كانت نفع في مكان بارو أمام منزل البطار وشد «هيفير» جان الخبز ، واشترابت لطافية حتى مبعص ناب العربة ، ثم قالت في توجس : «يجب أن يدعي يا سيدتي فوراً عند السيد «هوم» من أجل شيء لا يحتمل لإطلاء»

كانت القرية صامدة كمعادنها ، وفي أركان الشوارع كراسي صعبة وردية يتصاعد منها البحار في الهواء ، وذلك لأنما كما في موسم لمريبات . وكان



جميع الناس في «أبوليل» يعدون خريهم في اليوم معه ولكن الناس كانوا يعجبون - أمام دكان الصيدلي - بكومة أكبر كثيراً تفوق الكموات الأخرى بقدر ما يهوق مصبح مراً منزلياً ويقدر ما تفوق حاجة عامة بروب مرديّة !

ودخلت ، حيث رأيت المقعد الكبير مقفولاً ، حتى إنَّ صحيفة «مانال دي روان» كانت مغلقة على الأرض عددة بين الهاوتين . ودفعت باب الصلابة فرائت وسط المطبخ ، بين القدور الدائكة «طبقة» بعب الدنّب اسمرط ، والسكر «مدقوق» ، والسكر القنواب ، و«وازي» الموضوعة على المائدة ، والأحواض التي على النار ، ورأت عائلة «هوميه» كباراً وصغاراً وقد ارتدوا مردين تصعد حتى أدقانهم ، وفي أيديهم المعارف ، و«جوستان» واقف معني الرأس ، والصيدلي يصيح

- من الذي قال لك أن تذهب لتبحث عنه في الخزانة ؟

- ماذا تعني ؟ وما الأمر ؟ ..

فأجاب الصيدلي «ماد أمي ؟ إننا نصح مريّات ، ولكنها أوشكت ، وما هي على النار ، أن تمبيض بسبب العليان الشديد . وقد طدبت حوضاً آخر ، ورن به - بسبب الرحاوة والكنس - يذهب ليأخذ مصباح الخرف من المسماح المعلق في محلي . وهذا هو الاسم الذي كان الصيدلي يطلقه على حجرة تحت السقف مليئة بالأواني والسبع اللازمة لمهنة

نقد لاح له عمل «جوستان» بشعاً ، بما يدين عليه من نقص في الاحترام ، وأصبح في وجهته أكثر من عب الذنّب ! وهو يردد قائلاً «نعم ! مصباح الخرف ! المصباح ، الذي يعلق الباب على الأحماض والقدريات الكاوية ! لم يذهب ليأخذ حوضاً احتياطياً ! حوضاً ذا خطأ ، حوضاً ربما لا أستعمله قط وكل شيء له أهميته في السمات الدقيقة التي تراولها في فناء . ولكن !

يجب إقامة الحدود بحيث لا تستخدم في مهصات تكاد تكون مريبة ما هو ساعد المهصات الصيدلية ، والأكثر كمن يقطع دجاجة بمشرط ، أو كفاض . . .

وقالت مدام «هوميه» : «ألا لفتنني من روعك !»

وشدته ابنته «أنالي» من سترة وهي تقول «بابا بابا ! فقال الصيدلي «ألا ! أتركوكي ! أتركوكي ! يا للحبية !» ، إنه لمن الأفضل إذاً أن أفصح محل بقالة . بشرمي أهيا . . . ذهب ! لا تحترق شيئاً ! كسراً ! سطم ! أطلق ! اطلق ! أحرق الأعشاب الطبية ! وحلل الخمير في زجاجات الدواء ، ومرض الصمادات !

وبالت «إننا» «ومع ذلك فإن لبك !»

- هل تعرف لأي شيء تعرضت منذ لحظة ؟ . ألم تر شيئاً في الركن إلى اليسار على المنصة الثالثة الصغيرة ؟ تكلم ! أجب ! انظر بشيء ! فتمتم الغلام قائلاً : «إنني . . . لا أعرف !»

آه ! أنت لا تعرف ، ونكي أن أعرف ! لقد رأيت رجلاً معلقاً بالشمع الأبيض تحترق على محروق أبيض ، وقد كتب عديداً «خطر !» وهل يعرف ماذا كان بها ؟ «أورنج» ! وكنت ستمه ! وتأخذ حوضاً في جوانه !

وقالت مدام «هوميه» وقد ضمت يديها ، «روبيخ» إلى جوانه ! لقد كان من الممكن أن تصيب جميعاً بالتسمم ! وأحد الأعمال يطلقونه الصيحات ، وكأنهم قد أخذوا يشعرون في أعناقهم بالأم مبرحة

واستمر الصيدلي بقوله أو يصيب مريضاً بالتسمم ! لقد أردت إذاً أن أذهب إلى مقعد الخمرين في محكمة الخنايات ! وأن تراني أصعد إلى «شقة» وهو تجهل الحمرين الذي أراعه في تناول تلك «طواد» بالرغم من خبرتي الطويلة ؟ ! وكثيراً ما ياخذني أنا نفسي الفزع عند أفكر في مسؤوليتي ، وذلك لأن الحكومة تطارد ، والقانون الأخف الذي يحضيه به سطم على رؤوسنا كأنه سيف «داموكليس» ! (١١)

(١١) رجل من حاشية «ديوسوس» حاكم «ميركورا» (القرن الرابع قبل الميلاد) دعا الحاكم إلى ويمة «وعلى فرى رأسه سيماً مربوطاً بشرة حصان ليبين له أن سعادته الضالمة معرضة أبداً للاختلال

ولم تعد «إيما» تتذكر في أن تسأل عما يراد منها ؟

واستمر الصيدلي يقول في عبارات لاهثة -

«هكذا تقدر كل لحظات التي سببها إليك ! هكذا تكافئ العبياة لأتوية التي أفعرك بها ! لقد ابتدأت أندم ندماً شديداً عندما بدأتني شخصت . وقد كان من الأفضل أن أتركك في «عاصي قلعة» في بؤسك ، وفي القدرة التي وجدت فيها ! هذا كتب يصنع قط لأن تكون حارساً طاماً للمناشاة ذات القرون ! ! وأنت حال من كل استعداد لمعلوم . وكل ما تستطيع لا يعدو بعض البطاقات ! وما أنت تعيش عيشي هنا كالفيس أو كديك من معجون ، ظهور وتلعب ! ولكن «إيما» قالت ، وهي تلمعت نحو مدام «هوميه» : «لقد استدعيتومي»

فقطعتها السيدة العظيمة فاقفة في صوت حزين : «آه ! يا إلهي . ماذا أقول لك؟ . إنها كارثة !»

ولم تكمل حديثها فقد انصرف الصيدلي «أرغفه ! نظفه ! أرجعه إلى مكانه ! أسرع !»

وهزّ «جوستان» قبة سترته فسقط من جيبه كتاب !

وانحنى الغني «ويكو» «هوميه» كان أسرع من قائله الكتاب وأخذ يتأمل فيه ، محدقاً بعينه ، ماعراً فاه ، وقال - وهو يهضم الكتب إحداها من الأخرى في بطنه «أخيب الروحي !» «أحسن جداً ! أحسن جداً ! شيء جميل ! وصوراً أه ! هذا شيء طيب !» وتقدمت مدام «هوميه» .

فقال الصيدلي : «لا . لا لمحبه !»

وأراد الاعتقال أن يروا الصور ، فقال في عطف «أخرجوا» .

وأخرجوا !

رمى أولاً طولا وعرضاً يخطوات واسعة ، محدقاً بالكتاب مفتوحاً بين أصابعه ، وعينه تدوران ، وقد احتمت أعيناه وتورم وجهه ، كأنها قد أصيب

بالصرع ! ثم جاء رأساً إلى نعليه ، حتى انتصب أمامه ، وقد رجع ذراعيه ، ثم قال : «إن لديك إذاً أيها الشعبي جميع الرذائل ! احذر ! إنك على المتحدر !

إنك لم تعط إلى أن هذا الكتاب ، الحميم كان يمكن أن يقع بين يدي أولادي . وأن يضرم النار في عقولهم ، فيلوث طهارة «أنالي» . ويسعدنا «ليون» ، وقد بيع فضلاً صور الرجل ! وهل أنت متأكد على الأقل من أنه لم يقرأه ؟ هل تستطيع أن تدلل لي . . ؟»

وقالت «إيما» : «ونكتك يا سيدي تريد أن تقول لي شيئاً ؟»

فقال : «هذا صحيح يا سيدي . . . إن حمارك قد توفي !»

والحقيقة أن السيد مولاري لأب قد توفي مد يومين فجاء نتيجة دسحة صدرية عذ يهوصه من أمام نافذته . وزياده في احيطه ومرعاة حسابة «إيما» كان «شارل» قد رجا السيد «هوميه» أن ينقل إليها الخبر المزعج في توفيق .

وكان «هوميه» قد فكر في العباد ، وعذب فيها ، وشذب منها ، وأحكم يقاضها ، حتى أصبحت مثلاً أعلى في احيطه والتدرج والترقق والرقه ، ولكن لمصطب أطاح بالبلاغة والبيان !

وعدت «إيما» عن أن تطلب أية تعصيلات ، ثم تركته الصيدية لأن السيد «هوميه» كان قد استأنف هيدجه . ولكنه مع ذلك عاد إلى الهدوء وأخذ يتمتع في نعمة أبوية وهو يروج عن نفسه بقسوته الإغريقية قانلاً ليس ذلك لأشي أهيب الكتاب كله ، فالزلف كان طيباً ، وفي الكتاب بعض النواحي العدمية التي لا بأس من أن يدم بها الإنسان ، من إتي لأجرؤ على القول بأن من وجب المراء أنه يعدم ، ولكن في وقت متأخر عن هذا . نعم في وقت متأخر ! وانتظر على الأرض حتى تصبح أنت بمسك رجلاً ، وحتى يتكون مراجع !

وعندما دمت «إيما» الباب ، تقدم «شارل» ، الذي كان ينظرها مستوح الدواحين ، وقال والدموع في صوته : «آه يا حبيبتي . .

وانحنى في دق لكبي يقبلها ، ولكنها عذمت أحسبت بشعبته دم نليت أن استعادت «كيري ليون» ، ومرت يدها فوق وجهها وهي ترتطم !

وأجبت قائلة : نعم ، إنني أعرف . . . إنني أعرف . . .

وأطلقها على الخطاب الذي تقص فيه أنه حادث دون أية مداراة عاطفية . وإن تكن قد أدت أسمها لأن زوجها لم يثن العود الديني ، لأنه توفي في «ميريل» في الشارع على مدخل مقهى ، وبعد وجبة شعية مع ثلثة من قدامى الموظفين !

رقت «إيما» الخطاب إليه ، ثم تصنعت عند المشاء - على سبيل الدياقة - شيئاً من التعميم ولكنها رآه يخافه أهدت في الأكل بعزم ، يساً طن «شارد» جامداً في مواجعتها في وضع مقفل بالأحزان .

ومن وقت إلى آخر كان يرفع رأسه ويوسل إليها نظرة مليئة بالحزن . وتنهذه مرة فثباتاً «لقد كنت أريد لو أراه مرة أخرى» !

ورمت العصمت ، ولكنها أدركت أنه لا بد من الكلام ، فالتفت «هي أي سن كان والدك؟» .

- في الثامنة والخمسين !

- آه !

وكان هذا كل ما قالته

وبعد ذلك بربع ساعة أضاع ، وأمي المسكينة ؟ ما مصيرك الآن ؟

فكانت بحركة نقيده أنها لا تعرف !

وعندما رأها «شارل» في هذا الصمت ، من أنها حرة ، وأخذ نفسه بأن لا

يقول شيئاً لكي لا يثير هذا الألم الذي يحرك شفقتي ومع ذلك فقد نقض حرقه ليسأل ، هل طلبت لك التسمية أم لا ؟

- نعم

وعندت رفعت «لأنا» لم يتنهض السيد بوفاري ، وكذلك «إيما» . وكانت

كما نظرت في وجهه كلما أخذ اصرد المظهر يضي عن قلبها - شيئاً فشيئاً -

كل شعور بالراء . وقد لاح لها هريلاً ضعيفاً تائهاً ، وعموماً رجلاً مسكياً من جميع الواحي فكيف السنين إلى التخصص منه ؟ أيا لها من أسمية لا تنتهي !

وقد أخذ شيء مخبئ كخباز الأكيون يخبئ أعصابها

ومسمع في الصالة وقع عصا على البلاط ، وإذا به «هيويت» جاء حاملاً حقائب السيدة ، التي اضطر لكي يصمها على الأرض إلى أن يرسم بمكازيه ربع دائرة

قالت وهي تنظر إلى هذا الشقي ، الذي كان شعره الأحمر الكثيف يتصبب عرفاً : «إنه لم يعد يفكر في نصيبته» !

وفش بوفاري عن فطنه بقدر في قاع كيه ، ودون أن يلوح عيه أنه فهم شيئاً من الإهانة التي يحللها مجرد حضور هذا الرجل الذي يقف أمامه كشاهد محسم على حياته ، قال ، «جلد» . . . ثم قال مخاطباً روحته وهو يظن فوق المدفأة إلى مائة تصح «يورو» «إن لديك مائة جميلة» !

فكانت «أيما» في غير اكتراث . نعم ! إنها به ، شمرينها منذ صبيته من متروكة ،

وتناول «شارل» البسمج ، واستنشق حبيره في وقته ، لكنها اشترعته من يده وحملت لكي تضعه في كوب ماء

وفي اليوم التالي ، وصلت مدام بوفاري لأم ، وبكت كثيراً هي وانها ينما احتجبت «إيما» بحجة إصدار أوامر للمخدم

وفي اليوم التالي كان لا بد من أن يظروا معاً في أمور الحداد فهدبت المراتك ومعهم صديق الخياطة وجلستا على شاطئ الدبح العريشة

كانه شارل يفكر في آية ، وتأخذ الدهشة من أن يشمر بكل هذا الحب محو هذا الرجل الذي كان يعتقد من قبل أنه لا يحبه ، إلا حياً ضئيلاً ! وكانت

مدام بوفاري الأم تفكر في زوجها ، ولاحت بها أنفاس الأيام القديمة أياماً تلتهم إليها ! وقد اختفى كل شيء تحت تأثير ذلك الدم المريري الذي شعرت به محو عمدة طال بها كل هذا الرمن ! ومن وقت إلى آخر ، وفي أثناء دمعها

الإبرة ، كانت تسعد دمعها كبيرة على طول أنفها ، وتظل معلقة لوقت ما

وكانت «إيما» تفكر في أنه لم يمض ثمان وأربعون ساعة على وجودها مع

اليونانية يعيدون من العدم هي شدة ، وعاملاً لا تكادان تكهيانا ليشأمل كل منهما الآخر ، وكانت تحاول أن تستعيد أحسن تمثيل ذلك اليوم الذي انقضى ، ولكن حضور حمايتها وروحها كان يضيقها . وكانت تود ألا تسمع شيئاً ، وألا ترى شيئاً ، حتى لا تفقد استجمام حبها الذي كان آخذاً في الثلاثي مهما عملت ، تحت تأثير الإحساسات الخارجة !

وفجأة رأوا السيد «إيريه» داجر الأكمة يدخل غير ساج الخديفة . لقد جاء ليعرض خدمته مرعاة نظرف الحداد ، ولكن «إيريه» أحبت بأنها تعتقد أن باستطاعتها أن تستعني عن هذه الخدمات ، ولكن الداجر لم يلقم بالهرمة

قال «ألف معدودة» لقد أردت أن أحظى بحديث خاص ، وفي صوت حميم قال «لأنه خاص بذلك الموضوع هل تذكرين ؟» واحمر «شارل» حتى أذبه ، وقال «آه ! نعم ! هذا حق !» ثم التفت نحو امرأته وهو مضطرب وقال «هل نستطيعين .. يا عرويتي ؟» ولاح أنها تفهمه ، ذلك لأنها بهضت وقال «شارل» لأمة «ليس هذا بشيء» .. إنه بلا ريب أمر تافه من أمور المنزل ..

لم يكن يريد أن تعرف شيئاً عن قصة الكمبيالتين حولاً من ملاحظاتها ! وبمجرد أن انفردا معاً أخذ السيد «إيريه» يمس «إيريه» في العنق واضعة بالميراث ثم تحدث في أمور تافهة كعرائش الشجر والمصنوع وصحنه التي تتجعد في سيوف بين يدي ، لأنه - في الرابع - كان يهزم نفسه في العمل والسعي ، وإن لم تتجاوز ثروته - بالرغم من أقارب الناس - ما يكفي لأدام خيرة !

وتركت «إيريه» يتكلم ، وكانت قد أخذت تشعر مند يومين بسام شديد ! فاستمر يقول «وهأنذا قد استعدت صحتك كاملة ! وفي الحق لقد رأيت بروجك المسكين في حالات مؤلمة ، إنه رجل طيب ، وإن تكن قد نشأت بيننا صعوبات !»

فقالته عن تلك الصعوبات ، لأن «شارل» كان قد أخفى عنها كل شيء .

قال «إيريه» «إنك تعرفين الموضوع جيداً ، فقد كان يسبب رغباتك ، أخي صادق السمر !»

وكان يتسم بعد أنزل قبضته فوق عييه ، ووضع يديه خلف ظهره ، وفي صوته صغير ، وأخذ ينظر إليها مواجهة في هيئة لا تحتمل . فهل كان يقترض شيئاً ؟ لقد ظلت مادرة في جميع أنواع الخواف .

ومع ذلك فإنه في النهاية استأنف قائلاً «لقد استأنفنا علاقتنا ، بل لقد قُتيت لكي أعرض عليك ثوية» .

وكانت هذه البسوة عبارة عن تجريد الكمبيالتين المرفوع عليهما من بولفاري . وفصلاً عن ذلك ، فإن السيد بولفاري يستطيع أن يتصرف وفق هواه ، وما يسعى أن يعي نفسه - وحده - الآن - وهو مقبل على الكثير من الاتيكات - بل إنه من الخير له أن ينحس عن هذا الموضوع إلى شخص آخر ، ولكن ذلك ثمة مثلاً ، ويتوكل بسهل الأمور ، وعندئذ ستتم بسا بعض العملات البطة !

ولم تفهم «إيريه» شيئاً ، فسكت ، ثم انصرف إلى حائوته وهو يقترض أن البسة لا تستطيع أن تستعي عن أن تأخذ م شيئاً ، وأنه سيرسل إليها قطعة من القماش الخفيف الأسود طولها اثنا عشر متراً لتعيط منها ثوباً ، مردداً «إن هذا الثوب الذي ترتديه يصلح للحول ، ولكن لا بد لك من ثوب آخر لزيارات ، وقد لحت أن ذلك لأول نظرة عند دخولتي ، هديتي عن أيريك !»

ولم يرسل القماش ، بن أحضره بنفسه ، ثم عاد بسبب انقراض ، كما عاد لتعللات أخرى ، محاولاً في كل مرة أن يبدو ودوداً خدوماً متسللاً على نحو ما يقول «هوية» ، مسدياً دائماً إلى «إيريه» نصيحة م عن التوكيل . ولم يكن يتكلم عن الكمبيالتين ، كما أنها هي الأخرى لم تكن تفكر فيهما . وكان «شارل» قد قص عليها شيئاً في بدء نقاشتها ، ولكن رأسها كان قد مر به من الاضطرابات ما جعلها لا تذكر شيئاً . وفصلاً من ذلك فإنها كانت حريصة على ألا تفتح أية مناقشة في المسائل المادية . وقد اندمشت الأم بولفاري بهذه

الخافاة ، وحرب تغيروا مرجعها إلى إشغال النبوة ، التي استولت عليها في أثناء مرضها !

ويكن ما إن رحلت الأم حتى أحدثت «إيما» تدهش روحها بحسبها العملي ، فكانت تذهب لتحصل على المعلومات ، ولتتحقق من الرهونات ، ولتبحث عما د كان هناك محل لتصحيح إجراء أو عمل تصفية . وكانت تستعمل عبارات غنية كيما اتفق متعومة بالكمالات كبيرة ، كالظام والمستقبل والبصر ، كما كانت تسالغ دائماً في إرسائات التركة ، حتى أطعمته يوماً على أغودج لتصريح عام بإدارة أعماله ، بما فيها عهد القروض وتوزيع الكمبيالات وتظهيرها ودفع المبالغ . وغير ذلك . فقد كانت استعدادات من دروس «بريه» !

وسألها «شارل» في سداجة من أين أنت بهذه الورقة

فأجابت : «من السيد جيومان» .

وأضافت لي يروء شديد «إي» لائق به كثيراً ، والموفقون لهم شهرة بالغة السمعة ، وربما كان من الواجب أن يستشر . . . إننا لا نعرف غير . . . أنه لا أحد .

فأجاب «شارل» الذي كان يفكر «وذلك ما لم يكن «ليون»

وكان من الصعب التماسهم بالمراسلة ، ولذلك عرضت «إيما» أن تقوم بالقر ، فشكرها . وأحدث فكانت ثورة من الإثبات ، وأخيراً صاحت في ثمة هاد مصطنعة هائلة : «لا - أرجوك - مذهب»

فقال وهو يقبلها في جبهتها ، «كم أنت طيبة»

وصباح اليوم التالي تربعت في «المصورة» لكي تذهب إلى «روان» لتستشير السيد «ليون» . . . وهناك بقيت ثلاثة أيام !

•

وكانت ثلاثة أيام طويلة سيئة رائحة ، بل كانت شهر عمل حقيقي ! نولامي فندق «بولون» على «البناء» وعاش هناك والرافد معلقة ، والأبواب

موصدة ، وفوق الأرض ورود ، والشريات السكرية المتلعة تحمل إليهما مع كل صباح !

وقيل مساء كان يستأجره رورقاً مطبوعاً ويذهب إلى إحدى الحور لتناول العشاء ! وكان يرلان وسط الزورق الراسية التي تفس حبالها المتحرفة مساً خدماً أعلى الرورق

وكان غوصه المديبة يستند على نحو غير محسوس ، بما في ذلك ضجيج العربات ، ولأصوات وساح الكلاب فوق متن السفن ، وكانت تحمل عقدة فنعها وتزلال إلى جريرتها .

وفي الصلاة المحفظة بإحدى البارات ، التي كنت ترى على بابها بعض السمكة السوداء ، معتقة ، كيان يجلس وأكلان السمك لقلبي ولكرمة والكثير ، ويضعان فوق العشب ويتبادلان المل تحت أشجار الحور . وكان يرد أن لو عاش إلى الأبد في هذا المكان الصغير مثل «رويس كروور» ، وقد لاح لهما هذا المكان وسط سمادتهما أروع مكان في الأرض . ولم تكن هذه أول مرة يريان فيها أشجاراً وماءً وروقاء وحشاش ، كما لم تكن أول مرة يسمعان فيها خرير الماء وهبوب الريح بين الأعصان ، ولكنهما لم يكونا قط قد أعجبا بكل هذا ، وكان لطبيعة لم تكن موجودة قبل ذلك ، أو كانت لم تبد جمالها إلا منذ أن نشعا رغبتهما !

وفي الليل كانوا يرحلان والرورق يتابع شواطئ الحور ، وقد قيعا فيه معاً ، محتملين في الظلال ، دون أن يتكلم ، والهاديف المربعة نصطت في حلقاتها «خديدة» ، وشبه اهبطكاها . وسط السمك . ذفات الساحة .

وذات مرة ظهر العمر فلم يهنهما أن يصعاه بعبارات صلبة إذ وحما الكوك حورياً موجياً بالشعر ، بل أخذت «إيما» تمي !

ذفات مساء ، هل تذكرين ، ومن غمدف .

وكان صوتها الرحيم العذب يلاشي فوق الموج ، وكانت الريح تحمل الترجمات التي كان «ليون» يسمها ، وهي تمر كحصف أجنحة من حوله !



مصاحبتهم ، وأعمل عمله إعمالاً تاماً !

كان ينظر خطاباتها ويعد قراءتها ويكتب إليها ، كما كان يستحضرها أمام حباله بكل ما في رغبته وما في ذكرياته من قوة . وأخذت الرغبة في رؤيتها مرة أخرى تزداد بدلاً من أن تنقص بعبثها ، حتى هرب من مكانه في صبيحة يوم السبت . وعندما لمع من أعلى الهضبة في الوادي برج الكلبة وعلمها المرفوع فوق عمود من الحديد الأبيض - وهو يدور مع الريح - أحس تلك البدة المسروجة بالمرور المنتصر ، وبالحان الأنبي الذي كثر يوماً ما يحس به أصحاب الملايين عندما يعودون لزيارة مريتهم !

وهبط ليحوم حول مرثها ، ولمع ضوء في المطبخ ، وأخذ يتوقف عليها خفيف المتائر ، ولكن أحداً لم يظهر !

وعندما لفتته الأم «لوفرنسوا» أطلقت صيحات تعجب كبيرة ، ووجدت أنه قد ردداد طويلاً كما ازداد محافه ، بينما وجدت «الرميز» أنه على العكس قد ازداد قوة واستمرراً !

وبدول العشاء في التهيئة الصغيرة كما كان يفعل في الماضي ، ولكنه تناول وحيداً هذه المرة دون المفضل ، وذلك لأن «يسيه» كان قد تعب من انتظار «العصورة» فمجلّ موعده عشائه بمقدار ساعة ، وأصبح يتناول في الساعة الخاصة تماماً ، بل وكثيراً ما كان يدعي أن الساعة القديمة الخربة تؤخر !

ومع ذلك فقد عقد «ليون» عزمه وذهب ليطرق باب الطبيب . وكانت اليد بولادي في عرقها التي لم تنزل منها إلا بعد ربع ساعة . وظهر السيد بولادي مبتهجا لرويته من جديد ، ولكنه لم يتحرك طوال المساء ولا اليوم التالي

لقد رآها وحيدة في المساء في وقت متأخر خلف الحديقة في الرقاق ، كما كانت تعمل مع الآخر ! وكان الجو حاصفاً ، وأحداً يتحدثان تحت مظلة على صهوة البرق .

لقد أصبح لفرقتهما شيئاً لا يصدق !

وقالت «ليما» : «إن الموت أفضل !»

وكانت تقف في موجهة مستندة إلى حافة الرووق ، حيث كان القمر يدخل من أحد المصاريع المفتوحة . وكان ثوبها الأسود الذي يتبع قماته في هيئة مروحة ، يظهرها نحيفة ، وأكثر طولاً . وقد رفعت رأسها وضمت يديها وانجذبت بعينها نحو السماء . وأحياناً كان ظل المصراع يحجبها كلها ، ثم تعود إلى الظهور فجأة كاللؤلؤة في صوة القمر

وعشر الليونة تحت يدها ، وهو إلى جوارها على الأرض ، بشرط من التحرير المفضل . وحججه صاحب الرووق ثم انتهى بأن قال : «آه إنه كان لجماعة صحتهم في نومه منذ أيام ، وقد أنرا كعريق من المهرجين رجالاً وساء ، ومصهم قطائر وشباباً وآلات عرف ، والعلّة كلها ! وكان بينهم نوع خاص رجل طويل جميل بشورت فضيرة ، وكان مسياً على نحو مدحش وكانوا يقولون هكذا : «هيا بعض عدياً شيئاً» . أدولف أدولف ... على ما أظن» .

ارتعشت «ليما» ، وقال «ليون» وهو يقترب منها : «هل تشعرين بالألم؟» فقالت : «آه لا شيء» . إنها بلا ريب رطوية الليل !  
وأصاف الرجل المسجور في رفق - وهو يعلم أنه يقدم لطعنين تسلية :  
«وأظن فوق ذلك أن النساء لا تعور»

ثم بصق في يديه ، واستأنف الضرب بالمعدنين !  
ومع ذلك لم يكن يد من الاقتراع ! وكان الوداع حزيناً ، وقد انصفا على أن يرسل الخطابات عند الأم «دوليه» . وروده هي بنوصيات دقيقة خاصة بالغلاف المردوج ، حتى لقد أعجب كثيراً بهذه الحيلة الغرامية .

وقالت مع القبلة الأخيرة : «وهكذا تؤكد لي أن كل شيء على ما يرام»  
فأجاب : «نعم - بكل تأكيد»

وأخذ يصر وهو عائده وحده . «ولكن لماذا تحرق كل هذا ، خرم على هذا التوكيد؟»

بعد أيام قلائل اتحد «ليون» أمام رملاته هيئة اسمعلاء ، واستمع عي

وكانت تتلوى فوق دراعه والدموع تنصب من عينيها

وقد «الوداع» الوداع متى ساراك ثانية؟

وعاداً أدرأجهما لكي يتبدلا القبلات مرة أخرى ، وعندئذ وعدته بأن تجد قريباً ، بأية وسيلة ، فرصة تسمح بأن يلتقيا في حرية ، مرة واحدة على الأقل كل أسبوع . ولم تكن «إيدا» تشك في ذلك بل كانت مطمئة بالأمل ، وعسا قريب يأتيها المثل .

وهكذا شغرت لعرفتها روحاً من التأثير الصغره كانت الخطوط العريضة ، وكان لاجر السيد «سيره» قد مدح لها رخصتها وحسب بسجاده وكند «سيره» أن ثمنها لن يكون باعظاً ، وتعهده في أدب بأن يأتيها بواحدة وقد أصبحت لا تستطيع أن تستعني عن خدماته ، وفي اليوم الواحد كانت ترسل في استدعائه عشرين مرة ، فترك أعماله من غير تمهل كما أن أحداً لم يفهم ماذا أخذت ، لأن «روليه» تناول عدداً العدة كل يوم ، من وأحدث نزوره ريارات خاصة

وفي ثلث العشرة ، أي في بداية فصل الشتاء ، ظهر أنها قد أخذت محاضرة كبيرة للموسيقى .

وكان مساء يسما كان «شارل» ينصت إليها ، ابتدأت أربع مرات متوالية المقطوعة نفسها دون أن ترمى قط بفرقها ، وذلك بين أحد «شارل» يصيح ، دون أن يلاحظ الصاروق قنلاً «برلوا» حسن جداً . إنك معطلة في ظنك استمري إذاً .

فردت قائلة : «لا أعذ شي» تسح إن أصابعي قد أصابها الصدا . وفي اليوم التالي وجدها أن تصرف به شيئاً مرة أخرى ، فقالت : «ليكن ... إرضاء لك» .

واعترف «شارل» بأنها قد سبت قليلاً . وكانت قد أخطأت في الجملة لموسيقية ، وتحسنت ثم توقفت وقالت : «آه ! كمى ! يجب أن أتلقي دروساً ، ولكن» .

وعضبت على شعيتها ثم أصافت : «عشرون مبركاً ساعة الدرس هذا كثير» .

وقال «شارل» في نفسه : «نعم هذا صحيح إلى حد ما ومع ذلك يباح لي أنه ربما كان من الممكن سمي هذه الدروس بأجر أقل ، وذلك لأن هناك عدس بلا شهرة ، ومع ذلك ، كثيراً ما يتسددون مع ذوي الشهرة العريضة» .

فالت «لها» : «ابحث عنهم إذا»

وفي اليوم التالي أخذ «شارل» يعطر إليها عند دحونه بظرة ناكرة ، وفي النهاية لم يستطع أن يمسك عن أن يعمره بهذه العبارة : «يا لك من عبدة أحياناً لقد كنت في «بارفيسشر» النوم ، وقد أكدت لي صدام «لبيجار» أن أفساتها الثلاث الملحقات بالمشجر يأخذن دروساً مقابل خمسين ساً لكل جلسة من مدرسة شهيرة» .

فرفعت كتفها ، ولم تلمس بعد ذلك خط معرجها

ولكنها عندما كانت تمر إلى «حوالده» ويكون بوفاري حاضراً كانت تشهد قائمه «آه» . معزتي المسكين

وعندما كان أحد يأتي لزيارتها لم تكن تعمل أن محيرة أنها قد هجرت «الموسيقى» ، ولم تعد الآن تستطيع العودة إليها لأسباب فخرية . وعندئذ كانوا يترنون لها ويرون في هذا الهجر حسارة ، وذلك بسبب موهبتها العدة ! بل ولم يكن أحد يتحدث إلى بوفاري ، لأن في ذلك ما يفضله ، وخصوصاً الصدي ، الذي قال له : «إنك محطى» فلا ينبغي أن يترك الإنسان الملكات الطبيعية معطلة ! ووفى ذلك عطفك أن تقدر يا عزيزي أنك عندما ترفع السيد نحو الدرس ، فإنك تعتمد بالسة إلى المستقبل فيما يحتص بالنوبة الموسيقية لمواجهة لطعنك ، وفي رأيي أن الأمهات يجب أن يقن بأنفسهن بعلمهم أصالهم ، وهذه فكرة أخفها من «ووسو» ، وربما كانت لا تزال حديثة .

ولكنني سأؤكد من أنها سوف تنتصر كما انتصرت فكرة وصاعة الأم وفكرة الختان!

وعاد شارل مرة ثانية إلى موضوع المعروف ، وأجاب «إيما» في مراره بأنه من الأفضل بيعه ولكن هذا المعروف المستكين الذي ظاهراً أرضى عروقه كيف يمكن أن يراه خارجاً من بيته - لقد كان هذا بالنسبة إلى «يولفاري» بمثابة أسرار عجيب بضعة من نفسه!

فقال «إد أودت» من وقت إلى آخر «دوماً» هناك هذا لن يتسبب في النهاية في خراب شامل!

وأجبت قاتلة «ولكن السروس لا تتم إلا بإد» كانت متباعدة.

وهكذا استطاع أن تحصل من زوجها على تصريح بأن تذهب إلى المدينة مرة كل أسبوع لمرى عشيقه ، من وقد لوحظ بعد شهر أنه قد أحرق تقدمًا كبيراً!

•

في يوم خميس استيقظت «إيما» وارتدت ملابسها في صمت كي لا توظف «شارل» خشية أن يبدى ملاحظات حول رجليه الذكور جداً ثم أخذت تمشي طولاً وعرضاً ، وتقف أمام النوافذ وتنتظر إلى الميولات

وأحد صوه الفجر يمت بين أعمدة السوى وبين بيت الصيدلي الذي كان مغلق النوافذ وكانت الحروف الكبيرة بلافتة تظهر بمصطلح لون الفجر الشاحب .

وعندما دقت الساعة السابعة والربع ، اتجهت إلى طابق «الأسد الذهبي» الذي كانت «أرمير» قد فتحت بابيه وهي تتأهب . وبثت الخادمة - من أجل البسطة - قطع اللحم المدفونة في الرماد ، ثم ضمت «إيما» وحدها في المطبخ ومن وقت إلى آخر كانت تخرج وكان «هييمير» يشد الخيل إلى الممر في تراب ، وهو يستمع في الوقت نفسه إلى «الأم» «لوفانسرا» التي كانت أخرجت رأسها المعطى بفسحة فظية من كوة ، وأخذت تكلمه بمجملات ، وتقدم إليه

تفسيرات حليقة بأن تنزل الاضطراب برأس رجل من طراز آخر! بسما «إيما» تدق بعمل حديثها على بلاط الدناء

وأخيراً ، بعد أن تناول حساءه ، وارتدى معصمه ، وأشعل غيوره ، وقبض على سوطه ، استقر في هدوء فوق مقعده!

وانطلقت «العصوورة» في خب بطني . وحلال ثلاثة أرباع المرسح كانت تقف ، من مكان إلى آخر ، لتلتفت المسافرين ، الذين كانوا يترقبونها ويوماً على حافة الطريق أمام سياج الأبنية ، وكانت تنتظر أولئك الذين انفقوا معها على موعد ، من وكان بعضهم لا يزال في فوائه بالنزل وكان «هييمير» ينادي بصيح وشتم ، ثم ينزل من مقعده ، ويلهب ليدق على الأبواب دقات قوية . ومع ذلك امتلات المقاعد للأربعة ، وانطلقت العربة ، وتتبع أشجار النخيل ، وأحد الطريق المصنوع بين حديقين عظيمين ظاهراً الأصغر يقضي باستمرار عند حدود الأكر .

كانت «إيما» تعرف هذا الطريق من طرف إلى طرف ، وتعرف أن بعد الأعشاب عموداً ، ثم شجرة دردار ، ثم محبراً أو كوخ خضراء ، بل وأحياناً ، كانت تعلق عبيها لكي يمتص بعضها النعاجات ، ولكنها لم تفقد قط إحساسها الدقيق بالمسافة التي لا بد من اختيارها

وأخيراً قربت المنابر المبينة من الأجر ، وأخذت الأرض ترفن تحت تمحيلات ، وانسابت «العصوورة» بين الخدائن التي كانت ترى بداخلها من خلال العرجات بعض التماثيل ، أو عريشة عيب ، أو شجر السرو المشذب ، أو أروحة ثم ظهرت للمدينة في هبة بصر!

كانت مدينة البورماندية القديمة تمتد أمام عبيها كمعاصرة ضخمة وكانها تدخل بابل! وارتكزت بديها فوق الشراعة وهي تستشق السيم ، والخيل ثلاثة سدر في الوحل ، والممره بتر ، وهييمير يصيح «عربات الصغيرة على الطريق ، يبع أهل المدينة» الذين قصروا الليل في عمامه «جيوم» ، يرون من الهضبة في سكون فوق عرباتهم المائيلة الصغيرة

ووقفوا عند السبح ، وخنعت «إي» الخعير اللذين نلبهما فوق الحياء ،  
وبست قمارين آخرين ، وأصلحت من وضع شالها وعلى بعد عشرين  
خطوة من هناك خرجت من «العصورة»

كانت المدينة عند أحد في الاستفاظ ، والخدم في «قصوراتهم الإبريقية»  
أخذون في مسح واجهات بدكاكين ، والمساء يطلقن من نواحي الشوارع  
صحبات ميليلة ، وهن حاملات السلال فوق خصورهن وسارت «إي»  
منكمة البصر إلى حوار الجدران ، مستمة من السرور تحت وشاحي الأسود  
المسدل !

وحوقاً من الـ ثرى ، ثم نكن تلك عدة أقرب الطرق ، بن كانت تندس  
في الألقه المظلمة وهبت وهي تصيب عرقاً عند يديه شارع «الاسيونال»  
إلى حوار النافورة القائصة هناك ، وهو حي المسرح والصلوات ويات الهوى  
وكثيراً ما كانت تمر إلى جوار إحدى العربات وهي محملة بمأظر المسرح  
التي تهتر فوقه ، وهلمان في مرابل يسكبون الرمال على البلاط بين  
الشجيرات الخضره . وكانت تعوج رائحة الطعم والسيجار والمواقع !  
وانعطفت في شارع . . . وعرفته من شعرة المجد الطل من تحتها !

واسمر «بيون» يسير على الرصيف وهي تسعه حتى العدى ، ثم صعد  
وفتح الباب ودخل . . . وكان هناك !

ثم نهالت العبارات بعد القملات وكانا يتبادلان الحديث عن أشجان  
الأسبوع ، والحدوف ، والقلق على الخطرات ونكر كل شيء قد نسيه الآن ،  
وها هما وجهاً لوجه مع ضحكات اللذة وتذلات الحان .

كان السرير سريراً كبيراً من الألكاجو في شكل رورق ، وكانت الستائر  
«مصنوعة من الحرير الأحمر تنزل من السقف وتجتمع في أسفل بالقرب من  
الزودة حيث تخرج ولم يكن في العالم شيء في جمال رأسها ذي الشعر  
«الأسود» وجلدها الأبيض يبرز فوق هذا اللون القرمزي ، عندما كان الحياء  
يدعها إلى أن تصف حواشيها العائيتي وهي تخفي وجهها في يديها

وكم كانا يحبان هذه المعرفة الطيبة المست بالمرح ، بالرغم من فحاشتها التي  
دبت قبلاً وكانا يجذبان دائماً الأثاث في مكانه ، بل وديابيس الشعر التي  
كانت قد سيتها يوم الخميس الماضي تحت قاعدة الساعة وكانا يتاولان  
العداء إلى جوار الدر فوق مائدة مستديرة مطعمة بحشب الأيوس وكانت  
«إي» تقطع اللحم وتضع القطع في طبقه وهي تسرد جميع أنواع الهديات ،  
وكانت تضحك ضحكات رثانة خليعة عندما يعض ريد الشهابي من الكأس  
الطيف فوق حواش أصابعها . وكان غارقين عرقاً كاملاً في امتلاك ذاتيهما ،  
حتى لكنأهما بعثقان أنهما في بيتهما الخاص ، وأنهن سيعيشن فيه حتى  
الموت كزوجين خالدين ! وكانا يقرلان «غزلتنا» و«سحابتنا» و«كروست» ، بل  
وكانت تعمل «حقي» أي كان هدية من «ليون» استجابة لإحدى نراتها ،  
وكان خماً من السنان النوردي ، محلاة حافته بالبيع ! وعندما كانت تجلس  
فوق ركبيته ، كان ساقها القصير يبدل في انهم ، وكان الحجاب الجميل الذي  
لا عقب له يحس بأطراف أصابعه قدمها العارية فقط .

لقد تذوق «ليون» لأول مرة تلك الرقة الموهبة المستمة من الأناقة النسائية ،  
ولم يكن قد صادف قط هذه الرشافة وهذه اللغة وهذه الألوان من الشيبات  
المشكلة وهذه الأوضاع الشبهة بأوضاع الحمامة الغامية . وكان يعجب بحرارة  
روحها وديلاً رذائها ! ولم لا آليت هي إحدى ساء الطبقة الراقية ، وامرأة  
مزوجة ! ! وباحتملة ، أليست عشقة حقيقية ؟ !

وتنوّن مراجعها المنقل طوراً بعد طور ، من إحساس الصوفي إلى  
المرح ، ومن الشرثرة إلى الصمت ، ومن الغف إلى عدم المبالاة - كانت  
تثير في نفسه مئات الرغبات والغرائز والدكريات - لقد كانت «لمرعة التي  
تحدث عنها الروايات ، والبطلة التي تحدثت عنها المسرحيات ، وهي»  
القائمة التي تحدث عنها دواوين الشعر ! وكان يجد على كتفها اللون  
العصري الخاص بـ «الحارية في الحمام» ، كما يجد العذ الطويل الخاص  
بربات قصور الإقطاع ، كما كانت تشبه أيضاً امرأة برشلمة الشاحبة ،

ولكنها فوق كل هذا كانت بالثة إليه ملاكاً!

وعندما كان ينظر إليها ، كثيراً ما كان يحس إليه أن روحه قد هربت إليها ، وانسابت كروح فوق حدود رأسها ، ثم اتحدت كالبل في بعض صدرها ! وكان يلقي بنفسه على الأرض أمامها ، ويتكى برفقه فوق ركبتيه ثم يأخذ في تأملها متبسماً مشدود الجبهة .

وكانت تحس نحيه نخوة وتحتشم ، وكأنها محتشمة من الشمل وتقول : «أره ! لا تتحرك ! لا تكلم ! انظر إلي ! إن عيناك تبعث مهم شيء عند تفتح إلى

بعضي»

وكانت تسميه طملاً

- أبها الطفل ! هل تحبني؟

ولم تكن تسمع جواباً مع سرعة شتيه الكثير كانت تصعدان إلى العم وكان فوق الساعة الدقيقة مثال صغير من البرومر لإله الحب ، مبتسماً ، وقد حنا ذراعيه تحت باقة مذهبة . وكثيراً ما كانا يقبضان سنه . ولكن كل شيء كان يبدو جاداً عندهم يبعين مرعد العرق

كان كل منهما يكرر بالأحر وهما واقفين ساكنين «إلى يوم الخميس!

إلى يوم الخميس !

وفجأة كانت تأخذ رأسه بين يديها وتقبله بسرعة في جبهته وهي تصيح «الوداع ! ثم تتلطف من السلام .

كانت تصرف أ وتضعد الشوارع حتى تصل إلى فندق «الصليب الأحمر» وكانت تأخذ معها الذي أحضره في الصباح تحت المقاعد ، ويجلس صامتة في مكانها بين المدرسين الباهدي الصبر . وكان بعضهم يزدهر عند أسفل الهضبة فسفى وحدها بالعبارة .

وعند كل محس كانت تريد رؤية أضواء مذهبة ، التي تجمع كموجة واسعة من البحار المضيء فوق أسوار الاختلافة فكانت ترمك على ركبتيه فوق المساند ، وتظن بعينيها في تلك الوهج المعشوي ، وكانت تتحب وتناحي

اليوم ، وترسل إليه طاملاً رقيقة ، وقبالات تصل في الهواء .

وكان على الطريق المرتفع منشرد ياتس بمسك عص وسط العربات وعليه كومة من الأسماك تعطي كنفه «وقنسوة مهدمة مستديرة كالعدسة تخفي وجهه ، وكان يعي أغنية قصيرة وهو يتبع العربات طالعها : «كم تدفع حرارة يوم صحو البت الصغيرة إلى أن تعلم بالحب !»

وكان ركاب «المصفورة» ينتهي بهم الأمر في الطريق إلى النوم ، بعضهم وهو حاصر في ، والبعض الآخر وقد حنى دفة واستند على كتف جاره ، أو أدخل ذراعه في القمص الجدي . وأخذ يهر هرات متظمة على وقع العربة وشعاع الصباح الذي يهتر في الخارج فوق أشجار الجيوب يتسلل إلى الداخل من خلال الستائر المبراة الساكنة ، يفتقي ظلالاً قريبة من لون الدماء على كل أولئك الأشخاص الساكنين . وكانت «يد» الشلة ياخرن برعد تحت ملابسها وترداد إحساساً بالبرد ، في قدميها .

وفي المنزل كان «شارن» يتصرف وقد عشتدت «المصفورة» أنه تصل متأخرة يوم الخميس . وأخيراً وصلت السيدة فلا تكذب تقبل على تقبين عتقنها . وكان يثء لم بعد فهم تهتم بالأمر والتمت العذر للطاهية ، فكل شيء أصبح الآن مسموحاً به لهذه الفتاة !

وكثيراً ما كان زوجها يلاحظ شحوبها يسألها عما إذا كانت مريضة

وكانت «يد» تجيب قاتلة «لا !»

فيقول : «ولكنك لست على ما يرام هذا المساء !»

- لا تقلق ! ليس هناك شيء ! ليس هناك شيء !»

بل وفي بعض الأيام كانت لا تكذب تدخل حتى تصعد إلى غرفتها ، حيث كان «جوسمان» يروح ويحيى يحس صامتة مبادراً إلى أفضل من أية وصية . فكان يصح أعواد الشقارب ، والشجعدان ، وكتاباً في مسانيد يده ويرتب قبعيها ويقلب الملاحظات !

وكانت تقول له : «هيا ! هيا حسن ! ادع !»



ذلك لأنها كانت تغلظ واقفة مدلاة اليدين مفتوحة العبير ، وكأنها مندودة بخيوط ساكنة من حلم معاني !

وكان اليوم السالي مرعجاً ، والأيام الأخرى أشد إزعاجاً ، بسبب حشر «إي» الشاذ في استرخاع معدنها . فكان الشوق لمتأجج المتكالب الملهب بصور الذكريات يعجز في اليوم السابع فيطلق في أحضان «أيون» أما مشاعره هو فقد كانت محتضنة تحت موارب تعجب وعرقان بالجميل ، وكانت «إي» تتدق هذا الحب على سحر حامي مستعوي ، وكانت تعدهد به جميع حين أحاس ، وترنم قليلاً خشية ضياعه بعد ذلك !

وكثيراً ما كانت تقول له في صوت هذب حزين : «آه ! سوف تتركني أنت ! .. سوف تزوج ! .. ستكون كالأخرين !»

وكان يسأل : «من تعين يا الآخرين ؟»

وكانت تفيض : «أعي الرجال»

ثم تصف وهي تدب به بحركة ولهانة : «إنكم جميعاً أنذال !»

ربما كانا يتحدثان يوماً حديثاً فلسفياً عن أوهام الحياة الدب ، انسأقت «إي» رعه في سحر غبرته أو بديع موي بحر الانطلاق . انسأقت إلى القرون بأنها كانت قد أحبت قلبه في الماضي رجلاً . ثم أضاف أنه لم يكن يشبهه ، وأقسمت بحياة ابتداء أنه لم يحدث بينهما شيء !

وصدقها الشاب ، ولكنه مع ذلك استجوبها لكي يعرف ماذا كان يعمل

فألت : «كاد قلاد سمينة يا عزيزي !»

وكان في هذه الإجابة ما يقطع الطريق على كل بحث ، كما كان فيها أيضاً ما يرفع من قدرها بسبب ذلك السحر السامي ، الذي انصه منها على رجل لا بد أنه كان ذ طيبة مقابلة ، معشداً على تنقي الاهتمام

وأحسن الكاتبة عندئذ بوضاعة مركرة ، وود أن لو كانت له نجوم وتيجان والقباب ، فبن كل هذا كان جديراً بأن يروتها ، وقد ظن بها ذلك لما رآه من عتيادها الإسراف .

ومع ذلك فإن «إي» كانت تكبح عدداً من بروقتها المبرقة . كرهبتها في أن

تفتت عربة فحمة درفاه يشدها حصان إنكليزي ، ويقوده سائق في حذاء حزين متني نكي تحملها إلى «روان» وكان «جويستان» هو الذي أوحى إليها بهذه النزوة ، وهو يصرخ إليها أن تأخذه عندما كحادم عربة . وهذا خرماس لم يكن يصعب من سرورهما بكل لقاء ، وإن كان يريد بلا ريب من مرارة العودة وعندما كانا يتحدثان عن باريس كثيراً ما كانت تنتهي بأن تتمتم قائلة : «آه .. كم تكون سعيدة لو عشنا هناك !»

وكان الشاب يجيب في رفق وهو يرم يديه فوق جدائل شعره : «ألسنا سعداء ؟»

فتقول : «نعم ، هذا صحيح ، .. إنني مجنونة - قيلني !»



أصبحت «إي» بالذسة إلى زوجها أكثر سحرأ من أي وقت مضى ، فهي تصنع له الكريمة الملتقى ، ويعرف القاس بعد العشاء وهكذا وجد نفسه أسعد البشر ! وعاشت «إي» دون قلق ، حتى كان مساء قال فيه «شارل» فجأة : «إن الأثة المبرور» هي التي تمصت الدروس أليس كذلك ؟»

- نعم !

فاستأنف شارل قائلاً : «ولكنني قابلتها منذ هتية عند مدم «ليجار» ، وقد تحدثت إليها عنك ، ولكنها لا تعرفك !»

وكان وقع هذه العبارات كالصاعقة ، ولكنه مع ذلك ردت في جملة طيبة . «آه .. إنها بلا شك قد سبت اسمي !»

وقال الطيب : «ولكن ربما كان في «روان» عدة أنسات يحملن الاسم المبرور» ويفرسن الليانو» .

- هذا ممكن !

ثم قالت في حدة : «ومع ذلك فإن لديّ الإصلاحات ! .. انظروا !» ودعت إلى الصوان حيث أحدثت نقش في الأدراج وتقليب الأوراق ، ونهت بأن أصابها الدور ، حتى أن «شارل» دعها في فوه ، وبس ألا تصب

نفسها كل هذا التعب من أجل إيصالات تافهة !  
قالت : «لوه !» . سوف أجدها .

وبالصل في يوم الجمعة التالي بما كان «شارل» يتعمل أحد أحييته في  
الغرفة المطلقة التي تحوي ملايه ، أحس بورقة بين الحلك وجوريه ، فأخذها  
وقرأ «وصل لدروس ثلاثة أشهر وتوريدات مستحقة بمبلغ خمس وستين  
لرنكاه»

فيلبيته ليرود

«مدرسة موسيقى»

وقال «شارل» : «ولكن كيف وصلت هذه الورقة إلى حداثي؟»

فأجابت : «إنها بلا ويب سقطت من ملف الإيصالات الموضوعة على حافة  
الرف» .

ومنذ تلك اللحظة لم تعد حياتها غير سلسلة من الأكاذيب التي كانت  
تلف فيها حيا - وكأنها أوتحة - لكي تحفيه .

وأعصى تكذب بالنسبة إليها حاجة ورلما ولدة ، إلى درجة أنها كانت إذا  
قالت إنها قد مرت بالأمر من الناحية الجسم لأحد الشوارع ، كان من  
الواجب أن يعتقد حكماً أنها حرت من الناحية اليسرى !

وفي صباح يوم سبط الجليلد فجأة بعد أن كانت قد سافرت بملايين ضخمة  
كمساتها - وبما كان «شارل» يظن إلى الجو من النافذة ، رأى السيد  
«بورسبان» هي صرية السر «تيدش» وهو بقودها إلى «دوان» ، وعذلت سر  
لكي يعطي النفس شالاً سميكاً ليحميه إلى السيدة بمجرد أن يصل إلى فندق  
«الصليب الأحمر» . وعجده أن وصل «بورسبان» إلى الفندق ساله عن زوجة  
طبيب «أيرنيل» ، فأجابت صاحبة الفندق بأنها لا تتردد على فندقه إلا نادراً .  
ولذلك عندما رأى النفس مدام بولاري في المساء في «العصوورة» قص عليها  
حيثه وارتيابه دون أن يبدو عليه أنه يعلو اهتماماً على الموضوع ، وذلك لأنه  
ابتدأ الحديث عن موضوع آخر ، وهو شائه على واعظ أحد بشر الإعجاب في

الكاتدرائية ، بحيث تتدبق السيدات إلى سماع عنته !

ونكن إذا سم يكن النفس قد اهتم بأن يطلب إيصاحات ، وإن غيره قد يكون  
فيما بعد أكثر فضولاً ، ولذلك رأيت من المعيد أن تترك كل مرة في فندق  
«الصلب الأحمر» بحيث أن أهل قريتها الذين يرونها في السلاسل لا يشكون  
في شيء .

ومع ذلك فقد رأها السيد «ليري» وهي تخرج من الفندق متباطئة دواع  
«بيرو» وتلكها الحرف ، متصورة أنه قد يأخذ في الثثرة ، وخصوصاً أنه  
يس معلاً !

ونكنه بعد ذلك بثلاثة أيام دخل عرتها وأعلق الباب ، وقال لها : «إنني قد  
أحتاج إلى المال» .

وأعلنت أنها لا تستطيع أن تعطيه شيئاً فأخذ ين ، ويذكرها بكل ما قدمه  
لها من خدمات .

والواقع أن «بي» لم تكن قد دفعت حتى تلك اللحظة غير قبعة واحدة من  
الكيمياليين النتن وقعهما «شارل» ، أما الثاني فقد قبل البناحر -اء على  
رجانها - أن يتبدلها بكيمياليين ، بل وحددهما دواعيد طويلة ثم اسر من  
حبه قائمة بالنورينات التي لم يحاسب على ثمنها ، وهي الستائر والسجاد  
ومعاش لمقاعد وعدة أثواب والدرجات متنوعة بلية ، يرفع ثمنها ليصل إلى  
مبلغ ألفي غريش تقريباً !

وطا طأت رأسها ، فاستأنف يقول : «ولكن إنذا لم تكن لديكم نقود سائلة  
عنديكم عقارات !» .

وحدد لها بيتاً حفسراً يقع في «بارنيل» إلى جوار «أوعال» ، وهو لا يعمل  
دحلاً كبيراً ، وكان فيما مضى ملحفاً بمروعة مصيره «ابتاعها السيد بولاري  
«الاب» ، وذلك لأن «ليري» كان يعرف كل شيء ، حتى مقدار الهكتارات واسم  
الحيران !

وقال : «لو أنني كنت في مكانكم لتحلست من النتن ، وفي لي العائض  
بعد ذلك»

واعترضت «إيما» لصعوبة العثور على مشتر فاعطاف الأمل بأن يجد  
مشترأ ولكنها تساءلت عما يلزم لكي تستطيع أن تبيع  
فأجاب : «أليس لديك التوكيل ؟» .

فوصفت إليها هذه العبارة كهيئة هواء رطب .

وعالت : «ترك لي القائمة»

فأجاب : «أوه ! .. لا داعي لهذا» .

وعاد في الأصغر التالي فجوراً بأنه قد استطاع بعد مباح مضية أن  
يكشف الشاري «مدمر» «لأنه» ، الذي كان يتطلع إلى البيت دون أن يتضح  
عن الثمن !

فصاحت : «الشمس لا بهم !»

وكان الواجب - على العكس - الانتظار ، وحي هذا المارد !

وكان الأمر يستحق معناه ، ولكنها لمّا كانت لا تستطيع القيام به ،  
السر ، فقد عرض أن يدفع هو إلى المكان ، لكي يتفاوض مع «لأنه» ،  
ومجرد عودته أعلن أن المشتري قد اقترح أربعة آلاف .  
ونهلث «إيما» بهذا الخبير .

وأضاف «بصراحة هذا ليس جيداً»

وقبضت نصف المبيع فوراً وعندما أشد الناجر بصمي حبابه قبل «أنهم»  
أنه ليؤذي أن أراك تدعين مثل هذا البيع المحترم مرة واحدة»

وعندها نظرت إلى الأوراق النقدية وهي تعلم بعدد المواعيد التي لا حصر  
لها والتي يمثلها هذان الألمان من العرنكات .

وقننت قلقة : «كيف ؟ .. كيف ؟ .. !»

فأجاب وهو يضحك في مظهر وديع : «أوه ... إن الإنسان يضع كل شيء  
على الحساب ... أكنت أعرف المنازل ؟» .

وأخذ يحدد عليها وهو يمسك في يده قائمين طويلتين يتحسهما بين  
أصابعه ، وأخيراً فتح حافظته ونشر على ثلاثة أربع كمبيالات كل منها بألف

فرنك ، وقال : «ولقي لي هذه» ، واحتفظي بالكل !» .

واستكرت قوله مشفرة

ولكنه أجاب في وقاحة «ولكنني أعطيك العناصر أليس في ذلك  
حسنة لك أنت ؟» !

ثم أخذ قسماً وكتب في أسفل قائمة حساب «وصل من مدم مولاري  
أربعة آلاف فرنك» ، وأضاف قائلاً : «ماذا يفتك ما دمت مستسلمين بعد ستة  
أشهر متأخر ثمن منزلك» ، وما فتت قد حددت ميعاد آخر كمبيالة له بعد  
الدفع ؟

واوتسكت «إيما» قليلاً في هذه الخصايات ، وأخذت أدبها تطيان ، كأن قطعة  
من البهية قد شقت أكياسها وأخذت ترون حروبها على الأرض - وأخيراً  
أوضح لها «ليبر» أن له صديقاً اسمه «فانسا» صاحب بنك في «روان» ، وأنه  
سيحسم هذه الكمبيالات الأربعة ، ثم إنه سيدفع بنفسه إلى السيد ما يميز  
من الدين الحقيقي .

ولكن بدلاً من القمي فرنك لم تعز إلا بألف وثمانمائة ، وذلك لأن الصديق  
«فانسا» أخذ مائتين كمصاريف عمولة وأجرة خصم !

ثم طرب متظاهراً بعدم الاكتراث أن تكلم له وهو يقفون «أنت  
تصرفين في الشحار» أحياناً ومع التاريخ من فصلت -  
التاريخ !

وانفتح عندئذ أمام «إيما» أفق للتزوات لمكة التحقيق ، وكان لديها من  
الحرم ما دفعها إلى أن تصع ألف فرنك من احتياطي ، وبوساعتها استطاعت  
أن تدفع قيمة الكمبيالات الثلاث الأربعة عندما حل موعدهما . ولكن الرابعة  
سقطت في أحرز مصادمة يوم خميس ، وانتظر «شارل» مصطرباً في صبر  
عودة امرأته يطلب إيضاحات .

وإذا كانت روجته لم تعبر بهذه الكمبيالة ، فإن كان ذلك لكي تحيه  
الهموم البرية ! وجست فوق ركبه وداعته وبعته ، وأخذت تعدد قائمة

طويلة من الأشياء الضرورية التي أخذتها على الحساب ،

وأصابت قائلة : «ولا شئت أنت تغدر أن هذا الشئ ليس مرتفعاً بالنسبة إلى هذه الأشياء الكثيرة»

وعاد «شارل» إلى «سيريه» بعد أن استعذ كل أفكاره ، وأقسم الناجر أن يسوّي الأمور إذا وقع السيد له كيميالين ، إحداهما بسمعانة قريب تدفع بعد ثلاثة أشهر ، ولكي يعطي الموقف كتب إلى أمه خطباً مؤثراً ، ولكنها بدلاً من أن ترد حضرتت بنفسها ، وعندما أرادت «إي» أن تعرف ما إذا كان قد استخلص منها شيئاً أحاب قائلاً : نعم ! ولكنها طمعت أن تطلع على الحساب وفي صباح اليوم التالي أسرع «إي» عد بروع الشمس إلى السيد «سيريه» لكي ترجوه أن يعد قائمة حساب أخرى لا تتجاوز الألف فرنك ، وذلك لأنه لكي تظهر كيميالته الأربعة آلاف كان لا بد أن تقول إنها دفعت الثلاث ، وأن تعرف تبعاً لذلك بيع العقار الذي أحسن الناجر المساومة عليه ، والذي لم تعلم يبيعه فعلاً إلا بعد ذلك ،

وبالرغم من رخص ثمن كل سمعة ، فإن مدام بوفاري ، الأم لم يعتها أن تلاحظ الجالعة في المصروف

وأصابت قائلة : ألم يكن من الممكن الاستغناء عن سجادة؟ وما الداعي إلى تجديد قماش المفعد؟ في أناس لم يكن في المنزل غير مقعد واحد للمسيّر ، أو على الأقل كان هذا هو الحال عند أمي التي كانت سيده راقية لؤكد لكم أن كل إنسان لا يستطيع أن يكون عبداً إلا أية ثروة لا تستطيع أن تشتت مع الإسراف ! إنه ليجعلني أن أدلل نفسي كما نفعون ! ومع ذلك ما أنا عجوز وفي حاجة إلى العناية ما هذه الأنهب والمغففة حرير للبطانية بفرنكين يسعاً يوجد قماش بنصف فرنك بل وربع فرنك يؤدي العرض بمه ! وأجابت «إي» في هدوء مطمئن وهي مطرحة على المقعد : «إيه يا سيدتي ... كمي ... كمي ...»

واسمعت الأخرى تعظها وتباً بأنهم مسهبين إلى المشغى ! كما أن

الخطأ يعود إلى بوفاري ، وأنه من حسن الحظ أنه وعد بأن يلغي التوكيل - جيد؟

- آه ، لقد أقسم لي بذلك .

ومتمحت «إي» السادة وبادت «شارل» - واضعراً المسكين إلى أن يحترف بالوعد الذي انتزعه منه أمه .

واختصت «إي» ثم عادت مسرعة وهي تمذ إليه في عظمه ورقة كبيرة فقالت للسيدة العجوز : «أشكرك» .

ورمت التوكيل في النار !

وأحدثت «إي» صحكاً صارخاً صاخاً مستمراً ، إذ إنها قد أصيبت بألم عصبية وصاح «شارل» قائلاً : «آه يا إلهي إنك أنت الأخرى صحتك» لقد أثبتت لنفسي عليها حرياً !

وهزت أمه كتفها وادعت أن كل هذا ليس إلا تمثيلاً

ونكى «شارل» - الذي ناز لأول مرة - أخذ جائب الدماغ عن امرأته ، حتى إن مدام بوفاري ، الأم ، أرادت أن ترحل . وفي اليوم التالي رحلت بالفعل ، وغدب أراد «شارل» أن ينثيها عن الرحيل وهي واقفة على العتبة أجابت هائلة : «لا لا إنك تحبب أكثر مني ! سوف توى أقصى لك العافية» وذلك لأنني لست مستعدة لأن أثن عليها معارك كما تفعل !

ومع ذلك لم يكن «شارل» أقل ارتباكاً براء «إي» التي لم تخف الموجدة التي بقيت في نفسها من نقص ثقته فيها ، وكان لا بد من غرامات متكررة قبل أن توافق على استرداد توكيلها ، بل واضطجعت عند السيد «جيومان» لكي يحرر لها توكيلاً ثانياً متشابهاً للاول تماماً .

وقال الموش : «إني أنهم ذلك ، فرجل العدم لا يستطيع أن يشغل نفسه بتفاصيل الحياة العملية

وأحسن «شارل» بالراحة عندما سمع هذه العبارات المذكرة التي تضعي على الصفحة مظاهر خبائة من الاعتماد بأمر أكثر سمواً

سنة أشهر . . (ليس هي إنا؟)

وحطرت له فكرة ، فطلب من مفهيه دليل الهاتف ، ويبحث في سرعة عن رقم هاتف الأتمة لـ «ليروز» التي تقيم في شارع «وييل دي مارو» كيبه رقم ١٧٤ .  
وبينما هو يدرس في هذا الشارع إذ بزوجته تظهر هي نفسها عند الطرف الآخر ، فرمى بنفسه عليها في تهالك أكثر من عناق ، وهو يصيح ما «ندي استغناك أمس؟

- لقد كنت مريضة .

- بأي مرض؟ ... أين؟ ... كيف؟ .

ومرت بيدها فوق جبهتها ثم أجابت : «عند الأتمة لـ «ليروز» .

- لقد كنت متأكداً من هذا ، وكنت ذاهباً إلى هناك .

فقالته «أي» : «أوه ! لا داعي لذلك ، فقد خرجت بعد هيبه . ولكن في المستقبل اعلم ! فأنا - كما تعلم - لن أكون حرة إذ كنت أعلم أن أفس تاحير يزعجك على هذا النحو» .

وكان هذا بمثابة تعهد أعطته لـ «سها» ألا تعد في شطحاتها . وعند كانت نفس برعية في رؤية «ليون» بعد ذلك كانت تنحس أي سبب ! ولما كان لا يتظرها في مثل ذلك اليوم ، فإنها كانت تذهب لتستحضره من مكتبه . وقد وجد سعادة كبيرة في الأيام الأولى ، ولكن بعد قليل لم يعد يحس الحقيقة ، وهي أن رئيسه قد أخذ يشكر من هذا الاضطراب في العمل . وكانت تقول (أه . . . أوه . . . تعال إذا . . .) .

وكان يطبخ

وكان من الواجب عليه أن يقصر عليها كل مرة سلوكه كله منذ اللقاء الأخير . وكانت تطلب أشعراً . أشعراً من أجلها . فقصيدة غرام تجدها !  
ونك لم يصل قط إلى أن يقع على قافضة البيت الثاني ، وانتهى بأن سح مقطوعة من مجموعة أشعار .

يا لها من معالقات تلك التي شهدتها غرفه الفندق في الخميس التالي مع «ليون» ! لقد صبحت «إنا» وبكت وغت ورقصت وطلبت مشروبات من عصير العنكة المروج باخمر ، وأرادت أن تدخن السجائر ، ومدت له مسطرة ولكن ساحة رائحة . ولم يدر أي فاعل في شخصه كان ذلك الذي يدفعها . أكثر من ذي قبل - إلى التهاك على دباب الحياه . وقد أصبحت عصبية ، بهمة شهرية . وأخذت تتره معه في الشوارع رافعة الرأس ، ودون خوف . فيما تقول - من المضحك . ومع ذلك فإنها كانت ترتعد أحياناً عند غر برأسها مجاة فكرة الانتقاء بـ «رودولف» ، وذلك لأنه كان يلوح لها أنه لم تنحس تحراً مطلقاً من التحلق به ، بالرغم من أنها قد افترقا إلى الأبد .

وفي مساء يوم لم تعد إلى «أوتفيل» ، فطار حواسه «فشار» ، ولم يرد الصميرة «بيرت» أن تمام دون أمها ، فأحدث نيكى بكاء كاد يصعد صدرها . وأطلق «جوستان» على الطريق دونه هدف ، وبرك اسيد «هوجيه» صيدليه بسبب هذا الغياب .

وأخيراً ، في الساعة العاشرة ، بعد صبر «شار» ، فأخذ عرته وقصر فيها وساط البداية ، ووصل حوالى الساعة الثانية صباحاً إلى فندق «انفليب الأحمر» . ولكنه لم يجد . وظن أن الكاتب قد رآه ، ولكن أين يقيم هذا الكاتب؟ ومن حسن الحظ تذكر «شار» حوال رئيسه ، فأسرع إلى هناك .  
كان الصبح قد أخذ يظهر ، ورأى لافتة على باب فندق ، وصاح شخص من الداخل دون أن ينتج ، مقدماً المعلومات التي صدها ، وهو يسب أوتش الدين يقتنون الناس في الليل ،

وكان المرء الذي يقطعه الكاتب دون جرس ولا مدقة ولا يواب ، وأخذ «شار» يصرب بصفحة يده ضربات قوية على حشب النوازل . ومر شرطي فتعلقه الخوف ، وانصرف وهو يحدث نفسه قائلاً (إني مجنون . إنهم بلا ريب قد استبقوها لتناول العشاء عند السيد «لورمو»)

ولم تكن أسرة «لورمو» تقيم بعد في روان . فحدث نفسه ثانية قائلاً (إنها قد تحولت للعناية بـ «دي بروي» . آه ! إن مدم دي بروي قد ماتت منذ



اعداد «ليون» ، في الرحلات التي كان يقوم بها لرويتها ، أو يتناول طعامه عند الصيدلي ، ولذلك رأى نفسه مضطراً بحكم اللياقة إلى أن يدعوهم هو الآخر إلى الطعام .

فاجاب السيد «هومي» : «مكن ارتياح اردلك فضلأ من حاجتي إلى التجديد قليلاً لأنني قد أحدثت احداً ها وسوف يذهب إلى المسرح ، والمطعم ، ونأتي ما نشاء من مرح»

وقامت مدام «هومي» في حان ، وقد ازيجتها الأقطار الضامضة التي قد تعرض لها : «آه يا عزيزي!»

يقال الصيدلي : «ثم ماذا؟ من تميز أنني لا أدمر صحتي لتدمير الكافي بالحياة وسط هذه الروائح المبعثة باستمرار من العبدية؟ ولكن هذا هو طبع النساء ! ينهن عبوات من العدم ، ومع ذلك يأتين أن يتمتع الإنسان بأية تسريه مشروعة ولكن تقى ، على أي حال ، بأنني سوف اسقط يوماً على «روان» ، وأنا سطيح سوياً بالفرد» .

كان الصيدلي فيما مضى يحذر مثل هذه العبارة ، ولكنه أخذ الآن يظهر بالمظهر البشري المستحسن الذي رآه ملاحاً لدوق الربيع ، وأحد يسأل - كجدارته مدام بوفاري - الكاتب في نهم عن عادات وأخلاق سكان العاصمة ، بل وأخذ يتحدث بلهجنه الخاصة لكي يدهش من حوله من البرجوازيين فيقول «يسبح الطاسة» و«يسطر» و«يتجل» - إلى بقية التعابير

وهكذا شذبت «لينا» في يوم خميس بأن تلقى في مطبخ «الأسد الذهبي» السيد «هومي» في حلة السر ، أي مخطئ بمطبخ قديم لم يكن معروفاً أنه يمتلكه ، ربما يحمل في إحدى يديه حقيبته وفي اليد الأخرى الوحاف الذي يدمي فيه قدميه وهو في الصدمة . ومع تعجب أحداً بمشروعه خوفاً من أن يقلق الرئاس لمداه !

كانت تشير فكرة رؤية الأمانك التي مضى فيها شبابه من جديد ، وددت لم يتوقعه عن الكلام طواف الطريق - ومجرد أن وصل قصر من العصرية في

سرعة ، وأحد يبحث عن «ليون» ، الذي حاول عبثاً أن يتخلص منه ، فإن «هومي» قد جره إلى مصفى «بورمانديا الكبير» الذي دخله في عظمة دون أن يحتج قبعة ، مقدماً أن حلقها في مكان عام دبل قوي على الرمية !

وانتظرت «لي» «ليون» ثلاثة أرباع الساعة ، وأخيراً أمرت إلى مكانه ، وقد ضمت في الانقراضات ، فأنهتته يقدم الحذاء ، كما أنهتت نفسها بالصمغ ، وأصمت بعد الظهر ملصقة الجليج برجاج الحادة

كان في الساعة الثانية لا يزالان مترهين على الحانة ، أحدهما أمام الآخر ، وقد أحدثت المصافة الكبرى تحلو من الناس كمن «هومي» متشياً ، ولرأته كان ثعلباً بالذبح أكثر منه بجودة الطعام ، وإن يكن سيد «بوعار» قد أثار قليلاً من ملكاته . وعندما ظهرت العجة بالروم أحد يعرض عن النساء نظريات لأخلاقية . كان أهم ما يجذبه هو الأناقة ، فهو يعيش ربه أبقه في جناح حسن الأثاث

وكان «ليون» يرمي الساعة الدقاقة في رأس ، يسد الصيدلي يشرب ويأكل ويتكلم !

وقال فجأة : «لا بد أنك محروم في «روان» . وإن يكن أحبابك لا يقيمون بعيداً من هنا !»

وعندما أحدثت الحسرة تعبر وجه الآخر ، أضاف قائلاً : «ها ! ولكن صرحاً ! هل تذكر أنك في «ليونفيل» ؟»

فسمعهم الشهاب ، وأضاف الصيدلي : «بعد مدام بوفاري إلا . تداهب . . . ؟»

.. من ؟

.. الحفادمة !

لم يكن الرجل يرح ، ولكن العزور ملبت عند «ليون» . رغم أنه - على الحد ، فاستنكر ما سمع ! ثم إنه لم يكن يحب غير السمراوات وقال الصيدلي : «إنني أزيدك ، فإنهن أكثر حرارة !»

وسأل على أذن صديقه وأحد بوضوح الأمارات التي تعرف بها المرأة الحارة المراح أثم انطلق في استعراض عن علم لأجاس ، فالأثنية خيانية ، والعربية إباحية ، والإطانية انفعالية !

وسأل الكاتب ، والرمييت ؟

فقال «هومي» : «هذ، دور العنان»

ثم نادى النادل وطلب كأسين

فقال «ليون» وقد تعد صبره في النهاية : «هل تنصرف؟»

فأجاب الصيدلي بالإنكليزية : «نعم» ! .

ولكنه أراد قبل أن يصرف أن يرى صاحب المطعم ، وأن يقدم إليه بعض النهائي !

وعندئذ ادعى الشاب أن لديه بعض المهام ، وذلك لكي يحمر نفسه

فقال «هومي» : «آه ! سأصطحبك» !

وبسما هو يحدو معه في الشوارع أخذ يتكلم عن زوجته ، وأولاده ،

ومستقبلهم ، وصيدليته ، ويقتص ما كانت عليه من تدهور عما مضى ، ودرجة

الكمال التي وصل بها إليها !

وعندما وصلا إلى فندق «ليون» تركه ليون فجأة ، وتسلق السلم ، ووجد

عشيته في اتفعال شديد .

وعندما سمعت اسم الصيدلي أخذت العصب ، ولكنه أخذ يعدد الأعذار ،

خالفاً لم يكن خطأه ، وهل هي تجهل السيد «هومي» ؟ وهل يمكن أن تعتقد

أنه بعض هبعته ؟ ولكنها درت على عقيها ، فأثبت بها وحث على ركشيه ،

ولفت ذراعيه حول عنصرها في وضع هذه عليا بالشهوة والصراخ

كبات واقعة ، وعيها الكبرتان الملتصتان تظفران إليه في جدد ، بل وفي

هيئة تكاد تكون محببة ، ثم غامت عيناها بالدموع ، وتسدلت جفونها

الزردية ، وأرتجت يدها فحملهم «ليون» ، وعندها ظهر خادم يحبر السيد أن

هناك أحداً يطلبه .

فأثت «متعود؟»

- نعم !

- ولكن ؟

- فوراً !

وقال الصيدلي عندما منح «ليون» : «إنها حيلة أردت بها أن أقطع هذه الزيارة

التي لاح بي أنها تضيقك ! هيا ! فلنذهب إلى بار «بريدو» نتناول شرباً» !

فأنضم «ليون» بأنه مظهر إلى أن يعود إلى المكتب ! وعندئذ أخذ الصيدلي

يرسل المكاب عن الأصابع ولأجرات القمصانية !

وقال : «مترك قليلاً فقهاه ! ومن الذي يجمع ؟ كن شجاعاً ! هيا !

وهلما طل الكاتب مصراً عن الامتناع عن الدهاب قال «هومي» :

«سأذهب إلى هناك أنا أيضاً ، وسوف أقراً جريدة في انتظارك أو أكتب

صحفحات مجموعة قوانين» ! .

وطل «ليون» حائراً ورأسه يدور من عصب «إينا» وتوترت ليد «هومي» ،

بل ورب من ثقل انطعام ! وكان الصيدلي قد أخذ يعريه وهو يردد : «هيا إلى

محل «بريدو» ! إنه على مسافة حطوتين !» .

وعندئذ استسلم مساقاً إلى محل «بريدو» عن جبن أو غصه ، أو عن ذلك

الشعور العاص الذي يسوق نحو الأنثى التي يعضها أشد البعض ورحما

«بريدو» في لعاء الصغير ، حيث كان يلاحظ ثلاثة عمال يلهثون وهم

يسيروا عجة كبيرة لكة ضحلة تصع عليه ، نمازية ، فأعطهم «هومي» بعض

الصائح ، وأراد ليون عشرين مرة أن يصرف ، ولكن الأخير كان يحسكه من

ذراعه قائلاً : «بعد هيبه ! سأخرج وستذهب إلى جريدة «فال دي رونا»

أرى أولئك السادة ، وسوف أذهبك إلى «توماسان» !»

ومع ذلك تمحصر منه وجري وثماً حتى الصدق ، ولكن «إينا» كاتب قد

غادرته !

كانت قد رحلت عاضبه وقد أصبحت لاك تبعه ، ولأجل لها إحلاله

بالدعوى إهانة ، كما بحث عن أسباب أخرى لتفصل عنه ، مهر غير قادر على البطولة ، ضيق ميتدل ، أكثر رجاؤه من امرأة ، فضلاً عن أنه يحسن معدن الحياة !

ثم أحدثت تكتشف ، عذبة هدأت ، أنها قد اعتنات ملازم ، ولكن انتصافاً إلى محب لا بد أن يقصينا عنهم قليلاً ، فالأصنام المعروفة لا يجب أن تفسد ، والأفقدت صلاها الذهبي الذي يتصدق عندنا بأيدينا

ثم أصبحنا يتحدثن بعد ذلك اليوم عن أشياء بعيدة عن حبهما ، وفي الخطبات التي كانت ترسلها إليه «إله» كان يجري الحديث عن الزهور والأشجار والقمر والنجوم ، وكلها رسائل سائدة بمرام أصابه الضعف ، وأخذ يقول أن يتعش بلساعات الخارجية أو كانت تعد معها بسعادة عميقة هي كل رحلة مقبله ، ثم كانت تعترف بأنها لم تحس شيء غارق للعادة ولكن هذه الطبيعة كانت تمحي تحت تأثير أمل جديد ، فتعود «إله» إليه أكثر اشتغالاً وبهما ، فكانت تمرى في عصف ، وتترجع شريط صدرها الرقيق الذي يدور حول رديها كما يتسلل الشعاع وكانت تذهب على أطراف أصابعها العارية لكي تتأكد مرة أخرى من أن الساب معلق ، ثم تنقسط ملاسلها كلها بحركة واحدة ، وتنهالك على صدره في رعشه طويلة ، شاحبه صامتة جادة !

ومع ذلك فقد كان فوق جبينها تعطى بقطرات العرق الباردة ، وفوق شعبيها المتمتمتين ، وفي حديقها الصائتين ، وفي ضمة دراهيها ، يرسف خدائض مقبض ، يلوح «ليون» أنه يساق بينهما في تسلل وكأنه يود أن يوصل بينهما !

لم يجرد أن يلقي عليها أسئلة ولكنه لما كان يدرك أنها ذات خبرة ، فقد قال لنفسه إنها لا بد قد مرت بمختلف تجارب الألم واللذة ، وما كان يسحره فيما معنى أصعب الآن يبعيه قليلاً ، وفوق ذلك فإنه أخذ يشور على امتصاصها لشخصيته ، امتصاصاً يتزايد يوماً بعد يوم ، حتى لقد أخذ يعقد عليها هذا الانتصار الأثني ؟ لم يحاول أن لا يهيم به ، ولكنه بمجرد سماعه وقع أقدامها

كان يحس نفسه جباناً ، كمدني الحمر عندما يرون شرباً قوياً !

ومع ذلك فإنها في الحق لم تحس عن أن تحيطه بأنواع من الرعاية ، فمع طبيبات المائدة ، إلى أمانة طيس ، إلى هيام النظرة ، وكانت تستحضر من «أيوذيل» الورود في صدرها لكي تلقيه في وجهه ، كما كانت تظهر الشلق على صحته وتقدم له الصانع عن سدوكة ، وبكي تسيقيه مدة أطول - وقد رحت أن تاعدها بالعذبة الإلهية من ذلك - هورت عذقه ينوط للعداء ، وكانت تآله - كام فاصله - عن رفاهه ، وتقول له «لا نرهم» لا نخرج - لا تفكر إلا فينا ... آهني !

وعلى أية حال ، فإنها لم تكن سعيدة ، ولا كانت سعيدة فقد ! ومن أين يأتي إذاً هذا النقص في الحياة ، وهذا التمعن السريع الذي يصيب كل ما تتكبر عليه ؟ - ولكن إذ كان في مكان ما شعبي قوي جميل ذو طبيعة ممتازة ، ملئ بالحماسة والرفاهية معاً ، فب شاعر في مظهر ملاك ، عود ذو أوتار من بحس ترنم لسماء سماته وهو يعرف أناشيد الرماف المعاطمية ، فبعد لا تلقاه مصادفة ؟ أو ! يا به من مسجيل ! ! وفوق ذلك ، فلا شيء يشق عاه البحث ، وكل شيء خادع

كانت «إله» تعيش مشغولة بتزوياتها اشتغالاً تاماً ، دون أن تعي نفسها بمسألة المثل ، أكثر عى تعني بها نفسها لرشيدوق !

ومع ذلك حدث مرة أن دخل عليها رجل هزيل المظهر ، صارف إلى الحمره ، أصلح ، معاً أنه مرسل من السيد «فانصار» المقسم في «روان» ، ثم مد يده في تأدب ورقة !

كانت كميالة بسبعمانه قرنك مقيدة عبيها ، وكان «ديريه» قد حولها لأمر «فانصار» بالرغم من معارضةها القوية ،

وأرسلت عذمتها إلى منزله ، ولكنه لم يستطع أن يحضر - وعندها أحد الرجل المجهول الذي ظل واقفاً يتطلع بمة ويسرة بتطرات مستطمة ، يبعيها حاجباه الشقراوان السميكان - أحد يسأل في مظهر سادع

«أي جواب أحمل للسيد «فانسار»؟»

وأجابت «ليدي» بحس ، قبل له إنه ليس عمدي وسيكون عمدي في الأسبوع المقبل . . . فلينتظر . . . نعم ! الأسبوع المقبل !» .  
وانصرف الرجل دون أن ينس بكلمة .

ولكنها تسلمت في اليوم التالي عند الظهر إنداءً وقد أفرغها مرعاً شديداً منظر ورقة الدفعة ، وقد انتشر فوقها في عدة مواضع ، وبأحرف كبيرة «الأستاذ هران محضر بوشيه» حتى إنها انضقت مرعة إلى منزل نافع القماش !  
وجدته في ذلكاه مشغولاً يحزم دعة فقال : «سأدرك أأنا تحت أمرك !» .

ومع ذلك ستمر في عمله ، تعاونه ست صبيحة في الثالثة عشرة من عمرها تقريباً ، محدودة الظهر قبلاً ، وهو يستخدمها كصاع وهدية في الوقت نفسه

ثم دق بحدائه فرق خشب أرضية الدكان ، وصعد أمام البدة إلى الدور الأول ، وأدخلها في عربة مكتب ضيقة ، حيث كان مكتب سميت من خشب الأنقاض ، فوق بعض السجلات ، التي يضمها ضمناً أفقياً عمود من الحديد مثبت بمس من وإلى جوار الحائط تحت قصاصات من القماش كانت تلمح حرانه ، ولكنها في حجم يديل على أنها كانت تحسوي شيئاً آخر غير الكمبيالات والنقود والواقع أن السيد «ليديه» كان يقرض على وهونات ! وفي هذه الحوالة كان قد وضع سلسلة منام بوفاري الذهبية ، مع أقراط الألبانية ، المسكين الذي اضطر إلى أن يبيعها ، وشترى بمالها خزينة مات فيها من الزيو ، وسط شحذاته التي كانت أقل اصهرراً من وجهه !

وجلس «ليديه» في كرسيه الضخم المصنوع من انفس وهو يقول «ماذا جد؟»

فأطلعت على الورقة وهي تقول : «خذ !»

«ولكن ماذا أستطيع !؟»

شارت صاعبة وهي تذكره بوعده بأن لا يدفع كمسيالته إلى الباقول .  
فأش عنى هذا القول ، ولكنه أضاف «وبكسي كنت مضطراً أنا نفسي إذ كان السبق مسطاً على عنقي !» .  
فأقلت . «وما الذي سيحدث الآن؟» .

قال «آه ! الحكاية بسيطة : حكم من المحكمة ثم حجر . . . أمر تائه !»  
ومطمت «انما» عيظت حتى لا تضربه أو رسك في رفق عما إذا كانت هناك وسيلة لشهادة السيد «فانسار»  
فقال بحس ! نعم ! بهمة «فانسار» إنك لا تعرفينه ! إنه أكثر وحشية من وحش همار !» .

ومع ذلك كان لا بد من أن يتدخل السيد «ليديه» في الأمر فقال «انصبي إلي» إذا بلوح لي أنني حسي الآن كنت طيباً معك إلى حد بعيد !»

ثم فتح أحد سجلاته وقال ، «انظري»  
واحد يصعد في الصفحة بأصبه وهو يقول «انظري انظري لي ٣ . . . مائتا فرنك . . . و١٧ . . . مائة وخمسون . . . ٢٣ . . . ستة وأربعون . . . وفي نيسان / أبريل . . .»  
وتوقعت كأنه يخشى أن يرتكب حماقة !

ثم أضاف «والا لا أقول شيئاً عن انكبيالات الميضة عن حساب السيد بوفاري واحدة بمسبحانة فرنك ، وأخرى بثلاثمائة وأب عن هروصك الصغيرة ، وعن الفوائد ، بهذا أمر لا يتهي ، وإن الإنجاب فيحصل فيه أو لن أتدخل فيه بعد الآن !» .

وأخذت تسكي «س درجته بقولها «يا سدي الطيب «ليديه» !»  
ولكنه كان يلقي الشيعة دائماً على هذا الكلب «فانسار» ! وحق ذلك فإنه ليس لديه مستم واحد ولا أحد يدفع له الآن ! من إنهم ليأكلون الصوف من فوق ظهره ! وصاحب ذلك فقير مثله لا يستطيع أن يقرض !

وصحنت «إي» ، فأخذ الملق بساور «ليريه» الذي أخذ بعض ريشة الكتابة ثم استأنف قائلاً : «لو أنه أصبح لي يوماً شيء من الدخل لاستطعت إنفاً .»

وقالت «على أية حال فبئس آخر «بارنيل» عندما . . .»  
- كيف؟

وجديداً علم أن «لاعبوا» لم يكن قد دفع بعد ، لاحظ عليه المذعة ، ثم قال بصوت مسمول :

- ونعق كما تقولين ؟

- أو - تنعق كما تشاء !

وعندئذ ألقى عصبه لكي يفكر ، وكنت عدة لرقام ، وأعلم أن في الأمر مشقة كبيرة وأنه أمر شائك ، وأنه يتصرف ماله ، وأملى أربع كمبيالات كل منها بمائتين وخمسين فرنكاً بتواريخ استحقاقه متفرقة من كل تاريخ وآخر مترو شهر

وأضاف قائلاً : «كل هذا على أن يستمع لي «سانسار» وفضلاً عن ذلك فانا لا أمانطل - وقد اتفقنا ! وأنا رجل مستقيم كحد السبب !»

ثم أطلعها في غير اكتراث على عدة سلع جديدة وإن لم تكن أي منها في نظره جديدة بالسيدة !

وأضاف قائلاً : «هكذا أرى ثوباً كهذا بثلاث فرنك المشر ومصموم الصيغة ! ومع ذلك يصدقون هذا ! والواقع أنهم لا يدركون لهم الحقيقة»

وقد أراد بهذا التصريح لما ذكر ، عن الآخرين ، أن يقمها إقناعاً تاماً براءته ! ثم دعاها لكي يطلعها على ثلاثة أدرع من الحرير كان قد عثر عليها أخيراً

في إحدى التصفيات

وقال «ليريه» : «أليس جميلة؟» . . . إنه يستخدم الآن كثيراً لتغطية ظهور المقاعد . . . وعلقت هي «الموضة» .

وفي خفة أسرع من خفة الحاروي ، لف الحزير في ورق أزرق ووضع يمين يمين «إي» !

فقالت : «دهي على الآن أعلم . . .»

فقال وقد أدار لها ظهره : «آه ! ، فيما بعد !»

ومذ اسماء أخذت تستمع روحها يكتب إلى أمه كي ترسل إليهما بسرعة متأخر الفركة .

وردت حمايتها بأنه لم يعد لديها شيء ، فالتصية قد انتهت ، وقد بقي بهم - فضلاً عن «بارنيل» ستمائة فرنك كدخل سنوي سوف ترسلها إليهما كاملاً بانتظام

وعندئذ أرسلت «إي» قوائم الحساب لمعميلين أو ثلاثة من المرضى ، ثم توسعت في استخدام هذه الوسيلة التي نجحت فيها ، وكانت تحرص دائماً

على أن تصيف في ديل كل قناعة عبارة «لا تحسروا روعي بشيء» ، فأنتم تعلمون مبلغ كبرائه . . . معدرة . . . خادمتكم . . . ، وكانت هناك بعض مطالبات فأوقفتها

ولكي تحصل على نقود أخذت تباع قماراتها وبيعاتها القديمة ، وكثيراً من «الأشياء المهجدة» ، وكانت تسام في شدة ، وكان دمها الرخي يذهبها إلى الكسب وفي أثناء رحلاتها إلى المدينة كانت تسرق بعض التوافه التي لا

شك أن «ليريه» سيأخذها منها إن لم تجد غيره - فكانت تشتري ويش بعدم ، وحرماً صديقاً ، وكانت تقتصر من «فيليبينيه» ومن مدم «لو غراسوا» ، ومن صاحبة فندق «الصليب الأحمر» ، ومن جميع الناس في أي مكان - وأخيراً

دفعت بالفرد التي استلمتها من «بارنيل» قيمة كمبيالتيه ، وبددت الألف وخمسمائة فرنك ، لأخرى ، ووقعت كمبيالات من جديد ، واستمرت على هذا الموال .

ومع ذلك فإنها حاولت أحياناً أن تدون حسابات ، ولكنها اكتشفت أشياء مرهقة إلى درجة لم تستطع تصديقها . وعندئذ ابتذلت ترسلها بسرعة فحقت عن كل شيء ، ولم تعد تفكر في شيء !

وأصبح البيت في هذه الفترة بالغ الكآبة - وكان الباعة يشاهدون وهم



يخرجون منه بأوجه مكهفزة ، وكانت الماديل مطروحة فوق المدعاة ، وبيرت الصغيرة تلبس جوارب مشقوبة ما يشير لشوار مدام «هوبه» ونحوها «شارل» في جيب على تقديم ملاحظة إليها ، فردت في عنف بأنها ليست هي المخطئة ! ولكن لماذا كل هذه الشورات المعصية ؟ لقد أخذ يفسر كل شيء بمرضها العصبي القديم ، كما أخذ يقوم بعنه أنه يحاسبها على أمراضها كقناص وأحد يتهم نفسه بالأنانية ، ويشعر بالرهبة في أن يحري لفلها وحده الخريف وأخذت الأوراق تسقط على نحر ما حدث من عامين عندما كانت مريضة ! فتمشي انتهى إذا كل هذا ؟

كانت «سيدة» في غرفتها ، ولم يكن أحد بعده إليها ، كانت تسلقي هناك طول النهار ، متعملة شيه عارية ، ومن وقتها إلى آخر كانت تحرق بعض السجور الذي اشترته من «روان» ، ولكن لا تشع في الليل لحلم الرجل الذي ينام ممدداً إلى جوارها نصق جسمه ، أحدهم سمعهم حسي «نهت بأن سمته إلى الصديق الثاني» وكانت تقرا حتى الصباح كتاباً مشيرة مبينة بالملاحظات الداعرة والحداث الغامية . وكثيراً ما كان يأخذها الرعب فتطلق صيحة ، ويهرول «شارل» فتقول .

« آه .. اذهب هني ! »

وأحياناً أخرى كانت تحترق في شدة ، يدبث الذهب الساحلي الذي يضره العجور ، وتعمل وبلهت ، ويستيقظ رعبها ، تمنع الباردة وتستشق الهواء البارد ، وتثر في الرياح شعرها الكليف ، وتقفز إلى السجور ، وتسمى غرايات أمير !

وكانت تفكر فيه في «ليون» وكانت مستعدة لأن تعطي كل شيء مقابل مواعيد من تلك المواعيد التي كانت تشبع بهما !

كانت تدث المواعيد هي أيام بهجتها . وكانت تود أن تكون أياماً بهيجة وعندما كان «ليون» لا يستطيع أن يتحمل وحده اللقعات ، كانت تكمل العجر في سحاه ، وكان هتا يحدث كل مرة تقريباً ، وحاول أن يقيمها بأنهما

سيجدا النعة معها في مكان آخر - في فندق أكثر نراضاً - ولكنه كان يلقي اعتراضات . وفي أحد الأيام أخرجت من حبيبته ست ملاعق من العقيق كانت هدية الرواج التي قدمها لها الأب «روو» ، ووجته «ليون» أن يذهب بها هوأ - من أجلها - إلى بنك الزهورات ، فأطاع ، بالرغم من أن هذا الإجراء لم يرقه ، وكان يخشى أن يتورط !

ثم هداه التفكير إلى أن يلاحظ أن عشيقته تصروف تصرفات غريبة ، وأنهم ليسوا مخطئين عندما يحاولون فصله عنها .

والواقع أنه مجهولاً كان قد أرسل إلى أمه خطاً طويلاً غملاً من الوقيع يعبرها فيه بأنه قد صاع مع امرأة متزوجة . فكتبت إلى الأستاذ «ديمو كاج» الذي يعمل عنده إسها . وكان هذا الأستاذ أميناً في هذا الموضوع ، إذ إنه أوصه «ليون» أمامه ثلاثة أرباع الساعة ، محاولاً أن يقبح عيبه وأن يحذره من الهاديه وأن مثل هذه المعامرة لا بد أن تضر فيما بعد بكل محاولة يقوم بها بلزواج والاستقرار ، ورحله أن يقطع العلاقة ، وإذا لم يكن يريد أن يقوم بهذه النصيحة في سبيل مصيحتة الخاصة ، فلا أقل من أن يقوم به من أجله هو ، أي من أجل الأستاذ «ديمو كاج» .

وأخيراً أقسم «ليون» ألا يعود إلى رؤية «إيما» . ولأم معه بأنه لم يحترم هذا القسم ، مفدراً كل ما يمكن أن تسبه له هذه المرأة من ارتباك وأقويل ، فضلاً عن نكاح زملائه التي كانوا يرسلون في الصباح حول المدعاة - وفصلاً عن ذلك فإنه كان على وشك أن يصبح كاتباً أول ، وهذه هي الملاحظة التي يجب أن يكون فيها عسيفاً

لقد أصبح الآن يشعر بالفسجر كلما انتهت «إيما» فجأة فوق صفره ، وأصبح فيه - كأولئك الأس الدين لا يستطيعون أن يحتملوا غير قدر محدود من الوسفى - أصبح يعقر من عدم المبالاة ، بضجة حد لم يعد يميز لطائفه . لقد طالت معرفة أحدهم بالأحر حتى أصبح لا يحس بشوة التملك التي كانت تصاعب من الدمة ، وأصبحت تضمثر منه بقدر ما أصبح متعباً منها

وقد أخذت «إيما» تجد في الرمي كل ما في الحياة الزوجية من رقابة عملة

وبكن كيف الخلاص؟ ثم إنها بالرغم من إحساسها بوحشة مثل هذه السعادة، فإنها كانت متعقبة به بحكم العادة، أو بحكم الانحلال وهي كل يوم كانت ترداد مكالياً، وصلة كل سعادة برغبتها في أن تكون سعادة أكبر، وكانت تنهم «ليون» بحية آمالها وكأنه قد حانها، بل وتمت أن لو وقعت كارثة يؤدي إلى افتراقهما ما دامت لا تجد الشجاعة بتقرير ذلك

ومع ذلك استمرت تثكب له الخطبات القرامية، نرولاً على تلك الفكرة التي تقول بأن على المرأة أن تكتب دائماً إلى عشيقها

لقد أصبحت الآن تشعر بتكسر دائم في جسمها كله، بل وكثيراً ما كانت تسلّم إنذارات وأورفاً مدموعة لا تكاد تنظر فيها وكانت تود ألا تطل حبه، أو أن تنام على الدوام!

وفي أحد أيام الأعياد لم تعد إلى «ليونيل»، وذهبت في المساء إلى حفلة رقص تكريه، وارتدت بنظراً من القطيعة وجوارب حمراء، وشعراً مستعاراً مربوطاً بشريط، ومصباحاً صغيراً فوق الأذن، وأخذت تقعر طوال الليل على صوت النسيم المهنج، فالتفت حولها الناس في حلقة وفي الصباح وجدت نفسها في شرفة المسرح بين عمه أو ستة أعمه لعملات وبشارة من رفاق «ليون».

وانسحبت ساعاً وتحلّيت من ملابس التكريه، وقالت لـ «ليون» إنه لا بد لها من العودة وأخيراً بقيت وحدها في صدق «بولون» وكان كل شيء مألوساً إليها غير محتمس حتى شخصها وودت أن لو هربت كعصمور إلى حث تترد شباه في جهة ما، في الغشاء الصالح غير الملوّث!

وخرجت وعبرت البوادر وصاحبة المدينة حتى وصلت إلى شارع مكتشوف يطل على الحدائق، وأحذت تسير بسرعة فهدأها الهواء الطلق وشئنا شيئاً أحذت أوجه الجمهور والأقنعة وزياصات الرقص والشرقيات، أحذ كل هذا يصحى كضباب تهدد.

ثم عادت إلى صدق «العصبة الأحمر» وألقت بعصها فوق السريير في العربة الصغيرة بالطابق الثاني، حيث كانت توجد صورة من برج «بيل» وهي لساعة الزامه ماء أيقظها «ميسير»

وعند عودتها إلى منزلها أطلعت «فيليسيه» حلف الساعة المتقاة على ورقة رمادية قرأت فيها «بيل» عن الصيغة التعبدية حكم

أي حكم؟... وإذ وقع لهم كانوا قد حمسوا إلى منزلها في اليوم السابق ورقة أخرى لم تقر بها، ولذلك أحدها الدهول من هذه الكلمات «أمر باسم الملك والقانون والقضاء إلى مدام بولفاري...» ثم فعمرت عدة أسطر لكي تقرأ، «في طرف أربع وعشرين ساعة وهو آخر مهلة» ما هذا؟

«يدفع مبلغ ثمانية آلاف فرنك» بل وقرأت بعد ذلك بقليل «وسوف ترغم بجميع الطرق القانونية، وخصوصاً بالعجز التعبدية على أثنائها وممتلكاتها»

ما العمل؟ في طرف أربع وعشرين ساعة، أي عدداً! وصلت أن «ليبريه» قد أراد ملا ريب أن يجيئها مرة أخرى، فقد حدثت لساعاتها جميع مآوراتها والهدف من مجاملاته وكانت المبالغة نفسها في ليبلغ هي التي طمأنتها

ومع ذلك فإنها للكثرة ما اشتريت دون أن تدفع، وللكثرة ما افترضت وقيدت الكمالات وجددتها متضخمت عند كل تجديد، كانت قد انتهت بأن أعدت للسيد «ليبريه» رأس مال كان ينتظره يصير نافع من أهل مضارباته!

ودخلت عمده في هيئة مطلعة وقالت «هل تعلم ما حدث لي؟ إنه مزاج دول شك!»

- لا!

- كيف ذلك؟

فالتفتت نحوها بلا اكتراث وقال «هل تعلم يا سيدتي الصغيرة أنني سأستمر حتى عام الرمس في أن أكون متعبدك، ومصروفك، حياً في الله»! يجب أن أسرد أموالتي كومي عدلة! وودعته في مبلغ الدين فقال آه!

فليكن! لقد اهتمت به المحكمة! هناك حكم! لقد أعلماك به! وفصلاً عن ذلك فهو ليس لي. إنه له فانسار!

- ألا تستطيع ؟

- آه... لا أستطيع شيئاً على الإطلاق!

- ولكني... مع ذلك... فنعكر

وأخذت تبحث عن مخرج فائتة إنها لم تكن قد قدمت شيئاً! لقد كانت مدججاً!

وقال «ليري» محباً في نهكم «ومن الخطي؟» بينما أنا أكدح كالعبد إذا بك تقصير أوقاتاً طيبة!

- آه! لا أريد وعظاً!

فاجاب «إنه لا يضرك مطلقاً!

وكانت جبهة... فتضرعت إليه... بل وأسدت يدها الجميلة الطويلة البيضاء فوق ركبتي الناجور

فقال «اتركيني إذا! لكأنك تريدان أن نعري!»

فصاحت «إنك رجلى تعسى!»

فصاح صاحكاً «آه! آه! آه! ما هذه!»

- سأفصح أمرك! سأقول لزوجي!

- وأنا سأطلع زوجته عني شيء ما!

وأخرج «ليري» من خرائته اتصالاً بالف وثم فائتة فزنك كانت قد أعطته أيضاً عدد الخصم الخدم من يلفانسار!

وأضاف «هم نعتقدين أنه لا يعهم سركك الصغيرة... هذا الرجل المسكين!»

فانتهارت... وقد انصدعت أكثر مما لو كانت قد تلقت صدمة مطرقة... وأبعد ينمشي من اللقطة إلى الكتب وهو يردد «آه! سأظهر له جيداً... سأظهر له جيداً...»

ثم اقتربت منها... وبصوت عذب قال «إنه أمر لا يسر... أنا أعلم هذا! ومع ذلك فإنه لم يسبب الموت لأحد... وما دامت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تقف لك لكي تردني إلى موودي وماني»

وقالت «إنما» وهي تموي ذراعها «ولكن أين أجد المال؟»

- آه...! عندما يكون فلانسان أصدقائه مثلك...

ونظر إليها نظرة مائدة محببة لوتعلت عنها حتى الأحشاء... وقالت: «إنني أهدك... سأوقع!»

- لقد شجعت من توقعاتك!

- سأبيع أيضاً

فقال وهو بهر كتفه

- تيمم... لم يعد لديك شيء!

وصاح من الكوة التي تطل من الحانوت «آيب! لا تنسي العصا صحت الثلاث رقم ١٤!»

وظهرت الخادمة... وفهمت «آي»، وصالت عم يزم من مال لإيقاف جميع الإجراءات

- لقد فاتت الأول!

- ولكن إذا حصلت إليك هذه آلاف من العريكت... ربع المبلغ

الثبت... كله تقريباً!

- إيه! لا... لا فائدة!

ودفعها في وفق نحو السم!

- إنني أصرخ إليك يا سيد «ليري» بضعة أيام أخرى...

وأخذت تتحب

- هيا! ماذا! دعوى!

- إنك تدفع بي إلى اليأس!

وقال وهو يعلق الباب «هذا لا يهمي في شيء!»

في اليوم التالي كانت «ديانا» هادئة متجلدة عندما تقدم منها المحضر الأستاذ «هاران» وأخبره لكي يحرروا محضراً بالحجر

بعد ابتداءه يكتب بوفاري ، ولم يقبّدوا الرأس التشريحية التي ضيرت من أدوات المهمة ، ولكنهم هيموا في المطبخ ، الأطباء والمدور والكرومي ، وفي غرفة نومها كل الأشياء الملوحة على الرف ، وفحصوا أثوابها وملابسها الداخلية ، وعرفوا الرينة ، وكل متاع حياتها ، حتى الأركان الخاصة بأشياء الأشياء تعالاً بدانتها ، وكأنهم يقومون بعملية مساحة لأرض زواجية ا فانتشرت حداثها انتشاراً كاملاً أمام أنظار هؤلاء الرجال الثلاثة .

كان الأستاذ «هاران» في حلة سوداء ضيقة مشمودة الأزرار ورباط رقة بيضاء ، وفي يديه حقان تحت حذائه مشمودة في عنق ، وقد أحل يردد من وقت إلى آخر : «هل تسمعين يا سيدتي؟ ... هل تسمعين؟» . وكثيراً ما كان ينفق صيحات إعجاب : «ساحراً ! جميل جداً ؟» .

ثم يعود إلى الكتابة ويغمس سبلك القلم في الحبر الذي يحملها بيده اليسرى !

ويعد أن انتهوا من السكن صعدوا إلى معزّن الجيوب .

وهناك كانت تحفظ بخصومات «روفولف» في درج خاص وكان لابد من فتحه

وقال الأستاذ «هاران» في اتصاله حيث انه مراسلات ولكن .

اسمعي لي ! لأنه من الواجب أن أعفّق من أن القصدي لا يحتوي شيئاً آخرأ وحرك لأوراق قليلأ ، وكان يتوقع أن تسقط اجنبيات المدعية ! وعندئذ أخبره الاستمئزار من أن ترى هذه اليد العظيمة ، تلك الأصابع الحمررة الرحوه كالمحالي ، تمس هذه الصفحات التي حقق بها فيها !

ولاح بها «شارل» في البهشية مهجوماً ، وأخذت ترفه بعين ملينة بالفلق ، معتقدة أنها ترى اهتمامات في تجاهل وجهه .

وعندما كانت عيناها تنحرف إلى المدعاة انعطاة بالحرف ، وإلى السناثر

العريضة والمقاعد ، وبالجملة كل تلك الأشياء التي كانت قد حفتت من مراة حياتها ، كانت تحس بالندم ، أو عسى لأصح بالأسف الشديد الذي يشير العاطفة ، بدلاً من أن يقتنها . وكان «شارل» يغلب الحمرات في هبوه وقدمه فوق المجرة

وحيث وقت لئمل فيه الحارس بلاويب في مخبئه ، فأحدث ضوضاء خفياً

وعندئذ قال «شارل» : «اسمع وقع أقدام في الأسفل» .

فقال : «لا إنها كوة تركت مفتوحة فبرتها الريح» .

■

وفي اليوم التالي - وكان يوم أحد - سمرت إلى «روبه» ، لكي تلغي جميع أصحاب البنوك الديني كانت تعرف أسمائهم وكانوا في رحله بالريف ، ولكنها لم تتراجع ، وطبت مقدراً من الثقب بهم ، مذعية أنها هي حاجه إليها ، وأنها ستردها ، فصاحت بعضهم في وجهها . ورفض الجميع !

وفي الساعة الثانية أسرع إلى «ايون» ، ودقت بابه فلم يفتح ، وأحيراً ظهر !

«ما لذي أتى بك؟»

«هل هذا يزعجك؟»

«لا ولكن»

وصارحها بأن صاحب منزل لا يحب أن يستقل النساء في داره

فقلت : «إن لدي شيئاً أريد أن أقوله لك»

وعندئذ أمسك للفتاح ففتحت فأنقذته «أوه لا هات هات»

ودعها إلى غرفتهما في فندق «بولون» ، وشربت عند وصولها كوماً كبيراً من الماء ، وكانت شبيهة المشحوب وقالت له : «ايون» يجب أن تزدي لي خدمة !

وأضاعت وهي تهزه يديها اللتين شدت قبضتهما «اسمع !» . إني في

حاجة إلى ثمانية آلاف فرنك !» .

- أمجنوتة ألت ؟

- لا . لم أكن بعد !

ولم تلبث أن مضت عليه حكاية الحاجر ، وعرضت عليه مآرقها ، وذلك لأن «شارل» كان يجهن كل شيء ، وحمايتها تبعها ، والآن «وروا» لا يستطيع شيئاً ، ولكنه هو ، «بيرون» سيحسب الاتفاق لكي يعثر على هذا المبلغ الضروري !

- كيف تريد أن . . . ؟

فصاحت . «يا لث من جبان !»

وعند ذلك قال مبهوياً عنها : «إنك ببالعين في الأساس ، فربما هذا هذا الرجل بالغ فرنك !»

وكان هناك سبب آخر لمحاولة حمل شيء ما ، فلم يكن من الممكن ألا يعثر الإنسان على ثلاثة آلاف فرنك ، وقصداً من ذلك فإن «بيرون» يستطيع أن يضمن القرض بدلاً منها !

فصالت : «ها ! حاول ! هذا واجب ! اجر ! أوه ! حاول ! حاول ! سأحلك جناً !»

وخرج وعاد بعد ساعة ، وقال بوجه جاد : «لقد ذهبت إلى ثلاثة أشخاص . . . ولكن شيئاً !» .

ثم قبعاً جالساً أحدهما في وجه الآخر عند زكي المدفأة جامدين لا يتحدثان ، وإيماناً ترفع كتبها وهي ترمجر ، وسممها تنعم قائلة : «لو أنني كنت في مكان . . . آنا ، لو وجدت القود !» .

- أين ؟

- في مكتب !

وبظرت إليه !

وكانت جراءة جهنمية تبحث من حديقها للتهنيس . وتدفقت أجمعاتها على

محمو شهراني مشجع ، حتى إن الشاب أحسن بالضعف تحت تأثير الإزاحة المصاحبة لهذه المرأة التي تطلب إليه اقتراض جريمة ! وعندها تملكه الخوف ، ولكي يتجنب كل إفصاح صررت جبهته وهو يصبح قنطلاً «إن «موريل» سيعد هذه الليلة ! وسوق لا يردني حالي ، قيب أمل ! وكان هذا صديقاً له ، وبناً لتاجر والفر الثراء ! وسأحمل إليك هذا خذ !»

ولم يظهر على إيمان أنه قد تلقت هذا الأمل بمثل ما تصور من فرح ، فقول كانت تشك في كلامه ؟

واستأنف وهو محمراً الوجه : «ومع ذلك ، فإذ لم تربي في الساعة الثالثة فلا تنظري أكثر من ذلك في عزيرتي ! لا يبد لي من الذهب ! معلقة . . . الوفاة !» .

وشد على يدها ، ولكنه وجدها مترجبة ، فهي لم تعد قادرة على أي إحساس

وفلت الساعة الرابعة ، وبهضت لكي تعود إلى «أبرنيل» .

استمرت في السير وهي تكفي تحت وشاحها ، داهية مترجبة على وشك الإغماء .

وسمع صوت محاورج من بوابة تفتح : «الخلع !»

ووقفت لكي تفسح في الطريق حصان أسود يضرب الأرض بحوافره وهو مشدود إلى عربة فحمة يقودها أحد البلاء موندياً فراء سمور ! فمن يكون هذا الرجل ؟ إنها تعرفه . . . وانطلقت العربة واحتلت !

لقد كان هو الميكوكوت ! والتفتت إلى الخلف ، فكاف الشارع خالياً ، وقد أحسنت نفسها مثقلة حورية ، إلى حد أنها امتدت إلى جدار لكي لا تقط

ثم هبت أنها قد أخطأت ، وعلى أي حال فإنها لم تكن تعلم عنه شيئاً وقد أخذ كل شيء في داخلها وخارجها يتحلى عنها . وأخذت تحس أنها غائبة تنسكب على حير هدي في مهاوي لا حد لها ، وقد كادت تنمر بالمرح عندما لعبت - عند وصولها إلى فندق الصليب الأحمر - السيد «هوسيد» ، الذي

كان يشرف على شحن صندوق كبير من سلح الصيدية فوق «المصورة» ، وكان يسكن في يده - داخل صرّة - ستة أرغفة من سوج خاص من الخبز لزوجته

قال وهو يقدم يده إلى الأمام لكي يعينها على الصعود إلى «المصورة»  
«إني سعيد بزيارتك»

وأخذ سطر «الأسبب» المعروفة التي تتابع أمام عيبيه يصرفها شيئاً فشيئاً عن ألفتها الحاضرة ، وأثقلها نعب لا يحتمل ، حتى وصلت إلى بيتها داخلة محطمة الروح ، ثم مائتة تقريباً .

وقالت لنفسها : «يمكن ما يكون»

«ثم من يسري ؟ لماذا لا يظهر من وقت إلى آخر حدث حارق ؟ أهله ليريه»  
بصيه يمكن أن يموت !»

واستيقظت في الساعة التاسعة صباحاً على رنين صوت في المبدآن حيث كان الناس متجمعين حول السوق لكي يقرأوا إعلاناً كبيراً ملصوقاً على أحد الأعمدة ، وراة «جوست» وهو يصعد فوق حمار ويمرّق الإعلان ، ولكن الخفير أمك تتلاسه في تلك اللحظة ، وخرج السيد «هومي» وكان يلوح على الأم «لو قرأنا» أنها تعظ وسط الجمهور .

وصاحت «بليتيه» وهي داخلة : «يا سيدتي ! إنها الكلوثة !»

ومدت الفتاة المسكينة إليها ، بانفعال ، ورده صغره . كانت قد اترعتت من فرق الباب . وقرأت «إني» في لمة ابصر أن أثنائها كلفه معروض لسبع أو صندت أحدثت تنظران إحداهما إلى الأخرى في صمت ، وذلك لأنهما - الخادمة وابنة - لم يكن لأحدهما صر بالنسبة إلى الأخرى وأخيراً تهذت «بليتيه» قائلة : «لو أنني كنت مكاثت يا سيدتي لذهبت إلى السيد جيو مان»

- هل تطعن ذلك؟

وكان هذا السؤال يعني : «أنت التي تعرفين الدل من طريق الخادم» هل

يمكن أن يكون السيد «جيو مان» قد تحدثت حتى أحياناً ؟

- نعم ! أذهبني إلى هناك ، فأنت تحبين صمًا

وارتدت ثيابها ، فلبست ثوباً أسود ، قد طرطور محلي بيعت من الكهريمان الأسود ولكني لا يريها أحد ، إذ كان لميدان لا يزال حلياً بالناس ، سارت خارج القرية في الطريق المار على حافة الماء .  
ووصفت لأهله أمام صر مولى العقود ، وكانت السماء دكنة ، وقيل من الخليل يتساقط

عند سماع الجرس ظهر «ثيودور» عند الشرفة في صدر أحمر ، وقد أتى لكي يمنح في غير كنفه ، وكأنه يتبع لأحد «عارف» ، وأدخلها غرفة الطعام وفكرت «إني» قائلة : «هذه غرفة طعام ؟ كم أن هي حاجة إلى واحدة بشها»

ودخل مؤن العقود وهو يضم إلى جسمه - بذراعه اليسرى - معطفه الثري دي الأونحة ، يمس يمنح وليس في سرعة باليد الأخرى طاقبيه المصنوعة من القطعة الية ، وقد وضعها في رهو فوق الحية اليمس ، حيث كانت تسدل أطراف ثلاثة حصن شقوة ، أخذت من مؤخر رأسه ثم دارت حول جمعته الصلابة !

وبعد أن قدم لها مقعداً ، جلس ليشاول العشاء ، وهو يعتذر كثيراً عن سوء أدبه .

قالت «يا سيدي ! إنني أرد أن أرجوك»

- ماذا ؟ هناك أنصت إليك ؟

وأخذت تعرض عليه حالتها

كان الأستاذ «جيو مان» يعرفها ، بحكم الاتصال سراً باجر القماش الذي كان يجد لديه دائماً أم لا لدهومات التي كان يطلب إليه أن يعدها ، وندلت بأن يعرف أكثر منها القصة العذبة الخاصة بهذه الكمبيالات ، التي كانت صعبة في أول الأمر ، ثم ظهرها أسمة معتنفة ، وامتدت مواعيد استحقاقها



إلى ممرات طويلة ، وحُذِّتْ باستمرار ، حتى كان يومَ جمع فيه التاجر جميع إنشائاته المدع ، وكلف صديقه «سانار» بأن يتخذ باسمه الخاص الإجراء اللامعة ، وذلك لأنه لم يرد أنه يظهر بمظهر مُتَمَرِّين أهل بلدته ؟

وكانت تخرج بقصتها ما تأخذه على «ليريه» من عاقد ، وكان موثق العقود يرد عليها من وقت إلى آخر بعبارة تالفة ، وببعض كان يأكل ويشرب البيذ ، كان يحثي ذقنه فوق رباط رقبته الأزرق زُرقة السماء ، وكان يتشم ابتسامة حميدة قريفة على نحو ما هم عاضف ولكن عصب لاحظ أن قدسها مملكتان قال «أقربني من المذابة» - إلى أعلى - في مواجهة الخرب ؟

وكانت تحشى أن تصيب هذا الخرب بالفقارة ، فاستأبب موثق العقود في شهامة قائلاً : «إني الأشياء الجميلة لا تتلف شيئاً» .

وعنده حاولت أن تحرك به ، وقد جاشت أشجابه ، وقصت عليه ضيق عيشها ، ومصاعبها وحاجتها ، وكان يفهم هذا ، المرأة الرشيدة ! ودون أن يتوقف عن الأكل ، التفت نحوها بكينته حتى من جداءها تركته ، وكان يعمل جداء مثل قد أخذ يصحى ، والبحار يتصاعد منه وهو في مواجهة المذابة

وبكها صدم طلعت منه ألف فرنت ، صمختم شعنتيه ، ثم أعلن أنه شديد الألم ، لأنه لم يتنوع مما مضى إدارة ثورته عندما كانت هناك عدة وسائل مريحة للاستثمار حتى بالنسبة إلى السيدات ، إما في المداجم في «حرومستيل» ، أو في أرض «الهار» حيث تنكس المظفرة ، المأمونة في مضاربات شجرة ، وتركها تميز من العيف لفكرة لأموال النصيحة التي كان من الممكن أن تكسبها على نحو مضمون !

واستأبب يقول : «كيف لم تأتي إلي؟» .

فألت : «لست أقدر» .

- ماذا؟ هل كنت أحييت؟ إنني أنا الذي بجزوري لي على العكس أن أشكو ! فإنت لا يكاد أحدا يعرف الأعر ، ومع ذلك فإنني محطص لك كل الإخلاص ، وأرجو أن لا يكون كذبك شك في ذلك .

ومد يده وأخذ يدها ، وخطها بقبلة مهمة ، ثم احتفظ بها فوق ركبته وأخذ يلعب في رفق بأصابعها ، وهو يسرد عليها قبضاً من المداعبات الداعمة .

كان صوته القافر يثرثر كالنهر الذي يساب ، واستغقت شرارة من حدفتيه من حلال رجاء نظارته . واستندت يدها في كم «إعاء» لكي يجس ذراعها ، وأحست عند عدها هبة أنفاس لاهنة ، وكان هذا الرجل يهابتها مضايقة شديدة !

فتنهضت في وثبة وقالت له : «يا سيدي إنني أنتظر» .

وقال موثق العقود الذي علاه الشحوب الشديد فجأة «ماذا تنتظرين؟» .

- الفقد .

- ولكن ،

ثم استسلم لانفجار رعة شديدة العنف وقال «هذا حق نعم» .

وأخذ يجر معه على ركبته تحوها دون مراعاة منطعة الشرطي

- من فضلك إني في مكانك !

- إنني أحيث !

وأمسكها من خصرها

وصعد فيض من الخمرة سريعاً إلى وجهه مدام بولغري ، وارتدت إلى الخلف وهي تصرخ «إنيك نستعمل يا سيدي حالة ضبقي في غير حيلة ! إنني أستحق الثراء ولكنني لست للبيع» .

وشرحت !

وأحدثت تقول نفسها وهي هاربة يحطى عصية تحت أشجار الحور القائمة في الطريق ، أي له من فقير أي له من وعداء . وقد قدعت مضاضة العسل من ثورتها لعنتها اللهانة ، وخيل إليها أن القضاء يصير على ملاحقتها ، وانتمعت كبرياء ، حتى خيل إليها أنها لم تشعر قد مثل هذا الاحترام لنفسها والاحترام للأحوي . واحتدمت بها مرة إلى القتال ، فردت أن لو ضربت الرجال ويصقت في وجوههم ، وسحقهم جميعاً واستمرت تسير بسرعة ،

شاحبه ، متمهضة ، هانجة ، ترمق بعين دامعة الأفق الخاوي وكأنها تنلده  
بالضئيلة التي تحنقها

وعطمت في طريقها بنة كأنما تريد أن تولي وجهها شطر المقبرة  
ولكنها ما لبثت أن عرجت على دار الموضع التي أُرصمت طمعتها ، ولم  
تكد تبصرها حتى صاحبت بها

« يا أم روليه ، إني أحتقن ، خلعي إليّ ، فكلي أرزارياني  
وراحت تنهالك على الفراش باكية ناشجة ، دجابت المرأة يغمص فلعصها  
به ووقعت بجانها .

ولمّا وجدته قد سكبت وم تعد تنكلم أو تتحرك هادرتهما وتلوت  
معزلها فراححت تمرل

وسمعت صوت «إيماء» وهي تقول لها .

« أواه . . أرجوك أن تكلمي من غرتك . اادهمي هني قليلاً .

فجملت الموضع تسائل نفسها

« ثري ماذا حدث لها . . ولماذا جاءت إلى هنا؟

وقامت من الحجرة منصرفة يدهمها خوف وهيب إلى مفادرة البيت

وكذلك ظلت «إيماء» مستنفية شاردة العيوس لا تبصر شيئاً ، وإن حاولت  
تحديقاً ، أن تنظر ميباً إلى الطلاء الزائل من الجدران ، وإلى جفوتين من النار  
متأججتين في الموقد ، وعكسوت كبير فوق رأسها

وما لبثت أن أخذت تستجمع شورد فكرها وشتات خواطرها ، فتدكرت  
«ليون»

أوه . . ما أبعد العهد الذي انقضى . .

وكانت الشمس تسطع على صفحة النهر ، وكان الهواء هليلاً ، والجو راتعاً  
صحواً ، ثم حملتها الذكريات كما تعمل العاصفة الجاثمة كل شيء في  
طريقها على استعادة ذكرى ما وقع لها في اليوم السابق .

والنحت إلى رية البيت فقالت : « كم الساعة الآن؟

فخرجت الأم «روليه» إلى المضاء فضلت عينيها يمينها وراحت تطمع إلى  
الشمس ثم رجعت فقالت لها إنها توشك أن تؤذن بالثالثة

فأجابتها «إيماء» قائلة :

« شكراً لك . شكراً

وإنه لا ريب سيجيء بعد قليل ، هذا شيء مؤكد ، ولعله قد وجد المبلغ  
وبكنه لن يحرر لين هي . ولن يحطو بباله أنه لأن في دار الموضع ، ولدت  
حديث إليها أن تذهب في الحال إلى بيتها فتحرره بأنها صدها ونجى به على  
عجل .

وعصت لنفسها كيف لم تذكره إلا اللحظة ولم تفكر فيه من قبل ، فقد  
وعدها أمي بشيء ، ولن يحطه مثله وعده

ومضت في إثر هذا الخاطر تتحتمل معها وهي ملقية يائلاً على منضدة  
«البيره» هادئة مطمئنة . ولكنها ستكون مضطرة إلى إحلاق قصة محبوبة  
الأطراف لنشرح بها كل شيء بروحها . ما نراه إذاً قائلة له؟

وملت انتظار الموضع . . ما لها قد خابت طويلاً هكذا؟

ولم يكن في البيت ساعة جدر ولا ساعة جب ، فعدت «إيماء» تتخيل أنها  
قد ماتت في ظلها ، وأن الموضع لم تعب كب توهمت ، وأن مسافة الطريق  
تقتضي أكثر من ذلك وقتاً .

فانتظرت ولكن الانتظار أمصتها وأدنق بالها . بدأت تساورها شكوك  
أخرى وربت متواخمة فلم بعد بشعر هل مفس عليها في مكانها ذاك قرن  
من الزمان . أم لحظة بيده مد؟

وسمعت صرير المناع في معن الباب فأجعلت ، ولكنها قبل أن تستطيع  
الكلام ابتدرتها الأم روليه قائلة :

« لا أحد في البيت .

فالت خائفة مروعة

« ماذا تقولين؟

فأجابته الموضع بقولها :

- لم أجد في البيت أحداً ، وإني رأيت روجك الطيب يركي لعاصف حراً ، وهو يناديك بداء طويلاً . والفقوم يبحثون عنك في كل مكان .

قلم نحر «إيما» جوداً ، وأحدثت أنفسها تصاعداً سريعاً وعينها تختنجان ، حتى لقد انصرفت الموضع المسكنة من مشهدها فتراجعت بدافع العريضة سجله خائفة ، وكأنها قد حسنتها حُت أو فقدت شعورها .

ولكن «إيما» لم تلت أن صرحت صرخة مدوية وصوتت جيبها يكتمها متدكرة ، لأنها في مثل وميض البرق الخاطف تذكرت رودولف فقد كان كريماً حانياً .

وانطلقت تريد صرخة «لا هانشيت» وهي لا تفكر ولا تدري بأنها في دمايتها إليه إذا تريد أن تعرض نفسها عرضاً على ذلك الرجل الذي تنكر لها وعدم بها من قبل ، وأن مضيقها عن تلك الصورة لم يكن في الحسب سوى البقاء المتبدل ، والعرضي المتهن .



وفي الطريق جمعت تفكر فيما ينبغي أن تقوله له ، وكيف تدخل بالموضع عليه ، وجعلت كلما سارت وهدت المسير تذكر الأشجار التي طاف مرّت بها ، وأشاهد التي هذا شهدتها في زورته له ، ولم تلبث أن شعرت بعاطفتها القديمة بحوه تعاودها .

وتجاذبت إلى الفصر طريقها التي اعتادت الذهاب بها إليه ، وهي طريق البراية الخلفية للحديقة

ثم مشت إلى الساحة ، وكان سماعان من الأشجار يحمان بها ، والأصصان الفارعة ترتفع وترفر فرير العاشق الولهان ، وتتهاد تهذ المعرم الصب

وأخذت الكلاب المربوطة بسلاسلها ، المتعينة في مراجعها تسج لمراها ، ولكنها لم تشهد أحداً تقدم على الباب ليرى من القادم ، فتقدمت تصعد السلم وكانت حجرة «رودولف» في أقصى السهو ، فلم تكذ تبليغ الباب وتضع

يدعا على مقصده حتى خانتها قواها ، ونحادلت ، إذ خشيت ألا يكون هناك . بل لقد نمت على ألا يكون في حجرته على حين أنه كان أملاها الأوحده ورجاءها الباقي .

ورغمت لحظة لتجميع قواها الثهارة ، محاولة تشجيع نفسها لتفكر في مأساتها ، وتذكر ضاقتها ودخلت الحجرة .

وإذا هو جالس مبداه المرمود يستدفي وعليه في قمه برس من دواب الدخان الذائبة .

فلم يكذبها داخلته عليه حتى قام مسرعاً وهو يقول :

- يا الله .. أهذه أنت ؟ أهذه أنت ؟

قالت : نعم . أنا . . . وقد جئت يا «رودولف» أطلب نعيمك قال :

- أراك لم تتغيري مطلقاً وأحذك حساء فانة كأحر عهدي بك قلت بصرن ومراة .

- أواه يا عزيزي ، إنها والله لبشت الفتة وقد سحرت منها وسم نزع حرمتها ، ولم تعمل على الاحتفاظ بحقيها

فحاول أن يشرح لها سبب ملكه محتدراً اعتدراً مضطرباً ، متشعباً بدافع غامضة مبهمة سحرية ، لأنه لم يجد ما يقوله ، وسم يسمعه خياله في هذه المباحة على اختلاق أصغر مقبولة .

ولكنه تركت نفسها تتأثر وتسلم لكلماته وأعداده على صلاتها وقد استكانت بصوته ، وتأثرت بمشهد ، وتظاهرت بأنها اعتقدت صحة عذره . وأخذت تنظر إليه نظرات متكررة حريية وهي تقول :

- لقد نعدت من صديقك كثيراً . وصرت على دعاء طويلاً . لقد كان هذلي أليماً حقاً .

ثم قالت : «على كل حال أرجو أن يكون حظك أنت من بعد مراقاة السعد وأهأ» .

قال لم يكن في الواقع كذلك .

عالت : لقد كان خيراً لنا لو لم نعرف . . من يدري ؟

قال : نعم

قالت وهي تئن منه وتنهض من الأضيق :

- أنظري ذلك . آواه يا رودولف ، لو كنت تدري لقد كنت أحبك

الحبيب الكبير

وناولت يده ، وجلسا لحظات كمنجلهف يوم للعرض الرواعي ، وزانه صامتاً يجاهد نفسه ليستعيد حبه القديم .

فتهاكت عليه . - وارتقت على صدره قائلة .

- كيف سولت لك الهمس أيها القاضي أن نظري أنني استعيت حدث ، إن

المرء لا يستطيع أن يسي رغداً ولئى لقد كنت في ياسي محض يسعد دعيت أنت هي وسلوتي .

وكان ذلك حقاً . - فقد فعل ذلك ثلاث سنين طويلة

وهزت «إي» الساحرة رأسها هزتها عجيبة وعالت

- أنت معرمة بساء أخريات . نعم ، قل الحق ولا تصف شيئاً أنا أمرك

وأفهمت ولا تخفي عني حافتك . وأنا أعذرهن في حبك . - لأنك أصلكهن

وأهويتن كثيراً ولكننا سنعود إلى ما كان فيه وسداً أحب من جديد

انظر هنا صالحة راغبة وفرحة . - ألا حلفتي بعدد أحاديثك

وكانت تبدو فائقة فأحد باللب ، والدموع تترقق وتضطرب في عينيها أنهى

بمطرات اليدى الحيرى على صدر رهرة روف . - ما دناها إلى ركعتيه وراح

يلاعب شعرها بكفه ، وكانت أشعة الشمس في المعيب تتساقط على جدانها في تلك اللحظة .

وتكست رأسها وأحيراً أخذ يقبلها في عيبها بطرف شعته

قل . ولنكتك تيكين . . فليم بكلوك ؟

فأخذت تمجش وتحنن مثلياً فظن «رودولف» أن دموعها تلك رمز

حبها . ولكنه لما رآها مطيبة السكون علق ذلك بأنه مجاهدة منها لمحباء

فانطلق يقول

- آواه . سامحي يا «إي» وأخبري ما فرط من ذنبي . - أنت المرأة الوحيدة

التي أحبها . لقد كنت قاسياً لست أنكر . يسي أحبك . وسأظل الدهر

على حبك . أخبرني ما القصة . - تبئني ماذا هناك ؟

وجاء يجثو بجانبها .

قالت الحق أقول يا «رودولف» . لقد أوشكت أن أقتضح . فهل لك أن

تقرضي ثلاثة آلاف فرنك ؟

قال مرتبكاً وهو يهض شيئاً غريباً من جشوته

- ولكن في الحقيقة إني

ولم يسم عبارته

فاسترسلت هي في عجلة واضطربت تقول .

- إن روجي قد أودع ماله كله في يد أحد المحامين . وقد فر ذلك المصمى

هازماً ، واضطرب إلى الاستدانة ، وأضحى بريئاً ولمرضى لا يدمعون

وكسدت الصاعقة

ولم تنته بعد من تصفية بركة أبيه ، وبك قريباً ستعيب ماله كثيراً منها ،

ولما نحن مطالبان في هذه اللحظة بثلاثة آلاف من الفرنكات ، فإذا لم ندفعها

حالاً أمددوا في هذا الحجر على أنات بيتنا وعرضوه لبيع

وأصغر «رودولف» واضطرب وجعل يقول لنفسه -

- آواه . ألهذا السبب إذا جاءت ؟ ؟

ولما أتمت كلمتها أنشأ يقول بكل هدوء :

- ولكني لا أملك هذا أبلغ يا عزيزي .

وكان بلا شك يقول حقاً . وكان ذلك الواقع تماماً .

هذا هو ما أعسر به . بل لقد أنشأ يحسرها بأنه لو كان معه ما تأخر عن دفعه إليها . -

ونظرت «إيما» إليه لحظة طويلة وهي صامتة .

وانطلقت أخيراً تقول له متى وثلاث :

- أقول إنك لا تملك هذا المبلغ ! لقد كان أجدر بي أن أتألى بعسمي عن هذا الموقف المحجل . أنت لم تحبسي يوماً في حياتك . ولنت وغد شائن ككل من حملت الأرض من الرجال .

ولكن «رودولف» قاطعها قائلاً إنه هو أيضاً مستدين غارق في الدين

فامتصحت وابتثت تقول متهمكة ساخرة

- ما أشد أسفي لك . . مسكين . . أمدني أنت؟

وحجرت من عبء ذاعله بحيل إليها أن الأرض تليد بها وكان الظلام يوشك أن يعم الكرى .

ولحده لأثوار في الدور والبيوت فتولنها حاسة جديدة ، حاسة امرئ مستحج بكل شيء ، فراحتم تسرع الخفلى نحو حانوت الصيدلي ، ودحت

مشكلة قوبضت الغلام «جورستان» أمامها فبادرته قائلة :

- عليّ بمفتاح العرقة العليا حيث . .

فهمت «جورستان» من مشهد وجهها الشاحب ، فتوجس شراً ولم يجب ،

فعدت تقول بصوت وقيق ضارح :

- جلّني بالمفتاح .

وسمعا من خلال الحاجز الفاصل بين الحانوت والبيت قعقعة الملاحق وانشرك في قذعة الطعام ، فادعت أنها تريد المفتاح لكي تحيد دواء يقتل العثراء

الكثيره في بيتها

قال

- ولكن ينبغي أن أخبر السيد «موريه»

قالت

- لا ضرورة للإزعاج

فتقدمها إلى باب العرقة ، ومشت هي إلى الرف الثاني من رفوفها ،

وتناولت رجاجة ورقاء كانت تعرفها من دونهما ، فتاولت قدراً من مسحوق

أبيض ودهت تنلمه ، فحاول إمساكها ولكنها شته عنها حمار في أمرها

وهم بأن يستفيث ولكنها منعت ، وتركته عائدة إلى البيت .

وقد زال عنها ما بها كأنها قد أدت واجبها

ولما عاد وجهها إلى البيت ، قيل وصولها ، وهرق أن هناك حجراً في

بيتها ، ذهب يبحث عنها مططرباً باكياً ، ويحث بإحداثة إلى منازل الجيران

لتقدمها بينما ليث هو يذب ويتعب .

وطال غيابها فعضى في القرية هائماً على وجهه يبحث عنها ، ولكنه لم

يجدها ، ففعل راجعاً إلى البيت فوجدها قد عادت في غيابه

مبادرها مبالاً : ما الخطب يا عزيزتي؟

وكانت جالسة إلى منصبتها تحتم غلاب كتاب كانت قد مرحت من

كتابتها ، فأجابته

- أقرأ هذا قدماً أما اليوم فلا تسألني أية أسئلة .

- ولكن .

ثم صاحبت به محتدة تقول .

- أرجوك . . دعني وحدي .

وارقت حتى فرأشها بمحدة تستخدم طيب الكرى .

ولكنها لم تلبث أن شهب من إعفائها على مراره في حلقها وطمع كربه

في نفسها .

غير أنها لم تكلم فتشج عبيها وتبصر روحها أمامها ، حتى أعففتها ثانية ،

وأحدثت تراقب حركة أعفائها لكي ترى هل من ألم هناك في عضو من

أعضائها ، مناجاة نفسها :

- مالي أرى الموت هياً . وكنت أحبه من قبل محبياً ! كل ما هالك

أنني أذهب في سبات عميق ، فتعفي الحياة ويحل الموت ، وتنتهي المأساة على

أهول سبيل .

وشربت شريرة من الماء وتولت بوجهها إلى الخدار لتنام ، ولكن طعم المرارة الكريه في فمها ظل يشتد ويرداد ، وغصمت تقول :  
- آواه . - أشعر بظلم شديد ، جيتوتي بشرية ماء .  
فقال «شارل» وهو يمد إليها يده بي طلبت :  
- ماذا جرى لك؟ ألا تقولين لي ماذا أصابك؟  
قالت

- لاشيء . - افتح الفمانة إني أخشى  
وطفن يالها ماذا أصاب ، وهي لا تجيب على أسئلتها مستلقية في فراشها لا حراك بها ، حتى أحسست أجراً برودة كالثلج أخذت تتصاعد من قدميها إلى قلبها

فصعقت تقول  
- آواه . - لقد ابتداء .  
وقال زوجها مهوياً :  
- ماذا تقولين ؟ وأي شيء هذا الذي ابتداء؟  
فحزنت رأسها بيده كمن هو في عذاب شديد ، وظلت فاعرة فكيف كان شيئاً ثقيلًا حط على لسانها  
وفي المساء عادوا العثبان ، ولاحظ «شارل» رواسب يصبه قد بصفت بجدار الأنية الخرفية ، فظل يردد قوله .  
- هذا شيء - صجبت شيء - غير مألوف -  
ولكنها انفجرت فيه قائلة :  
- كلاً أنت محطى . - لاشيء مطلقاً .

وأخذت تن وهي تكسب أنفها ، ثم قالت كنهها أن ارتفعت ونرايد شحوب وجهها حتى أصبح في مثل باطن العصف الذي التصفت به ، وحيط بيضها فلم يعد من حمونه محسوساً ، وأخذ العرق يتصب من جبينها ويتساقط قطرات على وجهها . وقد أخذ هذا الوجه الجميل البديع يميل إلى الرقة وريداً

وريداً ، وجعلت آسائها تصرف صريعاً متزالياً ، وعباءها بشرود  
وألقى روحها بنعمه على فراشها ، وقال :  
- أحبريني ماذا ناولت؟ بيني حقيقة ما شئتلك الرحمة  
وكانت عياء تختلجان شفقة وحرناً ورافة وحباً .  
فصعقت بصوت متحشرج متقطع : هناك . . هناك . . اقرأ  
فهرع إلى المصدة وتناول الكتاب وفض غلافه ، وأخذ يقرأ بصوت مرتفع هذه الكلمات :

(لا تنهوا يموتي أحداً . . !)  
وامسح . . ورفع يديه إلى عيبيه مسح بها مائطيه ، وعاد يقرأ ما تلا ولم يسل أي صرخ قائلاً : ماذا أرى؟! النجدة . . النجدة .  
وسم يستطع أن يقول بعد ذلك شيئاً أكثر من ترديده كلمة (مسمومة مسمومة !)

وأخذ يهرول في الحجرة باكباً مدهوش الب ، متعثراً يصطدم بالمقاعد ، ويرنطم بالكراسي وأحراء الأثاث ، ويبحث شعره . وحين الصيدلي «هوبه» مسرعاً يقول : ما أتيح هذه الليلة ! لم أر في حياتي أشد منها هولاً ولا أنكر .  
ولم أبصر يوماً مشهداً أكثر رعباً من هذا المشهد .  
ويادر بالرجوع إلى بيته ليكتب إلى السيد «كاثليه» ، والدكتور «الاربير»  
ونكتة من شرط المصطراه لم يعرف كيف يكتب ، فطفن يعبر الكتاب مراراً ومرات .

وعند «شارل» إلى معجزة الطبي فأكتب عليه يستشير ، ونكه لم يهتد إلى شيء لأنه لم يبصر شيئاً ، فقد راح يصوره ورعته السطور أمام عييه وأقبل الصيدلي عليه فقال :

- يجب أن تهدي أعصابك . - حاول ذلك يا صديقي ما استطعت . فإن الشيء الوحيد الذي يسعي عمله في هذه الحالة هو إعطائك دواء مقبلاً ما نوع السم الذي تعاطته؟



فلما «شارل» الكتاب . . فإذا هو الرزنيخ . قال :

«إذا . . يجب أن تجري تحليلاً له .

وكان الصيدلي يعرف أن لابد من التحليل في جميع حالات التسمم  
وكان «شارل» أجهل الناس بذلك ، فعمل يقوم له العمل ذلك إذا في الحال !  
وعاد إليها فجثا على الأرض ، وألقى رأسه على حافة السرير ، وأسلم نفسه  
للنكاح والسجود

قالت لا بك إنني سأريحك من عداي نعم لن تصعب من أجلي  
بعد اليوم .

قال لماذا فعلت ذلك لماذا ؟ وما الذي دفعك إليه ؟

عالت لقد كنت مضطرة إليه يا حريري

قال ألم تكومي سعيدة في حياتك ؟ أكاد ذلك حظي ؟ ! لقد فعلت كل  
ما في وسعي أن أسعدك وأسعدك أفككت الموم ؟

قالت كلاً لقد كنت كريماً حراً

وراحت تلصق شعره بكفها ، فراه ذلك حرماً على حزن ، وشعر بأن  
حياته كلها قد تداعى وتحطمت . أما هي فلم تعد تذكر أحداً أو تحقد على  
أحد . ولم تعد تسمع من أصوات الدنيا وضوضاء الأرض غير صهيل هزاهد  
المسكين وعويل قلبها الحثيث وقد بدا إذ ذاك من عمقوته أنه شيء يرجع  
صمى لمن يعيد متبذراً في الغضب

وتحلمت فائقة جيتري بيطني

قال أشعرين بألم آخر ؟

قالت كلاً . كلاً

وجي . بالطفلة وقد حملتها مرصعتها ، والهنسة في مناتها وهي عابئة  
مقطعة لا تزال تحت تأثير النوم وسلطان العاصي تسائل أين أمها . ولست  
وأنا قلت لها :

«ما أشد اتساع حذيتك يا أماء وما أشد شحوب وجهك !

فقال لبرها .

أبعدوها أبعدها وكان واقفاً ينتحب في ساحة

وسكنت «إيما» قليلاً وهدأت ، فكان «شارل» كلما رآها تتكلم أو تنص

بهدهو يحمد الله . ويرجو خيراً

ولما جاء الطبيب «كانيليه» ودخل الحجرة تراسى على صدره ماشحاً ياكياً  
وهو يصيح قائلاً أهذا أنت ؟ شكرأتك إنني اللعنة أفضل حالاً انظر  
إليها .

ولكن رصيلة لم يكن يشاركه هذا الرأي مطلقاً ، وراح يصف بها معيها  
وأخذت تنصت دماً وتعلمت شمتها . . وتشتت أطرافها . وظهرت بقع  
سود طافحة على بدمها . وأخذ يصيح يذق أنه شيء بوتر يوشك أن  
يقطع . ويسما هي كذلك إذا بهم يسمعون حركة سود يلوح به في الهواء  
وصوت عجلات ، وكان القادم الطبيب «لاريفير» ولو أن منكأ من السماء  
جاء في تلك اللحظة لكان لحينه ذلك التأثير الذي أحدثه

ولست رأى «لاريفير» وجه «إيما» وهي مستلقية على ظهرها عورة فمها ،  
وصيح أصيحه تحت أنفه وجعل يهر كتيه قليلاً ودار ليدهف

فصاح به «شارل» قائلاً : أذهب أنت ؟

قال سأعود بعد لحظة

وأحد «كانيليه» معه كأنه يريد أن يسمعه أمراً ، وهو في الواقع يطلب  
مراة . وكان هذا الأخير كذلك لا يريد أن يشهد احتضاره ، أو يمكنه لتحل  
المحظة الأخيرة وهو لا يزال في البيت .

وما لبث القس «بورسبان» أن لاح على الطريق قدماً ، وأقبل فأدى فريضة  
الديبة في مثل هذه الحال . وما كد أن ينتهي من شعائره حتى تولت «إيما»  
هزة أخرى ، ثم سكنت ، وسماً تقدموا منها ليروا ماذا ألم بها . ألقوها حنة  
هامدة .

واحق أنه عقب الرقعة يسود الس شيء من الدهول ، إذ يصعب على  
الحي الواقف على مشهد الميت الذي فارق العالم أن يدرك حقيقة ما جرى أو

يلزم خاطره إلى اعتقاد ما كان .

أما «شارل» فإنه لم يكذب يراها قد جندت ولم تعد تتحرك حتى ارتقى عليها وهو يقول ويصيح غائلاً : اللوداج . . . اللوداج . . .

ولكن «كاثييه» و«هوميه» أسكبا به فأخرجاه من الحجرة وجعلوا يمزياه ويشجعانه ويصحان له ألا يتسلم لحزنه ، فتمشى بينهما وهو يحاول الفكاك منهما . . .

وأخذ يبكي ملياً .

وانشئ «هوميه» إليه فقال :

- أبك ما شئت ، فإن البكاء يغيدك ويخفف وقع المصاب عليك . إن للطبيعة سبلها . فدع لها فيضها تكن ونهدا .

ولم يلبث «هوميه» أنه انصرف إلى بيته ، إذ كان مضطراً إلى أن يرسل كتابين إلى الصديلية ، أو وصفتين ، لكي يتكر أكذوبة لإخفاء حقيقة الوفاة وسببها ، ويعلن في الناس أنها لم تكن تقصد إلى الانتحار .

وما كاد يشي أهل القرية أنها تناولت الزرنيخ تحسبه سكرأ ، ويتبين أن الإساءة التي اصطلمها قد سرت في القرية وفاعت ، حتى عاد إلى صديقه «بوفاري» فوجدته وحيداً جالساً قبالة النافذة وهو شارد البصر كمن فقد له . فقال له :

- ينبغي أن تعين موعد التشيع . . .

فقال مذهولاً :

- أي تشيع ؟ . .

ولكنه ما لبث أن تذكر فقال يصوت متردد مضطرب متهدج :

- آه . . . التشيع . . . ولكني لن أشيها . سأبقيها معي هنا . . . لن ادعها تحمل من بيتا .

ولم يجز «هوميه» على فتح موضوع الجنازة فأغرى القس بأن يتولى هو ذلك ، فمضى هذا يكلم «شارل» ويقنه أن ذلك أمر لا مفر منه .

ظل «شارل» في ذهول يصعد وينزل ، ويتنقل في أرجاء البيت مشدوهاً لا

يعي شيئاً ، ودخل في تلك العنينة فوقف بجانب سريره ليراها عن قرب ، وهو في ذهول ينظر شارد البصر ولا يقول شيئاً ، ولا يعي ما حوله .

وحضرت مدام بوفاري العجوز في بكرة النهار فلم يكذب «شارل» يلقاها حتى انفجرت دموعه وارتفع صياحه وعويله .

وأما الصغيرة «بيرت» فذهبوا بها إلى دار «هوميه» لتلعب مع الأولاد ، وبقيت «فيليبه» في الطابق الثاني مع مدام «لو فرانسوا» .

وفي المساء جاء بعض المميزين فنهض «شارل» لاستقبالهم ، وجعل يصافحهم وهو صامت لا يقول شيئاً ، ثم عاد إلى مجلسه بجانب الموقد مع الزوار وقد أحاطوا بالنار المشوبة في المدفأة مطرقى الرؤوس ، متنهدين بين لحظة ولحظة ، وقد ملوا جميعاً هذه الجلسة الطويلة الساكنة الثقيلة ، ولكن لم يشأ أحدهم أن يكون أول منصرف .

ولم يلبث «هوميه» أن غرق في النوم ، وما عثم القس بعد تقليب صفحات كتاب أدعيته وصلواته أن حذا حذوه .

ولمّا دخل عليهما «شارل» لم يشأ أن يوقظهما ، بل كان غرضه من الدخول أن يلقي على «إيما» النظرة الأخيرة .

ووقف طويلاً يفكر في متانه الضائع ، وسعادته المولية ، ويذكر حركاتها وسكناتها وصوتها ونغماتها .

وأخيراً انتابته نوازع الفضول ، فمد يده ورفع يده النقاب عن وجهها بأطراف أنامله .

وإذ ذلك صرخ صرخة الأسى والرعب ، فاستيقظ الناظران على صياحه وقاما إليه فأخرجاه من الحجرة .

وتحمل «شارل» عذاب الصبر ساعتين ، وهو يسمع صوت المطارق لإعداد النعش والصناديق التي وصى بصنعها ، ولمّا تم ذلك جعلوها في نعشها إلى الخارج ، فتقاطر سكان القرية واحتشدوا تشيع الجنازة . ولمّا وصل الشيخ «روو» أبوهما أغشى عليه إذ رآهم خارجين بالنعش إلى مقبره الأبدي .

\*

## الخاتمة

لم يكن الشيخ «روو» قد تلقى النعم إلا بعد مضي ست وثلاثين ساعة على الوفاة ، وكان «هومي» هو الذي كتب إليه . وقد حرص في كتابه على أن يجعل الكلام مبهماً ، فلم يفهم الشيخ حقيقة الأمر من خلال مسطوره ، فجاء إلى ابنته وهو يحسب أنها مريضة في خطر ، ولكنه لمّا وصل وشهد ذلك المنظر ، غرّ صعباً كمن أصيب بصرع .

وأخذت النواقيس ثدق ، وبدأت الجنائز والشعائر المقررة .

وجعل «شارل» يتخيل أنها قد ذهبت في سفر بعيد ، ومضت إلى رحلة ثانية هي على الأيام منها آتية ، ولكنه عاد يتذكر أنها هناك في ذلك النعش المغلق المسمر ، وأن كل شيء انتهى ، وكل أمر انقضى ، وأنهم صابرون بها إلى المضجع الأبدى ، والقرى الأخير ، فأخذته نوبة يأس .

ودقت النواقيس ثانية . . وحمل النعش وخرجوا به من الكنيسة .

ومضى «شارل» في مقدمة الجنائز . . وجعل يحني رأسه لكل من رآه واقفاً على جانب الطريق .

وحمل النعش ستة رجال . . ثلاثة منهم على كل جانب . وساروا به الهويناء . . فقال الخيطى . يلهثون قليلاً . والقس وشمامسته يرتلون في أثره .

ومشت النساء حاملات شموعاً مضادة مستطيلة .

ومب التيم فجعل بين لحظة وأخرى يرفع الحجب السود عن الوجوه وقد بللها دموع بيض كاللجين .

وستط «شارل» بجانب القبر جالياً ، وجعل يأخذ التراب ويهيله صائحاً باكية : «الوداع . الوداع .» وهو يزحف كأنما يريد أن يلقي بنفسه في إثر زوجته .

ومشوا به متصرفين . . فلم يلبث أن هدأ وسكن . وكأنه به قد شعر كما شعر المشيعون جميعاً بشيء من الراحة والرضى بأن الأمر قد قضي . والمهمة قد انتهت .

ولمّا عادوا من الجنائز جلس الشيخ «روو» يدخن غليونيه ساكناً هادئاً الروح .

وفي صباح اليوم التالي أرسل «شارل» في طلب ابنته ، ولمّا جاءت وسألت عن أمها قال لها إن أمها سافرت . . وستعود إليها بلعب ودمى طريفة . وجعلت «بيرت» الصغيرة تتكلم عن أمها مرّت . . ومرّت . . ثم لم تلبث أن كفت عن ذلك ولم تعد تذكرها .

ورأى «شارل» الطفلة في مرحها ولعبها في البيت فزاده ذلك حزناً على حزنه .

وما عثمت مسألة ديونه أن حلت عليه فشخته وألمته ، فباضطر أن يتحمل أفدح الديون ، وأن يأخذ على نفسه أبهظ المبالغ ، مفضلاً أن يفرق في الدين على أن يسمع بأنفه شيء من نفقاتها ومغلفاتها ، أو يرضى أن تباع في الأسواق .

ورأت أمه ذلك منه قعقبيت وامشأت لتصرفه ، ولكنه كان أشد غضباً منها ، فعجبت لهذا التغير الذي طرأ عليه ، وبست من صلاح أمره فسافرت أخيراً وتركته يفعل ما يشاء .

وبدأ الناس يستغلون غيبه ليجتزوا منه ما استطاعوا ، فطالبته مدرسة الموسيقى بأجرة دروس ستة أشهر على رغم أن «إيما» لم تتلق عندها درساً واحداً وإن كانت قد أرته الاتصال ، ولكنها كانت قد انفقت سراً معها على مطالبة .

وبعث صاحب المكتبة إليه يطالب بأشترائه سنة كاملة ، فقد كان كلما دفع فيها ظن أنه سوف يكون الأخير ، فإذا ديون أخرى تراكم وتهاقم .

وذهب هو يطالب مرضاه بحساب قديم ، فكانوا يقدمون إليه كتباً من زوجته وإيصالات يخطئها ، فكان يعتلئ إليهم بخجل .

وأخذت «فيليسيتيه» بعض ثياب سيدتها فارتدتها ، واحتفظ هو بما تبقى منها وجعل يتلصصها في أذراجها باكية مترجماً .



ولكن لم تلبث «فيليسيه» أن فوت بقية الثياب مع عشيق لها .

وفي تلك الفترة الحزينة تلقى من والدته «ليون» بطاقة تعلن فيها زواج ابنها ، فكتب إليهما مهتماً وختم كتابه بقوله : «لو كانت الفقيدة حية لعدت بهذا الخير وطربت له» .

وفي يوم ، بينما كان يفتش في أرجاء البيت بغير قصد عشر على ورق مطوي ، فغضه وإذا به كتاب «رودولف» كان قد سقط بين الصناديق فبني حيث سقط .

ووقف شاحب الوجه يملأ البصر في الكتاب فإذا به يلمح حرف «را» في أسفل الصفحة الثانية من صفحاته ، فذكر كيف كان «رودولف» يتلطف إليها وكيف اختفى فجأة عنها .

ولكن ربانة أسلوب الكتاب خدعته فجعل يقول لنفسه :

.. لعلها كانت علاقة حب بريء بينهما .

إذ لم يكن من أولئك الأزواج الذين يتعمقون في بحث الأشياء ، بل كانت الغيرة عنده متلاشية في عمق حبه .

وحمله الوفاء بالديون المحيطة به إلى بيع أكثر أثاث بيته ، إلا مخدعها ، فقد حرص عليه إذ كان يصعد إليه عشاء ليقرب مقعدها من الموقد ويجعل مجلسه قبائله ويجلس ابنته «بيرت» بجانبه .

وتخلّى الناس جميعاً عنه ، فلم يعد أحد يزوره ، وفُتت زيارات الصديقي له حين رقت حاله وأدبرت الدنيا عنه .

ولم يكن قد فتح صولان كتبها ورسائلها بعد .

ولكنه في ذات يوم أثار الفتاح في القفل فانفتح ، وطالعه إذذاك كتب «ليون» جميعاً ، فلم يعد في هذه المرة يخالجه شك أو يساوره ريب ، وجعل يفتش في كل ركن ويبحث في كل زاوية باكباً مزماراً فاقده الرشيد . واكتشف أخيراً صندوقاً تهشم بركلة من قدمه فانفتح عن صورة «رودولف» وكتب غرامية .

ودعش الناس أن راوه محتبساً في يته لا يرى أحداً ولا يعود مريضاً ، حتى ظن القوم أنه قد احتكف لينكب على الشراب .

ولكن بعض الناس هاج الفضول بهم فذهبوا يطلون من فوق سياج الحديقة ، وما كان أشد دهشهم إذ رأوا حيالهم رجلاً مهلهل الثياب مستظيل اللحية متقد النظرات هالماً متحجباً .

وفي ليالي الصيف جعل يخرج مع ابنته الصغيرة إلى المقبرة ، فلم يكونا يرجعان إلى البيت حتى يغمر الكون ظلاماً ، وتسود الحديقة ساحة القرية .

وفي صباح يوم مضى إلى سوق «أرجي» لبيع حصانه وكان كل ما بقي لديه من عظام الدنيا . . فلقي هناك «رودولف» ، فلم يكدهما يلمح الآخر حتى اصفر واضطرب . . وأوتبك .

ولم يكن «رودولف» قد حضر المآتم . . أو مشى في الجنازة ، وإنما اكتفى بإرسال تعزية في رق مكتوب . . فوقف يغمغم بضع كلمات اعتذار غير واضحة ولا مسموعة ، ولكنه لم يلبث أن تشجع وزال ما عراه لأول وهلة من الارتباك .

وفي الحانة جلسا متقابلين «رودولف» يدخلن سيجارة ويتحدث إلى جليسه ، بينما جلس الآخر واجماً غارقاً في تأملاته ، فقد تمثل «إيماء» في تلك اللحظة ، وخيل إليه أنه قد راح يرى شيئاً في ذلك الوجه الذي كانت تحبه . . يا للعجب . . لقد كاد يوه لو أنه كان ذلك الرجل .

أما هذا فقد جعل يتكلم في شؤون مقتلفة ، في الزراعة ، والسائمة ، والأسمدة ، ولكن «شارل» لم يكن يستمع إليه إذ كان ضارده اللب ، فاهب الحاطر مع الخيال ، وقد جعل بين لحظة وأخرى يحدجه نظرة مقصبة قاسية .

ولاحظ «رودولف» ذلك منه فوقف عن الكلام ، وأمسك عن حديثه . ولكن «شارل» لم يلبث أن بدأ واجماً ، قائلاً :

.. لست أحمل لك في قلبي أي حقد .

فلم يجد «رودولف» ما يقوله . . بل لقد أرحم عليه قصمت لا يحير جواباً ،

بينما مضى «شارل» يسند رأسه بيديه ويقول بصوت خافت لا يكاد يسمع  
وبلهجة استسلام الحزن فاجع لا حذله :

- نعم ، لم يعد في نفسي عليك أي حقد .

ثم سكت لحظة وعاد يردد هذه العبارة الجلييلة العظيمة ، ولعلها العبارة  
الوحيدة الرزينة التي فاه بها : «لقد كان كل ذلك من أغلاط القدر» .

وسمع «رودولف» هذه الكلمة ، وهو الذي وجه ذلك القدر في ذلك  
الاتجاه ، فظن الرجل طيب القلب بسيطاً ساذجاً ، فسكن جأشه وزالت  
مخاوفه .

وفي اليوم التالي ذهب «شارل» إلى الخيمة القائمة في بستان بيته ، فافتعد  
متكأها ، وكانت خيوط الضياء تنفذ إليه من خلال اللبالب الموشى عليها ،  
وأغصان الكروم وفروعه ترسل ظلالها على الحصباء ، وكان الهواء عالياً  
معطراً بشذى الزهر ، والسماء صافية الأديم ، وعياسيب النحل تطن وترف  
على الزنبق الفياح والسوسن المتأرجح .

فلم يلبث أن أحس وكأنه قد عاد فتى في ميعه الشباب تسكره فتنة الطبيعة  
وتكاد تخنقه مشاعر الهوى المتبعثة من أعماق فؤاده الجريح الحزين .

ولما أذنت الساعة مساء جاءت «بيرت» الصغيرة لتتأديه إلى العشاء ، ولم  
تكن رآته طوال ذلك الأصيل . فلما بلغت مجلته ألقت رأسه مستنداً إلى  
جدار الخيمة وهو مغمض العينين فاغر الفم ممسكاً في يديه بخصلة مستطيرة  
من شعر فاحم ، فبادرته صائحة فيه :

- أبتاه هيا بنا .

ولما لم تسمع جواباً ظته يلهو معها ، فدفعته برفق فإذا هو يسقط جثة  
هامدة .